

« ويشهد تاريخ الأمم والشعوب على أن تحول العقليات والسلوكيات هو في العمق،
مناطق في الأساس بالنخب السياسية، والفكرية، والإعلامية، والفنية، وبالمجتمع
المدني عموما، ولن تتمكن الدولة، منفردة، من إحرازه. »

■ فخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني
19 دسمبر 2025 \ مدينة وادان التاريخية



خطاب وادان وسؤال التغير الحضاري:
النخب ودورها في تحول
العقليات والسلوكيات

في هذا العدد

خطاب وادان وسؤال التغيير الحضاري؛

النخب ودورها في تحول العقليات والمسلكتيات



4 سيرة الداعية المجهول (المختار محمد سيدي)

ويقال المختار جابي سيدي
علي بكر سيدي

9 منظومات الشناقة في إعراب الجمل

الباحث أحمد محمد عبد العزيز

21 «البعد التراثي في الكتابة الدرامية»

الدكتور عطاء الله الأزمي

34 رسالة الفرد للشيخ محمد المامي

مقارنة بين سلاحين: ناري ولساني

الدكتور أحمد بزيدي إسماعيل

41 الكتابة النسائية في الوطن العربي

(قراءة في خصوصية المتخيل الأنثوي) - الرواية المعاصرة نموذجاً -

الدكتورة تربية بباي عمار

51 التأليف المعجمي العربي: المحطات والأنواع

د. أحمد أحمد عمر

59 اللغة العربية ومخاطر اللحن ومزالق التصحيف

(وقفات مع مستويات التعريف والتأصيل والتطبيق)

الأستاذة خديجة الشاه

69 ملامح الدراما في الشعر الجاهلي

الدكتور محمد عبد الله عمر

73 المقومات الطبيعية والبشرية للسياحة الصحراوية في ولاية آدرار

د. محمد عالي المختار التقي

80 الشيخ كلاه وملاح التميز في الأبنية والأساليب

(لحظات من التأمل في الإحياء والاحتذاء)

أ.د. محمد أحمد المحبوبي

الافتتاحية

■ أ. محمد سيدي عبد الله
الأمين العام للجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم



سعداء بصدور العدد الخامس والستين من مجلة الموكب الثقافي، الذي نقدمه لقرائنا الكرام، أملين أن تلقى أسئلته وإشكالاته اهتمام الباحثين والمهتمين، راجين في ذات المقام أن يجد القارئ في صفحاته محتوى يثري ويولّد اهتمامات أخرى للتأمل والنقاش.

لقد جاء هذا العدد غنياً بإثارات فكرية ومعرفية تتقاطع فيها قضايا الأدب والنقد، والهوية والتحوّل الثقافي، وأسئلة الإبداع في زمن الرقمنة، إلى جانب قراءات معمّقة في الفكر الإنساني وتجلياته المعاصرة. وهي موضوعات تعكس وعي القيمين على المجلة والكتّاب المشاركين بضرورة مواكبة جديد الثقافة والأدب، والانفتاح على المستجدات النظرية والمنهجية التي تشغل الساحة الثقافية اليوم.

لقد تجاوزت المقالات المنشورة في هذا العدد التناول الوصفي إلى مقاربات تحليلية ونقدية، تستنطق النصوص والظواهر، وتعيد مساءلة المسلمات، وتؤكد أن الثقافة فعل حيّ ومتجدّد، لا ينفصل عن أسئلة الإنسان الراهنة ولا عن رهانات المستقبل؛ ومن هنا، فإن ما يطرحه هذا العدد من قضايا جدير بالقراءة والمتابعة، ومحقّز على الحوار وتبادل الرؤى.

وإذ نشمّن عالياً إسهامات الكتّاب والباحثين الذين أغنوا هذا العدد بدراساتهم ومقالاتهم الرصينة، فإننا نعبر عن بالغ شكرنا وتقديرنا لجهودهم العلمية والفكرية، أملين أن تكون هذه الإسهامات حافزاً لمشاركات جديدة، ومشجّعاً لباحثين آخرين على البحث والكتابة والمساهمة في أعداد قادمة.

ونؤكد، في هذا السياق، أن صفحات الموكب الثقافي ستظل مفتوحة أمام الأقلام الجادة والبحوث الأصلية التي تسهم في إغناء المشهد الثقافي، وتكرّس قيمة المقالة العلمية الرصينة بوصفها ركيزة أساسية في بناء الوعي وتعميق الفهم.

ختاماً، أرجو أن ينال هذا العدد رضى قرائنا الكرام، وأن يلبي تطلعاتهم، ويعزّز شغفهم بالمعرفة، ويؤكد رسالة الموكب الثقافي بوصفها منبراً للحوار الثقافي الخلاق، وفضاء رحباً لتلاقى الأفكار وتجدد الأسئلة.



علي بكر سيسي

سيرة الداعية المجهول (المختار محمد سيسي)

ويقال المختار جابي سيسي

مدخل

عاصمته وأرغموه على الإسلام، بل لأن علي بن أبي طالب هو ابن عم وصهر رسول الإسلام، وإحراز شرف الانتماء لآل البيت يعني بالنسبة لملك غانا وقتئذ، الحصول على شرف متميز يؤكد من خلاله على مدى انتمائه العميق للإسلام ولدار الإسلام⁷. غير أننا لا نمتلك معطيات تؤكد أن العرب الذين كانوا في البلاط من بني صالح سوى ما دونه صاحب كتاب: «تاريخ بني صالح» حيث قال:

- إن العرب الذين وصلوا غانا في الحملات الأموية قد انصهروا في المدن السونينكية والصحراوية، وهم الذين يسميهم المؤرخون بالهنيين والفامان، ولم يشتهر من العرب الدعاة في المنطقة بالاسم سوى بني صالح.

وهناك من يرى أن الزناتيين أيضا بسطوا نفوذهم على غانا بقيادة موسى بن أبي العافية وقالوا إن قواته: «عاجلت بلاد السودان بضربات متلاحقة فيما بين سنتي 932 و933م، وكانوا يتلقون العون من برابرة أودا غست الذين أفلتت السلطة من أيديهم منذ مجيء الشرفاء الأدارسة إلى السودان، وقد تمكن القائد موسى بن أبي العافية من دفع جند غانا نحو الجنوب، وأخذ من كومبي صالح المكوس على الذهب والذخاس والملح، ولكن سلطانه لم يرسخ بهذه الجهات أو يمتد لفترة طويلة حيث إن الفاطميين نزلوا مراكز إمارته وخاصة سجالماسة،

وزرائه⁴. فلئن كان هؤلاء الوزراء والتراجمة من العناصر العربية والبربرية لأكد المكانة السامية التي اكتسبها الإسلام والمسلمون في المملكة حتى أصبحوا يمثلون قطاعا هاما في إدارتها، أما إن كانوا من السونينكي فإن ذلك يعكس المدى الذي بلغه الإسلام حتى أخرج هذه الصفوة التي أصبح بيدها إدارة البلاد إلى جانب الملك⁵.

آل سيسي وآل البيت:

يروى أن مجموعة من آل البيت نزلوا بغانا بقيادة صالح بن عبد الله بن الحسن سليل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه، وأنهم أقنعوا الملك وحاشيته بالإسلام، وبدأوا في تعليم اللغة العربية لأمرء القصر (السيساويين)، فأخذ الناس ينسبونهم إلى أولئك الشرفاء نسبة ولاء لا نسبة دم، فيقولون (سيسي قاريشي - قريشي -)، وفيما بعد سوف يكتسبون تمجيذا إضافيا من قبل ملك مالي سونجاتا كيتا بعد اعتماد الأسر الخمسة حراسا للدين في بند أساسي من دستور الحرية (كوركان فوكا)، وهم (ماندي مودينو). وإذا عدنا إلى علاقة آل سيسي بآل البيت يقول الحسين الشيخ سليمان في كتابه «تاريخ بني صالح شرفاء كومبي صالح: «عند ما يريد ملك غانا أن ينتسب لآل البيت فليس لأن المرابطين قد غزوا مملكته⁶، وهدموا

ليست بحوزتنا مصادر مكتوبة حول شخصية هذا الرجل الفذ عدا روايات شفوية تتناقلها الأجيال، وغالبيتها مبتورة على الرغم من أهميتها القصوى، لذا فمن باب الوفاء نحاول الكتابة عنه معتمدين على تلك الروايات على قلتها، وندعمها بافتراضات تحتل الخطأ مثل ما تحدثل الصواب، ولسعد الطالع لم تختلف مصادرنا على تضلع الرجل (المختار سيسي)، بالعلوم الشرعية وتفانيه في خدمتها وجعلها باقية في عقبه من بعده. فوجب التنبيه عليه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا. إنه - مما لا شك فيه - يحدرد من الأسر (السيساوية الذائعة الصيت) التي سارعت إلى الإسلام وتشربت تعاليمه منذ ما قبل عهد المرابطين، ودخل المرابطون عاصمة غانا وتنكامنن سيسي: Tenkamenin¹) ملكها، وقد تولى العرش حوالي عام 1063م²، يوصف بأنه «كان شديد الشوكة عظيم الملك مهيب السلطان³». في عهده كانت غانا تمر بمرحلة انتقالية تمهد لتعميق وترسيخ الإسلام بين أهلها، يقول البكري: «إن الملك بسى كان محمود السيرة محبا للعدل مؤثرا للمسلمين، أما ابن أخته تنكا من الذي خلفه، فقد كان يعتمد أساسا على المسلمين في تسيير دواليب الحكم، حيث اتخذ منهم تراجمته وصاحب بيت ماله وأكثر

1 - الترجمة السونينكية عن كتاب (وغادوا دامبه) آدم دراوي: 26

2 - طرخان إبراهيم، مرجع سابق: 27

3 - المسالك والممالك 2 / 363

4 - البكري، المسالك والممالك، 2: 229

5 - حسين أحمد إلياس، الإسلام في مملكة غانا: 10

6 - راجع أحمد الشكري، الإسلام والجمع السوداني، مرجع سابق: 119

7 - المرجع نفسه: 69

يستمر في حكمه تابعا للمرابطين¹². مكانة الأمير أبي بكر لدى السونينكي. لقد صممت المصادر عن حملة الأمير أبي بكر بن عمر على غانا التي أدت إلى سقوطها، فلم تذكر أية تفاصيل عن جهاده خلال الأربعة عشر عاما، بل أغفلت تماما جهاده في السودان، ولم تذكر إلا سنة دخوله العاصمة وسنة استشهاده. ومع ذلك فقد أثبتت تلك المصادر أن المرابطين قاموا بنشر الرباطات في مختلف مناطق غانا وبنوا المساجد وألحقوا بها المدارس فكان إلى جانب كل مسجد غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد. تابع أبو بكر فتح بلاد السودان حتى وصل إلى ونغارا حيث مناجم الذهب، ويذكر ابن أبي زرع ما وصل إليه من سلطان بقوله: «استقام له أمر الصحراء إلى جبل الذهب من بلاد السودان»؛ الذي كان من أهم مصادر الثروة في السودان في ذلك الوقت، كما ازدادت هجرات قبائل المرابطين إلى تلك الأنحاء، فأدى ذلك إلى اختلاط هذه القبائل بأهل المنطقة، أما الشعوب التي لم تقبل الدخول في الإسلام، فقد فرت إلى الجنوب أو الغرب. وأبدت بعض المناطق التذمر وأعلنت انفصالها، فحدثت مجابهات غامضة بين مختلف أقاليم المملكة، وكذلك بين العشائر داخل الإقليم الواحد، هكذا إذن مزقت الحروب الأهلية إقليم وغادوا الأوسط، وهربت بعض الجماعات السونينكية فاستقرت بمقاطعة ميمبا، كما حدثت مجابهات مماثلة بين سكان كنياغا¹³، وآخرون هاجروا إلى «كوساتا»¹⁴ «وهم المسمون «بكوسا»، وبعضهم إلى «زار». في حين كان أبو بكر بن عمر يتمتع بقبول واحترام كبيرين بين القبائل المسلمة

عن طريق التجار الذين كانوا ينتقلون بين مناطق الشمال والجنوب، إلا أنه لم تكن في شكل حركة عامة حتى استولى المرابطون عليها وفتحوا عاصمتها، ومنذ ذلك التاريخ أضحت حكومة غانا حكومة إسلامية حيث أعلن تنكنا منن الإسلام والخضوع لسلطة المرابطين، وبإسلامه دخل عدد كبير من السكان في الإسلام. وهكذا وضع المرابطون نواة دولة إسلامية في غرب إفريقيا نتيجة لكفاحهم في سبيل نشر الإسلام¹⁰. ملخص الرواية الثانية: يقول أحمد الشكري: «هكذا إذن تضافرت عدة اعتبارات لتجعل من أطروحة الغزو المرابطي لمملكة غانا حوالي عام 469هـ / 1076م إحدى المسلمات البديهية التي ما تزال تلاقي رواجاً كبيراً بين أوساط المختصين الإفريقيين والمهتمين بتاريخ العلاقات المغربية السودانية، ومع تراكم الأبحاث والدراسات، ازداد الاعتقاد في الأطروحة رسوخاً وتمكناً من النفوس، وأصبح تداولها لا يثير أدنى قلق أو انزعاج لدى الغالبية العظمى من الدارسين»¹¹. ويقال إن الأمير أبا بكر بن عمر خرج على رأس جيش، وابنه يحيى على رأس جيش آخر ووجهة الجيشان كانت عاصمة إمبراطورية غانا، وبدأت تستولي على المدن الواحدة تلو الأخرى، وكان يخير أهلها، إما اعتناق الإسلام وإما الحرب، حتى ضيق الحصار على العاصمة التي سقطت عام (460هـ - 1076م)، ونظرا للوجود الجنيني للإسلام في العاصمة والمناطق المحيطة بها فقد حالفت الجيش المرابطي ورحبت به في إطار التفاهات السلمية، وقد سمح الأمير أبو بكر لملك غانا أن

وأجبروه على منازلهم حيث تمت هزيمته وانقضاء دولته، واضمحلال دعوته، وانكفاء أطراف السودان عن سلطانه⁸.

المرابطون وغانا:

هنالك روايتان تتحدثان عن هذه العلاقة، أولاهما تتبنى فكرة الغزو المسلح، والأخرى تنجح إلى ترجيح الفتح بالطرق السلمية ولكليهما مناصرون:

ملخص الرواية الأولى: إن الأمير أبا بكر بن عمر اتجه بمجموعة من جنود المرابطين إلى الجنوب سنة 452هـ / 1060م، للقضاء على فتنة نشبت بين قبائل الصحراء، وفي رواية أخرى لجهاد كفار السودان، وواصل كفاحه في هذه المنطقة وخاصة بعد أن يؤس من استرداد السلطة من ابن عمه، يوسف بن تاشفين الذي قبض على زمام الأمور بالمغرب الأقصى، ومن هنا وجه نشاطه العسكري إلى نشر الإسلام في مملكة غانا والقضاء على الطقوس الوثنية التي كان يمارسها سكان المنطقة.

وذكر ابن الجوزي في المنتظم جانباً من حسن سيرته مع أتباعه فقال: «كان أبو بكر بأرض غانا في مجاهدة الكفار، وقام له ناموس لم يقيم مثله لأحد بالدين والزهد، وكان يركب إذا ركب أصحابه، ويطعم إذا طعموا، ويجوع إذا جاعوا، وقد قيل إنه لم يتوجه في وجه من مجاهدة أو دفع عدو في أقل من خمسمائة ألف كل يعتقد طاعة الله تعالى في طاعته، وكان يحفظ الحرمات، ويراعي قوانين الإسلام مع صحة المعتقد، وموالاة الدولة العباسية⁹. وكانت قبله محاولات لنشر الإسلام في غانا

8 - الغربي محمد، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مرجع سابق: 38.

9 - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992: 276.

10 - حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية: 473 وما بعدها - الحضارة الإسلامية في المغرب وأندلس - عصر المرابطين والموحدين - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ط 1، 1980 - مكتبة الخانجي بمصر.

11 - الشكري أحمد، مملكة غانا: 73

12 - دندش عصمت، مرجع سابق: 113.

13 - تاريخ إفريقيا العام: 4، 136

14 - منطقة قرية من انيورو وغومو الحالية. النفاش، تحقيق آدم ميا

وخاصة حلفاؤه السونينكي، وتشير الروايات إلى أنه: «استشهد في عام (480هـ/1087م)، وقد أثارت حادثة استشهاده ثائرة القبائل السودانية التي كانت قد دخلت الإسلام، فقامت تطالب بدمه، ولم تلبث القبائل التي حالفت السونينكي المطالبين بدم أميرهم أبي بكر أن اعتنقت هي الأخرى الإسلام، وأصبحت قوة جديدة للإسلام بإفريقيا الغربية جنوب الصحراء»¹⁵.

وبعد 11 سنة من استشهاده الأمير أبي بكر وتراجع نفوذ المرابطين في المنطقة، استطاعت عشيرة سيسى استعادة الحكم في وغادوا، غير أن المملكة كانت مفككة وشعوبها وقبائلها منعزلة بعضها عن البعض، واستمرت محاولات أسرة سيسى لاستعادة الإمبراطورية إلى سابق عهدها لمدة تزيد على مائة عام ولكن دون جدوى¹⁶.

مملكة وغادوا ودور أمرائه في تأسيس مملكة مالي

يتجلى هذا الدور في مسارين اثنين

أولهما: إيواء سونجاتا كيتا

كان ملوك وغادوا، من أقوى الملوك في غرب إفريقيا إبان ازدهار مملكة غانا، ولكنهم أصبحوا يدفعون الجزية لملوك صوصو الذين اجتاحتهم بلادهم بعد سقوط كومبي. وكان ملوك وغادوا كذلك فيما مضى حلفاء لماري جاتا والد سونجاتا حين كان إقليم مالي تحت نفوذ مملكة غانا، لذا لجأ إليهم سونجاتا في محنته، فقد نزل هو ورفاقه ضيوفا كراما على وغادوا، وكان الملك يومئذ يعرف بـ «سومانقوري سيسى»، وولي عهده تنكا ماميدي (محمد)، الذي افترض أن يكون هو والد المختار سيسى¹⁷.

للمعطيات التالية:

أ- إن آل سيسى كانوا يجمعون بين القيادة السياسية والدينية في الفترة التي نتحدث عنها أي في القرن الثالث عشر الميلادي.

ب- تقول الروايات إنه كان يرافق المختار في رحلته جماعة أقله سبعة أفراد يحملون له مكتبته، وهذا يعني أنه كان من الأرستقراطيين وليس من الأشخاص العاديين.

نعود إلى حكاية لجوء سونجاتا إلى وغادوا، بما أن هواء ومناخ وغادوا لم يوافقا الضيوف، قرر الملك سومانقوري أن يبعثهم إلى ابن عمه موسى تنكارا بمملكة ميمبا، نظرا لتشابه مناخ ميمبا بمناخ يني عاصمة ماندي حينها. فاستقبلهم موسى وأكرم وفادتهم وقرب سونجاتا وكونه تكوينا عسكريا خاصا، وبينما كان سونجاتا يترقى في الرتب العسكرية إذ جاءه الطلب من ماندي يلحون عليه بالعودة إليهم لاستعادة ملك آبائهم من قبضة صوصو الغزاة. استشار سونجاتا مضيفه وصديقه الملك موسى تنكارا الذي وافق في النهاية على الطلب وشرعوا في دراسة الجوانب الأمنية والعسكرية وما يمكن لمملكة ميمبا أن تقدمه كدعم مادي ومعنوي مباشر.

ثانيهما: الدعم العسكري لسونجاتا

أخذ إذن سونجاتا قرار العودة إلى بلاده لمنازلة خصومه من صوصو وحلفائهم، فدعمه ملك ميمبا موسى تنكارا بأمر رماة جيشه، ثم أوصاه بالمرور في طريقه بوغادوا، حيث ابن عمه إسماعيل سيسى (يبدو أنه المعنى بسومانقوري، فعبارة سومانبي تعني الابن البكر)، ليمده هو الآخر بجزء من قواته، فاستقبله الملك إسماعيل وأمدّه أيضا بقوة وعتاد

وأُسند قيادتها إلى ولي عهده تنكا محمد سيسى، واصل الجيش طريقه نحو الجنوب حتى وصل إلى أرض طابون كمر، وكان سونجاتا قد أخذ على الأمير فاران كمر عهد المناصرة عند الضرورة، وفي الطريق كان الشيخان سينبان مارا سيسى وماندن بيرتي، يرويان على جاتا قصص الأبطال والصالحين وكان يعجبه سماع تلك القصص. ثم إن تنكا محمد عاد إلى وغادوا تاركا قيادة فيلق وغادوا لخلفه فاران سيسى، الذي شهد نهاية معارك جاتا، ثم بايع نيابة عن إمارة وغادوا بعد انتصار تحالف الماندينغ على خصومهم¹⁸. كما شهد مؤتمر كوركان فوكا، حيث خلعوا لقب حراس الدين على الأسر العلمية الخمس الذين هم (سيسى ماندي مودي، توري ماندي مودي، برتي ماندي مودي، جاني ماندي مودي، قوما ماندي مودي).

المختار محمد سيسى وغاني والي كمر

تذكر الروايات أن غاني والي كمر كان قائد كتيبة في جيش سونجاتا، ولا نعرف ما إذا كان غاني كمر جاء من منطق طابون ضمن قوات الأمير فاران كمر أم لا، ومهما يكن فقد ألبى بلاء حسنا في معارك جاتا التحريرية ضد سومنغور كانتني وحلفاءه، إلا أن تلك الروايات لا تذكر كثيرا عنه سوى أن سونجاتا أخذ على نفسه عهدا إن هو انتصر على خصومه سوف يكافئ قادة الجيش، وأنه سيخير القائد غاني كمر في تحديد نوعية مكافأته بنفسه نظرا لتميزه المنقطع النظير. غير أن هذا القرار المتسرع من سونجاتا كانت كالقشة التي قصمت ظهر البعير - كما يقال - فقد اختار غاني والي أن

15 - دندش عصمت، دور المرابطين في نشر الإسلام غرب إفريقيا: 116

16 - جوان جوزيف، مرجع سابق: 61

17 - ناني جويل، سونجاتا ملحة شعب الماندينغ، ترجمة توحيد علي توفيق، مراجعة أمينة رشيد وحلمي شعراوي، ط1، 2010: 109، وما بعدها.

18 - ناني جويل، سونجاتا: 144

التربية والتعليم ويجب أن يكون من ذرية المختار سيدي إلا في حالات الضرورة القصوى، وللجماعة البحث عن عالم ديني آخر يبقى له تقديره واحترامه غير أنه لا يرقى إلى مستوى حصافة المختار إن صح هذا التعبير.

الدور الدعوي والتربوي لمختار سيدي:

من خلال المفاوضات التي أفضت إلى تفاهم بين الأميرين غاني والي كمرًا ومخا ملي سماري، تم تحديد إطار عام ينظم العلاقة مع المختار سيدي كعالم رباني فقيه، ضمن نفوذ الأميرين خاصة في حدود إمارة كيدماغة وللابد. رضي المختار بشرط أن يدخل الأميران الإسلام وأن لا ينازعه في أمر ديني، وأن لا يتسبب في إراقة دمه أو دم أحد من ذريته، فوافقا.

وبما أن غاني كمرًا ورفاقه قدموا من ماندي فقد اصطحبوا معهم مخرجات دستور كوركان فوكا، الذي أسند حراسة الدين في ماندي إلى الأسر الخمسة حصريا، وهم (سيدي ماندي مودي، توري ماندي مودي، جاني ماندي مودي... الخ)، كتحصيل حاصل فإن غاني كمرًا اقترح أن يتولى المختار سيدي مهمة حراسة الدين في كيدماغة ويورثها في عقبه من بعده، وإذا حصل أن قدم أي عالم ديني أو فقيه آخر خارج دائرة أسرة سيدي إلى الإمارة، فأمره راجع إلى المختار وذريته يسندون إليه ما يرونه بالتفاهم.

لم ينازع الأمير مخا سماري غاني كمرًا في شيء من مقترحاته، ورضي المختار كذلك بقسمته، فبدأوا في تقرير البنود وتحديد الصلاحيات، وهي كثيرة ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أ- المختار سيدي وذريته هم حصريا المراجع الدينية لمخا سماري وذريته

سيعود أولا إلى أهله ثم ينظرون في الأمر، وفي الطريق شاءت الأقدار أن يلتقي بغاني كمر الذي تشبث به وأقنعه بضرورة مصاحبته، فانطلقوا حتى أتوا على الأمير مخا سماري في عاصمته فلعب المختار دور الوسيط بين القائدين، هذا بعدته وعتاده، وهذا بأرضه وشعبه. رحب مخا سماري بغاني كمرًا في أرضه على أن يتعاونوا على حفظ الحدود وتقسيم النفوذ داخل حدود الإمارة (كيدماغة).

كانت إمارة مخا سماري تعتمد على الزراعة وربما تعرضوا لإغارات مستمرة من بعض القوى التي لم تكن خاضعة لسلطة مركزية.

أخذ غاني والي كمرًا على عاتقه مهمة الدفاع عن الحدود الشرقية والشمالية، في حين انكفأ مخا نحو الغرب والجنوب العربي للإمارة. وقبل ذلك تعرض غاني كمرًا لخداع من طرف مخا الذي كان يريد سر الزراعة، ولأن غاني كمرًا كان حصيما لم يستسلم للخداع فسعى لمصاهرة مخا ومن خلال زوجته توصل إلى خيوط المكر الذي حيك ضده، وبعده انحدر مخا مالي صوب المناطق الرطبة حول ضفاف النهر. وكنا قد اتفقا على من أحيا أرضا يمتلكها، ومن أسس قرية يتولى تسيير شؤونها بمعنى يصبح المسؤول الأول فيها ويورث تلك المسؤولية ذريته من بعده. إذ لابد لكل تجمع أو قرية أو مدينة جديدة من إمام يقوم بشؤون

تكون مكافأته إحدى زوجات سونجاتا وأحبها إليه، ولا شك أن أمرا كهذا سيكون مرجحا للغاية ومع ذلك حسب الروايات تنازل له سونجاتا عن زوجته المسماة «تنقاي كانتني»، ونال القائد غاني كمرًا مكافأته الغالية ولكن الرياح غالبًا تجري بما لا تشتهي السفن، فقد أصبح وجود غاني كمرًا محفوفًا بالمخاطر من هنا نصحه أحد مقربيه بضرورة مغادرة أرض الماندينغ لينجو بنفسه من مكر الملك سونجاتا من جهة ومن انتقام المتربصين به من جهة أخرى.

خرج غاني والي بزوجه عام 1235م، باحثًا عن موطن آمن يعيش فيه حياته الطبيعية، فتبعه مجموعة من جنود كتيبته الذين كانوا معجبين به غاية الإعجاب، وفي طريق البحث التقوا بالعالم الرباني المختار بن محمد سيدي (المختار جابي سيدي) رفقة طلابه وحاملي مكتبته العلمية حسب رواية محمد الأمين المختار انجاي في منطقة «ستوخولي»، وكان المختار عائدًا من عند شيوخه، قيل في تيشيت، وقيل في شنقيط، ويقول محمد الأمين المختار من جهة الشمال دون تحديد منطقة معينة. وكان المختار اعتاد المرور على الأمير مخا ملي اندو سماري الذي كانت عاصمة إمارته على جبل العصابة مطلّة على قرية انجيو الحالية في شرق كيدماغة، وكان مخا قد عرض على المختار البقاء في أرضه ليتخذوه مرجعا دينيا، فاعتذر المختار بأن



المراجع

إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانا الإسلامية، الهيئة العامة للنشر والتأليف، الجمهورية المتحدة 1970م.

أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني «إمبراطورية مالي» ط: المجتمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة 1999م.

أحمد الشكري، مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1997م.

أحمد إلياس حسين - العلاقات بين المغرب الأقصى وبلاد السودان في القرن (2هـ / 8م) حملة السودان وقيام دولة أنبية..

إيفان هربك، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثالث. جبريل يناني، سونجاتا ملحمة شعب الماندينغ، ترجمة توحيد علي توفيق، مراجعة أمينة رشيد وحلمي شعرواي، ط1، 2010.

جوان جوزيف - الإسلام في إمبراطوريات وممالك غرب إفريقيا، ترجمة أحمد فؤاد بلبع.

حسن علي حسني، الحضارة الإسلامية، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، ط1، 1980، مكتبة الخانجي بمصر.

الحسين بن الشيخ سليمان، تاريخ بني صالح شرفاء كومبي صالح، ط1، 2010، بيروت.

عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988.

محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، الدار الوطنية للتوزيع والنشر.

رعى المختار سيسي هذه البنود حق رعايتها وكذلك الأوائل من ذريته، ثم خلف من بعدهم خلف فرطوا في المسؤوليات إلا من رحم ربك، لا سيما بعد دخول المستعمر إلى منطقة كيديماغا وإحراق المحاضر بما فيها من المكتبات العلمية، وقتل وتشريد آخرين في الآفاق، فتدنست المستويات وتراجع العطاء العلمي والتربوي بشكل ملحوظ.

يكفي المختار شرفا أنه جمع بين الأميرين ووفق في هدايتهما وتوحيد جهودهما، فأخذ عليهما شرط التكامل والناصر، وأن لا يتنازعا أو يتقاتلا، كما أعان على بث التعاليم الدينية بالحكمة والموعظة الحسنة، فدان له كل الرعية بالولاء والمحبة واحترموه لحد التقديس، يذكر أنه ألف سبعة كتب لا نعرف مضامينها ولا مواضيعها، وخلف ثناء وذكرًا جميلاً، وجعل الله له لسان صدق في الآخرين، رحمه الله تعالى وجعل مثواه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ولغاني كمرا وذريته الذين سيولدون بعد هذا الاتفاق، أما الذين ولدوا قبل الاتفاق فان مرجعهم «لسوخنا». وهم كمرا دانسوغو أي بطون قبائل بتخولو.

ب- يتولى المختار وذريته التعليم والإرشاد والإمامة، يتوارثون هذه المهام داخل حدود كيديماغا لا ينازعهم فيها أحد،

ت- ويتولون تقييم الأموال وأخذ زكاتها وتوزيعها حسبما يرون، ث- ولا يعقد نكاح ولا يسمى مولود إلا بحضورهم

ج - هم المسؤولون عن تجهيز الموتى والصلاة عليها،

ح - هم معفون عن الأعمال الجماعية بحكم تفرغهم لمهام التربية والتعليم.

خ - الأكبر سنا هو الإمام تلقائيا بغض النظر عن مستواه العلمي وله أن ينوب من يؤم الصلاة، كما يجوز له أن يسند صلاحياته لمن يرى داخل الأسرة، إلا أن النائب أو الوصي لا يجوز له فعل أي شيء إلا بعد التشاور معه.





منظومات الشناقطة في إعراب الجمل

توطئة

يبلغ عدد أبيات المنظومات المحققة اثنين وثمانين وسبع مائة بيت (782)، موزعة على اثنتي عشرة منظومة. وتتفاوت هذه المنظومات على مستوى الطول والقصر، فأطولها منظومة الشفيغ بن المحبوبي التي يبلغ عدد أبياتها ستة وستين ومائة بيت (166)، وأقصرها أبيات المختار بن بونا التي ختم بها منظومته «سلم الطالبين» حيث بلغت خمسة أبيات (5). هذه المنظومات منها ما هو متمحض لموضوع الجمل وأشباهاها، ومنها ما هو جزء من منظومات في النحو اكتفيت بأخذ جزئها المتعلق بالجمل وأشباها الجمل. اعتمدت في ترتيب المنظومات داخل التصنيفين (المنظومات المتخصصة - المنظومات المقتضبة) ترتيباً حسب وفيات المصنفين.

تجلى جهود الشناقطة في إعراب الجمل في منظومات حاكها علماء متمكنون استطاعوا من خلال تقريب هذه المادة لطلبة العلم، وقد ارتأيت أن أصنف هذه المنظومات تصنيفين: منظومات متخصصة اختار مصنفوها التوسع والتفصيل ويمثل هذه الفريق: محنض باب بن ابيد، وأحمد بن محمد فال، والشفيغ بن المحبوبي ومحمد المختار بن بلال، و محنض باب بن ابيد، ومحمد فال بن الشيخ الحسين، ومنظومات مقتضبة مال مصنفوها للتجوز والاختصار ويمثل هذا الفريق: المختار بن بونا، وحبيب الله بن ماياب، ومحمد شيخنا بن لمرباط آباء أمانة الله، ومحمد يحيى بن محمد المامي، ومحمد عبد الله بن الصديق.

بأشباها الجمل وما يتعلق منها وما لا يتعلق، وخاتمة.
البيت الأول من المنظومة قوله:
يَقُولُ مَنْ يَنْمَى إِلَى مُحَمَّدٍ
أَحْمَدُ رَاجِيًا رِضَاءَ الصَّمَدِ
والبيت الأخير منها قوله:
وَأَلِهَ وَصَحْبِهِ أُولَى الْقَضَا
وَتَابِعِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقَضَا

بِفَضْلِهِ وَشُكْرُهُ أَلْهَمَنَا
أَمَّا الْبَيْتُ الْآخِرُ فَهُوَ قَوْلُهُ:
وَحَمْدُهُ الرَّحْمَنُ حَمْدُهُ الْأَتَمُّ
فِي كُلِّ حَالٍ مَبْدَأٌ وَمُخْتَتَمٌ

2- منظومة أحمد بن محمد فال :

يبلغ عدد أبياتها ستة وعشرين ومائة بيت (126) من بحر الرجز، وتسمى « مزنة الأعراب في جمل الإعراب » كما صرح بذلك مصنفها في المقدمة حيث قال:
سَمَّيْتُهَا بِمُزْنَةِ الْأَعْرَابِ
تَسْقِي رُبُوعَ جَمَلِ الْأَعْرَابِ

بدأها بمقدمة وتوطئة، ثم عرج على الفرق بين الكلام والجمله، ثم انقسام الجمله وأنواعها، قبل أن يأتي على الجمل التي لها محل والتي لا محل لها، ثم بعض الأحكام المتعلقة

أولاً: المنظومات المتخصصة:

واخترت لها صفة التخصص نظراً لما تضمنته من تفاصيل حول أحكام الجمل وأشباهاها، وهي تفاصيل لا يهتم بها إلا المتخصصون في المجال.

1- منظومة محنض باب بن ابيد:

يبلغ عدد أبياتها اثنين ومائة بيت (102) من بحر الرجز، تطرق فيها المصنف - بعد المقدمة - إلى أحكام الجملة بدءاً بأقسامها، ثم الجمل التي لا محل لها من الإعراب، ثم التي لها محل ثم أشباها الجمل، ثم الخاتمة.

البيت الأول من هذه المنظومة هو قوله:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَنَا

3- منظومة الشفيغ بن المحبوبي:

يبلغ عدد أبياتها ستة وستين ومائة بيت (166) من بحر الرجز، وهي جزء من منظومة «نبراس الهداة» لمغني اللبيب عن كتب الأعراب البالغ عدد أبياتها اثنين وتسعين وأربع مائة وألفين (2492) تضمنت كل الأحكام التي أوردها ابن هشام في كتابه المغني، البيت الأول من

1 - هو محنض باب بن أحمد بن المختار بوي بن يعقوب بن باركل، ولد عام (1185-1171م - 1277-1277هـ - 1860م).
2 - هو أحمد ولد محمد فال قبيلة تنواجيو، بطن أهل الحبيب، (1313هـ - 1896م - 1385هـ - 1966م).

المؤكث الثقافي
www.cnecs.mr
نصف سنوية - تصدر عن اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم
مجلة علمية - محكمة
الجمعية الوطنية للتربية والثقافة والعلوم
CNECS

مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِيِّ السَّامِيِّ
وَأَلِهٍ وَصَحْبِهِ الْكَرَامِ

الأبيات التي خصصها للجمل هي خمسة أبيات (5) اقتصر فيها على تعداد الجمل التي لا محل لها من الإعراب ثم التي لها محل.

البيت الأول من الأبيات:
مَا لَمْ يُعَاقَبْ مُفْرَدًا مِنَ الْجَمَلِ
فَمَا لَهُ - فَأَعْلَمَ - فِي الْإِعْرَابِ مَحَلٌ

البيت الأخير هو:
وَمَا تُعَاقَبُ مُفْرَدًا قَدْ اسْتَقَرَّ
لَهَا مَحَلُّهُ كَجُمْلَةِ الْخَبَرِ
حظيت منظومة سلم الطالبين بعدة دراسات وأقيمت حولها رسائل جامعية.

2- منظومة حبيب الله بن ماياب⁸:
وتقع في خمسة عشر بيتا (15)،
من بحر الرجز، تحدث فيها بشكل
مختصر عن أنواع الجمل وموقعها
الإعرابي، البيت الأول من منها قوله:
حَمْدًا لِمَنْ حَبَا لِسَانَ الْعَرَبِ
بِمَا حَبَاهُ مِنْ خَفَايَا الْعَجَبِ

والبيت الأخير هو قوله:
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِكْمَالِهِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ لِلنَّبِيِّ وَآلِهِ

3- منظومة محمد شيخنا بن اباه⁹:
وتقع منظومته في عشرين بيتا
(20) من بحر الرجز وتسمى «إفادة
الطلاب فيما للجمل من الإعراب»
ضمنها تعداد الجمل وشبهها والفرق
بين الجملة والكلام، ثم بيان الفرق
بين الجملة الاسمية والفعلية، ثم
ختم بسرد الجمل التي لا محل لها
من الإعراب وأتبعها بالتي لها محل،
وختم بحكم الجمل بعد المعارف
والنكرات.

لها محل، ثم ختم بأنواع الجملة:
الفعلية والاسمية وذات وجه وذات
وجهين وما فيه خلاف.
البيت الأول من المنظومة قوله:
حَمْدًا لِمَنْ أَمَرَ أَنْ أُصَلِّيَ
مُسْلِمًا عَلَى إِمَامِ الرُّسُلِ

والبيت الأخير منها قوله:
وَأَخْتَلَفُوا فِي كَطَنَنْتُ عُمَرَا
جَاءَ، وَكَانَ أَمْرُ زَيْدٍ ظَهَرَا
حظي هذ النظم بشرح أحد طلبة ابن
بونا، هو سيد محمد بن سيد عبد
الله بن الحاج ابراهيم⁷

المنظومة الثانية: وهي أبيات ذيل
بها منظومته «سلم الطالبين» وهي
منظومة للمبتدئين في النحو تقع في
خمس وستين ومائة بيت (165)،
من بحر الرجز يقول في مطلعها:
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى أَبَدًا
عَلَى مُحَمَّدٍ وَمَنْ بِهِ اهْتَدَى

ويقول في البيت الأخير:

البيت الأخير هو قوله:
وَاللَّهِ أَسْأَلُ قَبُولَ الْعَمَلِ

وَلَطْفَهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ

ثانيا/المنظومات المقتضبة:

اخترت صفة «مقتضبة» لأن مصنفها
اختاروا عدم الغوص في التفاصيل
فاختصروا وتجاوزوا، ولعل السبب
يعود إلى أنهم عقدوها للمبتدئين
والصغار ويدعم هذا الافتراض ما
صرح به محمد عبد الله بن الصديق
في آخر منظومته حيث أكد أنه
نظمها لابنته السالمة كما سيأتي.

1- منظومتا المختار بن بونا⁶:

للمختار بن بونا منظومتان مقتضبتان
في الجمل:

المنظومة الأولى: وتقع في ستة
عشر بيتا (16) من بحر الرجز، ركز
فيها على تعداد الجمل بدءا بالجمل
التي لا محل لها من الإعراب، ثم التي

6 - هو محمد قال بن الشيخ الحسين بن محمد بن أحمد بن حمزة أمه: آمنة بنت المختار بن أحمد بن حمزة ولد سنة 1949 (مازال حيا)
7 - هو المختار بن بونا الجكني، عالم ونحوي ومؤلف، أخذ عن المختار بن حبيب الجكني ومحمد بن بونجد المجلسي والمختار بن باب حوزن الحسني، توفي رحمه الله عام 1806م
8 - هو الشيخ محمد حبيب الله بن ماياب الجكني (1878-1943م)
9 - هو محمد شيخنا بن اباه ابراهيم بن أمارة الله بن محمد الأمين، يفتي لجمعية لتوبة ت: 1426هـ 2005م



قائمة المصادر والمراجع

- المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوي ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء - د. يحيى البراء، المجلد الثاني
- مقابلة مع السيد باب الديه أحد أقرباء المصنف بتاريخ 15 يونيو 2024.
- نبراس الهداة، منظومة مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام
- أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق وجهودهم العلمية وقضاياهم العامة - أبو علي بحيد بن الشيخ يربان القلقمي الإدريسي
- التاريخ القويم - محمد طاهر الكردي المكي
- ترجمة أعدها نجل محمد يحيى بن محمد المامي المتفشي: محمد محمد يحيى محمد المامي.
- الإتحاف المستجد الجمل في أحكام إعراب الجمل - د. محمد بن المحبوبي - مؤسسة قطر الندى

4- منظومة محمد عبد الله بن الصديق¹¹:

وتقع في ثمانية عشر بيتا (18)، من بحر الرجز، تناول فيها تعداد الجمل بدءاً بالتّي لها محل من الإعراب ثم التّي ليس لها محل من الإعراب، وفي الختام أخبر أنه عقد هذه المنظومة من أجل تقريب المادة لبنت السالمة حيث يقول:
وَقَدْ نَظَّمْتُ ذَا لِبْنَتِ السَّالِمَةِ
لَا بَرَحَتْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ سَالِمَةٍ

البيت الأول من المنظومة هو:
الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرَ الْحَمْدِ جَلَّ
عَنِ الْمَحَلِّ فَهُوَ خَالِقُ الْمَحَلِّ

البيت الأخير من المنظومة هو:
ثُمَّ أَصْلَى وَأَسْلَمَ عَلَى
خَاتِمِ رُسُلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا

البيت الأول من المنظومة هو قوله:
الْحَمْدُ لِلَّهِ مَحَامِدٌ يَعْذُ

جُمَلِ الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ إِذْ تَرُدُّ

والبيت الأخير هو قوله:
وَذَا لِأَنَّ الْحَالَ بِالْمَعَارِفِ
يَخْتَصُّ غَالِبًا بِعَكْسِ الْوَاصِفِ

4- منظومة محمد يحيى محمد المامي¹⁰:

وتقع في سبعة عشر بيتا (17) من بحر الرجز، تناول فيها أنواع الجمل وأقسامها مستهلا التقسيم بالجمل التي لها محل ثم التي لا محل لها. البيت الأول من المنظومة هو قوله:
تَنْقَسِمُ الْجُمْلَةُ لِلْإِفَادَةِ

وَعَبْرَهَا وَأَسْمُ الْكَلَامِ عَادَهُ

البيت الأخير قوله:
وَإِنْ تَلَّتْ عَادِمَةُ الْمَحَلِّ
جُمْلَةً أُخْرَى فَلَهَا التَّسْلِي

10 - هو محمد يحيى بن محمد المامي بن أحمد سالم بن محمد مولود بن حبيب الله بن أحمد بن محمد عبد الله بن حبيب الله بن عبد الله الملقب عم جده بن أوليك بن عامر بن أيال بن ابنظام بن محمد بن يعقوب الجد الجامع لقبيلة المعقوبيين «إديب»، (1339هـ/1920م - 1271هـ/1987م)

11 - الشيخ محمد عبد الله بن أحمد بن محمد اختار بن الصديق الحكيم الشنقيطي والد بالوسط الموريتاني بولاية لعصابة سنة (1345هـ - 1927م - 1434هـ/2012م)



الاتجاه التاريخي في النقد العربي المعاصر وإشكالية تاريخ الأدب والتاريخ الأدبي

1 - ملخص :

يسعى هذا المقال إلى مراجعة بعض الأطروحات التقليدية حول النقد التاريخي، والمناهج السياقية بشكل عام، خاصة بعد لجوء المدارس البنيوية المتأخرة إلى خارج النص استكمالا لعملية الوصف والتحليل. كما أعادت أطروحات ما بعد البنيوية خاصة نظريات القارئ، والنقد الثقافي الاهتمام - وإن من منظور مختلف - بالسياق والتأويلات الخارجية للعمل الأدبي. وهكذا سنعرض في هذه العجالة لطبيعة هذا المنهج، وأعلامه في النقد الغربي، ثم «استقباله» في السياق العربي، بدءا بطله حسين ، ومحمد مندور، ووصولاً لشوقي ضيف، ومحمد المختار ولد اباه، وانتهاءً بمحمد ولد بوعلييه ودعوته إلى إعادة كتابة التاريخ الأدبي من خلال نظرية الاستقبال.

2 - مقدمة :

مستوى النظرية أو التطبيق النقدي بالعوامل الخارجية خاصة المتعلقة منها بالدينامية التاريخية، ليس عملا ميكانيكيا وليس نموذجا للتعبئة أو التفسير أو القراءة الجاهزة، بل إنه يفترض مستوى من احترام القيمة الفنية لنص ما تكون منطلقا لمحاولة قراءته على نحو يكشف للدارس طبيعة الإشكالات أو الوقفات، أو الأسئلة التي لديه في سياق دراسته لجماليات هذا الشعر. وسنحاول أن نتعرف في البداية على هذا المنهج النقدي في سياق النقد الغربي على نحو موجز ثم نتوقف عند معالمه الجوهرية في النقد العربي المعاصر.

إن علاقة النقد بالتاريخ هي ذاتها علاقة الإنسان بالزمن. فالناقد، وهو يتتبع الأعمال الأدبية، إنما ينظر في أعمال منجزة خارج لحظته التي يكتب فيها، وعمله هو ذاته سيصير بعد لحظات معدودة جزءا من التاريخ أو الإنتاج الثقافي أو الأدبي «الماضي». من هنا، فإن محاولة عزل التاريخ عن الدراسة النقدية هو ضرب من العبث، فلا يمكن أن يتوقف الزمن، لندرس أعمالا دراسة «سكونية» تسلم من إكراهات اللحظة المنصرمة، أو تأثيرات الماضي المنصهرة في «الماكينة» العقلية والفكرية واللغوية للناقد. غير أن من اللازم القول: إن ربط العمل الأدبي، إن على

3- المنهج التاريخي في النقد الغربي:

يمكن القول: إن النظرة إلى التاريخ في تأثيره على الحركة الفكرية والثقافية والأدبية وغيرها من أوجه النشاط الإنساني قد تبلورت، أساسا، في العصر الحديث من خلال المدرسة «الرومانسية» والفلسفة «الهيكلية» و«الوجودية» و«الماركسية» إضافة إلى مجموعة من نقاد القرن التاسع

عشر، ومطلع القرن العشرين الميلادي ممن تأثروا بالاتجاهات العلمية، دون أن نحصر الدراسات التي أولت اهتماما بالتاريخ، أو انطلقت منه في تحليلاتها وأطروحاتها في هذه التيارات والحقول المعرفية.

وقد شكل العصر الرومانسي، بمفهومه الواسع، قطيعة واضحة مع العصور التي سبقتها وهو، وإن خرج من رحمها، فإن ذلك كان بطريق

السلب، وعبر عملية ولادة قيصرية صعبة أدت إلى وفاة الأم، وخروج وليد يحمل جيناتهما الوراثية، ولكنه مضطر إلى خلق آلياته الحياتية والفكرية والثقافية بمجهوداته المستقلة.

وهو كان قطيعة، لأنه عصر انبثاق الديمقراطية على حساب الدكتاتورية، والليبرالية والبرجوازية، بديلا عن الإقطاع الزراعي التقليدي والثورة

وإذا كان المنهج التاريخي قد خطا خطوات واسعة نحو اتضاح ملامحه العامة مع سانت بيف، فإن هيوبوليت تين سيعمل على وضع قواعد أساسية محددة لدراسة العمل الأدبي.

هيوبوليت تين (1882-1893):

واصل «هيوبوليت تين» مشروع أستاذه سانت بيف وطوره واشتهر بأطروحته الشهيرة التي تعود بإنتاج الأديب إلى ثلاثة عناصر هي: البيئة، الجنس، العصر.

وقد طبقها، بصرامة، في محاولة للوصول إلى طبيعة الإبداع الفني والعوامل الكامنة وراءه، ويرى «رينيه ويليك» أن من الخطأ اعتبار «تين» وصفا طبيعيا. وقد تعلم من هيغل، الذي كان قد قرأه في عهد التلمذة «أن ينظر إلى الحقب التاريخية كحظات، وأن يبحث عن العلة الداخلية. غير أن «تين» لا يفكر في التطور باعتباره تطورا أدبيا منفصلا أبدا، لأن الأدب يعتمد على المجتمع ويمثله، كذلك يعتمد الأدب على «اللحظة» لكن «اللحظة» عند «تين» تعني، في العادة «روح العصر»⁵، وقد أخذ عليه إهماله للعبقريّة الفردية. وقد عاد «تين» إلى الاعتراف بهذا البعد في دراسة الإبداع الأدبي من خلال توقفه عند عبقرية شكسبير⁶.

ابروننتير (1849-1906):

حاول ابروننتير أن يستفيد من نظرية النشوء والارتقاء عند «داروين» وأن ينقلها إلى دراسة الظاهرة الأدبية من خلال استعراضه لأجناس أدبية من مرحلة ولادتها ثم نضجها وصولا إلى اختفائها وانبثاقها أجناسا جديدة، وقال: إن «اتراجيديا الفرنسية» ولدت مع جوديل، ونضجت مع

سانت بيف (1804-1861)

دعا «سانت بيف» إلى إعادة النظر في الدراسة الأدبية الكلاسيكية وراهن على شخصية المبدع، وسيرته وظروفه الاجتماعية، وتكوينه الشخصي، وتجاربه الحياتية في الكشف عن «الحقيقة» الأدبية، ولكي يتمكن من إنجاح مشروعه، فقد قام بتصنيف الأدباء إلى مجموعة من العائلات أو الفصائل التي تجمعها خصائص معينة في نظره.

وسانت بيف - بهذا - لا يريد أن يكون مؤرخا، بل نحاسا.. فهو لا يريد ترجمة حياة نفسية وإنما يريد أن يؤلف صورة لأديب موضوع البحث، فالأبحاث الوثائقية والثورة على التحليل لا تكفي للناقد بل يلزمه أيضا من أجل الوحدة الإجمالية للوصف أن يستعمل حدسه بوصفه شاعرا، وموهبته عند التجارب، ويصبح النقد بمفهومه ابتكارا مستمرا.

وقد جعل نقده تاريخيا ولكنه لم يدرس التاريخ لذاته، فهو ليس مؤرخا ولكن لديه زوايا تاريخية². بذل سانت بيف، أول جهد جدي للتخلص بشجاعة من النقد المطلق، ومن جمل الفصاحة الجوفاء بل وكان حريصا على الوصف أكثر من أن يطلق أحكاما، وأن يتقرب، بود، من شخصيته أكثر لا أن يرجع إلى عقيدة، فهو أول مهمد لنقد توافق مهمته أن يجد شخصيته ويرسمها³. وسانت بيف وإن كان يصنف رائدا للمنهج التاريخي، فإن له امتداداته المتداخلة مع المنهج الاجتماعي وهو أمر لا يقتصر على هذا الناقد بل على معظم النقاد الذين سيتلون، بمعنى أن أهم المبادئ التي تمت بعد ذلك، واستقرت في النقد الاجتماعي قد نشأت في حضان النقد التاريخي⁴.

العلمية والتكنولوجية، مقابل «الرجعية» الفكرية والتخلف الثقافي. وقد مثل ميلاد مدرسة فكرية وأدبية تسير، بتوازن مؤثر، وفاعل مع تلك الفواصل الكبرى الفارقة في مفصل النظام العالمي الذي تبلورت معالمه الأساسية منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، هي المدرسة الأدبية الرومانسية بأذرعها النقدية والتنظيرية.

إن الرومانسية - إذن - في الفكر النقدي هي التي بدأت توجه إلى التنظيم المنتظم للتاريخ باعتباره حلقة من التطور الدائم يتم فيها تصور الأدب باعتباره تعبيراً عن الفرد والمجتمع، وعن الحياة في تدفقها وانهمارها¹.

وكان للفلسفة الهيكلية ثم الماركسية بموازاة مع ذلك فهمها «الثوري» لشأن التاريخ وحركته مع اختلاف جذري في المنهج والنتائج.

وليس من عملنا ولا من «إستراتيجية» منهجنا أن نقدم هذه المدارس والاتجاهات على نحو مفصل يترصد بنيتها الكلية ويسعى لكشف عناصرها الفاعلة، وامتداداتها في بعضها، ومع غيرها، فلذلك مصادره في البيئات المنتجة، وله أعماله المترجمة والمؤلفة، وغاية ما نسعى إليه، في نظرنا، دراسة المنظور التاريخي في النقد العربي المعاصر، منطلقين من مرجعيته في النقد الغربي، ومن خلال أبرز نماذجه. وسنتوقف في سياق مصادر هذا النقد عند أكثر اعلامه الغربيين تداولاً في أدبياتنا النقدية، وأبلغهم تأثيراً في بناء نموذج لهذا المنهج في منطقتنا العربية.

1- عمر محمد الطالب: منهج الدراسات الأدبية الحديثة، دار البسر، الدار البيضاء، ط 1/ 1988، ص: 18.

2- عمر محمد الطالب، مرجع سابق، ص: 22.

3- عمر الطالب، مرجع سابق، ص: 23.

4- د. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، الدار البيضاء 2001، ص: 32.

5- ريفيه ويليك: مفاهيم نقدية، ترجمة د. محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 110، فبراير 1987.

6- د. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص: 31.

4- النقد التاريخي العربي المعاصر:

وإذا كان هذا المنهج قد تم تجاوزه إلى حد كبير منذ الربع الأول من القرن العشرين الميلادي دون أن يختفي تماماً خاصة في بعض الجامعات الغربية، فإن اعتقاداً يترسخ في العقول الأخيرة مؤداه: أن هذا المنهج يمثل مستوى من مستويات الدراسة الأدبية لا يمكن الاستغناء عنه، كما أنه كان مكوناً مهماً من مكونات مناهج تركيبيّة ذات طابع نصي خارجي، كالمناهج البنيوي التكويني.

ومهما يكن النقاش الذي أثاره هذا المنهج في الغرب، فإنه كان من أوائل المناهج التي تحكمت في الساحة النقدية العربية وتلقفها رواد النقد العربي الحديث وعلى رأسهم طه حسين، وأحمد حسن الزيات، وشوقي ضيف ونجيب البهيتي، ومحمد المختار ولد أباه وشكري فيصل وغيرهم.

1. طه حسين (1889-1973):

كان «طه حسين» من أكثر النقاد العرب صراحة في الاستقلال بمنهجه التاريخي، وربما كان، أيضاً، من أوضحهم فهماً له في مصادره الغربية ومن أفضلهم تعبيراً عن ذلك الفهم.

وليس من شأننا هنا دراسة أشكال التحول والتداخل بين مختلف المناهج التي اشتغل طه حسين، من خلالها، على المدونات الأدبية: شعراً ونثراً من العصر الجاهلي إلى «النهضة» المعاصرة، والمجازيات الإبداعية والنقدية الغربية من اليونان إلى العصر الحديث، وسنكتفي من ذلك، بمحاولة الاقتراب من منهجه التاريخي، لنستجلي طبيعته وملامحه العامة، منبهين إلى أن هذا

شابها الكثير من اختلاف التصورات والمقاصد، فإن «رينيه ويليك» تفتن على نحو ذكي، إلى خطوط الاتصال والانفصال بينهما، ومؤرخو الأدب الذين ينكرون أهمية النقد، هم أنفسهم نقادون أن يشعروا، فتاريخ الأدب شديد الأهمية للنقد الأدبي طالما لم يخرج هذا النقد عن إطار الميل والنفور الذاتي، والناقد الذي يقتنع بجهله في حقل العلاقات التاريخية سرعان ما يضل في أحكامه الأدبية فليس باستطاعته أن يعرف أي الأعمال أصيل أو منقول⁷.

وتتلخص العملية الأساسية في المنهج التاريخي في معرفة النصوص الأدبية ومقارنتها بعضها ببعض للتمييز بين الفردي والجماعي والأصيل من التقليدي.

وللنهوض بهذا العمل هناك عدة وسائل «كالتأثر الثقافي والتحليل المنزوي، ومعرفة المخطوطات والتواريخ وحياة الكتاب، ونقد النصوص وتاريخ اللغة والنحو وتاريخ الفلسفة وتاريخ الأخلاق والعلوم الأخرى علينا أن نجمع في كل دراسة بين التأثر والتحليل من جهة والوسائل الدقيقة للبحث من جهة أخرى¹⁰.

كورني، وشاخت مع فولتير، ثم مات قبل هوغو.. واستخدم في تواريخه لأنواع الأدبية بشبيه الصراع من أجل البقاء لكي يصف تنازع الأنواع هذه، وقال: إن بعض الأنواع تتحول إلى أنواع أخرى، فالخطابة الوعظية الفرنسية التي نجدها في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين تحولت إلى القصائد الغنائية التي أنتجتها الحركة الرومانسية...⁷.

ويرد ويليك على آراء ابرونتيير، في نوع من «التهكم»: «لكن لن يصدق احد أن أياً من الأنواع الأدبية قد تحول إلى سواه، ولن يرضى احد عن محاولة ابرونتيير مقارنة دور العبقريّة في الأدب في تأثيرها المحدد، بدور «الصدفة» الداروينية، أي التغيير الميكانيكي لصفات الشخصية»⁸.

جوستان لانسون (1857-1934):

ويعد «جوستان لانسون» من أبرز رواد المنهج التاريخي، حيث قام بتأمل عميق في الحصلة النظرية والتطبيقية النقدية التي تركها أسلافه.

وإذا كانت العلاقة بين النقد التاريخي وتاريخ الأدب علاقة معقدة

7- رينيه ويليك: مفاهيم نقدية، ص: 35.

8- المصدر ذاته والصفحة ذاتها.

9- رينيه ويليك وأوستين وارن: نظرية الأدب، ترجمة محمد الدين صبحي، بيروت ط2/ 1981، ص: 45.

10- عمر محمد الطالب: مرجع سابق، ص: 27.



عليه فيه، ولكنني أعتمد فيه على الذوق، وهذا القسم هو النقد فمهما أحاول أن أكون عالما، ومهما أحاول أن أكون موضوعيا، فلن أستطيع أن استحسن القصيدة من شعر أبي نواس إلا إذا لاءمت نفسي ووافقت عاطفتي وهوأي¹¹.

وهنا تبدو الرؤية واضحة لطف حسين فيما يتعلق بحدود العلاقة بين المؤرخ الأدبي والناقد، وهي علاقة معقدة وحساسة، كما تفاوتت بشأنها الآراء وتشعبت كما لاحظناه سابقا.

ويعتقد طه حسين أن الناقد التاريخي يعتمد على ذائقته الجمالية مع اختبار أدوات البحث التاريخي في حين أن عمل مؤرخ الأدب يركز على هذه الأدوات والآليات دون أن يخلو عمله في بعض مراحله من موقف نقدي.

2. محمد مندور (1907-1965):

أما «محمد مندور» فقد اختار المنهج التاريخي في بداية ممارسته للنقد، وذلك في أطروحته للدكتوراه في فرنسا وعنوانها: «النقد المنهجي عند العرب» التي نشرها بعد ذلك، وأصبحت من أمهات مراجع النقد العربي «الكلاسيكي»¹².

يقول «محمد برادة» شارحا طبيعة المنهج التاريخي عنده:

«... والواقع أن محمد مندور عندما يتحدث عن المنهج التاريخي، فإنه يفهمه بطريقة جد خاصة، فعلى امتداد صفحات الكتاب لا نعثر على أي تحليل للوضع التاريخي أو الاجتماعي الذي أنجب هؤلاء النقاد ووجه كتاباتهم، بدلا من ذلك يكتفي مندور بأن يعرض حسب الترتيب الزمني ملخصا لأفكار النقاد العرب

الاحترار يندرج في مفهومه على كل النقاد التاريخيين الذي سنعرض لهم بمستويات متفاوتة في هذا العرض الموجز.

ونلاحظ اهتمام طه حسين بالمنهج التاريخي مبكرا، فقد ألف كتبه:

- «حديث الأربعاء» (على غرار حديث الاثنين لسانت بيف) 1922-1925،

في الشعر الجاهلي (الذي صار فيما بعد «في الأدب الجاهلي») 1926-1927.

- «ذكرى أبي العلاء» 1914، وقد أثار فيها مجموعة من القضايا النقدية كمسألة «انتحال الشعر» و«الصدق والكذب»، وغيرها من القضايا التي واصل نقاشها وتطويرها في أعماله اللاحقة مثل «خصام ونقد» و«المتنبى»، و«نقد وإصلاح

ثم يحدد عناصر منهجه التاريخي مهتما بالناحية الإجرائية الفنية متأثرا بلانسون يقول: «أريد أن أدرس شعر أبي نواس فأنا مضطر أول الأمر إلى أن أبحث عن هذا الشعر، ولهذا البحث المنظم قواعده وأصوله، فإذا وجدت هذا الشعر، فأنا مضطر إلى أن أقرأه، وأحقق نصوصه، وأقارن مقارنة علمية دقيقة بين النسخ التي تشتمل عليه، فإذا استخلصت من هذه النسخ المختلفة والنصوص المتباينة نصا انتهى إليه بحثي واختياري، فأنا مضطر إلى أن أقرأ هذا النص قراءة الباحث المنقب الذي يريد أن يفهم ويفسر ويحلل ويستخلص ما في هذا الشعر من خصائص لغوية أو بيانية، فإذا أنا فرغت من هذا كله، فقد انتهى القسم العلمي الخالص من عملي مؤرخا للأدب، وبدأ القسم الفني الذي أجتهد في أن أخفف تأثير شخصيتي

الكبار، وبمجرد شروعه في الحديث عن الأمدي ندرك أن المنهج التاريخي معناه عند مندور التسليم بوجود نشوئية تتطور من الفج إلى الناضج لكن هذا النضج أخذ في الاندثار منذ نهاية القرن الرابع الهجري»¹³.

وبرادة يرى أن هذا المنطق لا يستقيم ويطرح سؤالاً محوريا: كيف نفسر الكتابات النقدية الناضجة لأبي العلاء المعري وعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، وهما متأخران عن أبي هلال؟¹⁴.

ولا تبدو إجابة مندور مقنعة عنده: «يجيب إنهما استثناء يؤكد القاعدة، فإذا عجز تيار أبي هلال عن اكتساح المجال في القرن الخامس، فذلك بفضل موهبة أبي العلاء وسلامة ذوق الجرجاني»¹⁵.

ويخلص برادة، بملاحظات دالة حول هذه المرحلة من نقد مندور: «إعادة تركيب تاريخ النقد العربي انطلاقا من أحكام قيمية مسبقة مما ستؤدي حتما بالمؤرخ إلى إسقاط رؤيته الإيديولوجية الخاصة على عالم مختزل يفتقر إلى توضيح شروطه المعقدة»¹⁶.

11- د. طه حسين: حديث الأربعاء، ص: 186.

12- د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار نبضة مصر للطباعة، د. ت. وغيرها من الطباعات.

13- محمد برادة، محمد مندور: والتظير للنقد العربي، دار الآداب، ط 1/1979، ص: 220.

14- المرجع السابق، ص: 220.

15- محمد برادة: محمد مندور، والتظير للنقد العربي، ص: 221، وانظر أيضا محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص: 222.

16- المرجع نفسه، ص: 223.



وإذا كانت المحددات المنهجية السابقة التي أوردها شوقي ضيف قد جاءت بوصفها منطلقات نظرية في عمله الضخم للتأريخ للأدب العربي، فإن بصماتها كانت أكثر دلالة في عمل آخر له صريح في الدراسة النقدية: يقول مستخلصا في كتابه «التطور والتجديد في العصر الأموي»: «فهو - أي الشعر في العصر الأموي - مع محافظته على العناصر البدوية، قد تطور وتجدد كما يتطور ويتجدد كل شعر يتحول من عصر إلى عصر وخاصة إذا كان العصر الجديد يختلف عن العصر القديم في الدين والسياسة والثقافة.. فكان طبيعيا أن يحدث تطور خطير في حياة العرب وأن يتبع ذلك تطور واسع في شعرهم، وهو تطور لم تلغ فيه إلغاء الأصول الفنية التقليدية الموروثة بل ظلت قوية بارزة»¹⁹.

4. محمد المختار ولد اباه (1924 - 2023) يعد محمد المختار ولد اباه رائد الدراسات النقدية التاريخية في موريتانيا وسنعرض هنا لمجمل آرائه النقدية حول الشعر الموريتاني الذي أعطى كثيرا من وقته لرصده، وتوثيقه، وتصنيفه، ودراسته دراسة نقدية لتحقيق متطلبات البحث العلمي، خاصة نشأة الشعر الموريتاني وتصنيفه.

أ. إشكال النشأة:

حاول محمد المختار ولد اباه تقديم تفسير لظهور ما «أسماه نهضة شعرية» عارمة تفجرت في بلاد شنقيط في أواسط القرن الحادي عشر الهجري، في سياق شعراء الجيل الأول في الشعر الموريتاني. ويحدد ولد اباه أعلام هذه النهضة الشعرية التي لمع من بين قادتها

يصرح بمصادره النقدية الغربية في صدر كتابه: تاريخ الأدب العربي أحيانا ويومئ إليها أحيانا أخرى: «وسنحاول أن نؤرخ في أجزاء هذا الكتاب للأدب العربي بمعناه الخاص، فنقف عند الجنس والوسط الزمني والمكاني الذي نشأ فيه الأديب، ولكن دون أن نبطل فكرة الشخصية الأدبية والمواهب الذاتية التي فسح لها سانت بيف في دراساته، ولن نبطل نظرية تطور النوع الأدبي، إذ أن الأنواع الأدبية تتطور من عصر إلى عصر ويتولد بعضها من بعض، فيظهر نوع أدبي جديد، ولكن إذا تعمقنا في الدرس وجدناه قد نشأ من نوع مغاير له»¹⁷.

وقد وصل به الحماس إلى أن يجد أمثلة في الأدب العربي لهذه الأنواع «المنقرضة» و«المتولدة» على غرار ما فعل أستاذه في المنهج ابرونتيير مع أنواع أدبية غربية كما رأينا في موضع سابق.

يقول شوقي ضيف: «يلاحظ ذلك من يدرس فن المقامة في العصر العباسي، فإنها في رأينا تولدت من فن الأرجوزة عند رؤبة، ونظرائه من تعليم الناشئة ألفاظ العربية الغربية وتراكيبها»¹⁸.

ويبقى أن نوضح أن النظر إلى مندور من منظور اللحظة التاريخية التي أنجبت عمله، ودوره التأسيسي لهذا المنهج مع طه حسين كفيلا بوضعه في الريادة في هذا المنهج، ونشير إلى خصوصية عمل مندور في كتابه «في الميزان الجديد»، وفي «الأدب ومذاهبه».

3. شوقي ضيف (1910-2005): أما شوقي ضيف، فيكاد يكون امتدادا لطله حسين، وإن لم يتمكن من تجاوزه، أو مجاراته.

وقد استخدم شوقي ضيف المنهج التاريخي في كتابه وهي كثيرة ومن أهم ما كشف فيه عن معالم منهجه بطريقة علمية منها:

- تاريخ الأدب العربي (بعصوره المختلفة)،
- التطور والتجديد في العصر الأموي،
- المذاهب الأدبية،
- الأدب العربي المعاصر في مصر،
- النقد الأدبي.

وهو يركز في دراسته للشعراء على عصورهم التي عاشوا فيها وملابساتهم وبيئاتهم، وأنماط التغير السياسي والحضاري إجمالا، وهو

17- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ط 11، دار المعارف، القاهرة، د. ت. ص: 13 (أبواب مختلفة من الكتاب).

18- شوقي ضيف: المصدر السابق، ص: 13-14.

19- شوقي ضيف: التطور والتجديد في العصر الأموي، دار المعارف، ط 2، القاهرة، د. ت. ص: 6-5.

المرموقين سيدي عبد الله بن محمدي العلوي (ابن رازكه) والشيخ محمد اليدالي، والذيب الحسني، وبوفمين المجلسي، وغيرهم، فقد كان شعرهم متكامل الصورة، فهل كان قبلهم ممن سبقهم إلى نسج القريض؟²⁰

ويحاول ولد اباه عرض مجموعة من الآراء ويخلص إلى افتراض الذين يفترضون أن هؤلاء الجماعة كانوا أول من نبغ في الشعر في ربوع الصحراء اعتمدوا في هذا الافتراض على أنه لو كان هناك شعر لوصلنا مثل ما وصلتنا أشعار ابن رازكه وغيره ومثلما وصلتنا أشعار القدماء²¹.

أما الافتراض الثاني فيحتج أهله بقولهم إن هذا الشعر قد ضاع نتيجة الحروب، ثم يصل إلى نتيجة مفادها «أن ترسخ الشعر الذي يتناول جميع أغراض الشعر لم يظهر إلا مع الشعراء المذكورين، لأسباب منها محدودية انتشار علوم اللغة والعروض قبل هذا الجيل، وتخرج رجال الدين من نظم الشعر»، بيد أنه بسبب ترسخ الثقافة الأدبية واتساع الأفاق الفكرية ووصول المكتبات الأدبية إلى موريتانيا وقع نوع من احترام الشعراء، فاعترف رجال الدين «أن من الشعر لحكمة»²².

وهكذا يربط نشأة الشعر وتطوره في البلاد بالمتغيرات الثقافية والفكرية التي عرفت البلاد خلال القرنين 16 و17م والمخاض الذي بحسم قضية الاعتراف بالشعر.

وكما شغلت محمد المختار ولد اباه قضية أولية الشعر الموريتاني، فإنه كان أول من قسم الشعر الموريتاني

إلى مجموعة من الاتجاهات حددها في ثلاثة تبعا لاستقراره لمدونته.

ب. تقسيم الشعر إلى اتجاهات:

قسم ولد اباه الشعر الموريتاني إلى ثلاثة اتجاهات راعى في أحدها البعد البلاغي²³، وفي الثاني البعد الإيديولوجي²⁴ والثالث أسماء اتجاه (المستقلون)²⁵. ولسنا ندري الأسس النقدية التي يمكن أن يستقيم عليها هذا التقسيم، ناهيك عن وجود «مستقلين» تميزهم هذه الصفة عن غيرهم من الشعراء.

وسنحاول أن نتعرف على تحديد لهذه الاتجاهات الشعرية والمميزات الفارقة لكل منها.

وأول ما يسند إلى المدرسة الأولى أو الاتجاه الأول من محددات هي أن قصائد شعرائه امتازت بجزالة اللفظ وإحكام التراكيب²⁶.

وقد أنشأوا مدرسة يمكننا أن نسماها مدرسة «البلاغة والبديع»²⁷ ولسنا ندري ما ترك هذا الناقد من صفات سيضيفها على «اتجاه أنصار القديم» الذي حدده بقوله: «ليس من البعيد أن نتصور أن أنصار الشعر الجاهلي لم يرضوا كل الرضا عن أدب البلاغيين الذين سبقوهم تاريخيا، فاعتبروا أدبهم صنعة وتكلفا، فلم يطربهم تقاطع الأصوات المتجانسة، ولا أجراس الكلمات الرنانة، بل تعلقوا بأستار الشعر الجاهلي ورأوه المثال الذي على الشاعر الموريتاني أن يحذو حذوه»²⁸.

أما المجموعة التي وصفها «بالمستقلين»، «فقد حددها بقوله،

معلقا على الاتجاهين السابقين قبل أن يصل إلى الاتجاه الثالث»، لم يسلك جميع الشعراء الموريتانيين طريق التقليد والإيقاع، ولم يكونوا كلهم من عباد الصنعة، وخدمة البلاغة والبديع، فإن جماعات منهم حاولوا خلق فن شعري موريتاني أصيل، نابع من عبقرية المكان الذاتية ومعبرا عن مظاهر حياتهم الخاصة مراعين ضرورة تجديد الأسلوب والابتعاد عن اجترار الألفاظ البالية، وترديد المعاني والصور التي ملها السامعون»²⁹.

5. محمد ولد بوعلية:

ناقش محمد ولد بوعلية³⁰ في بحثه «الأدب الموريتاني ماضيه وحاضره» الذي نشره 1983³¹ مجموعة من القضايا النقدية من أبرزها:

1. إشكالية المدارس الأدبية
2. المعارضة الشعرية العربية
3. تأثير آداب الأطراف العربية بالآداب المجاورة.

وهو يقدم تفسيراً لظهور المدارس الشعرية الموريتانية يختلف عما قدمه سلفه محمد المختار ولد اباه، ويربطها بظروف ذاتية، محلية خاصة تتلخص في:

- 1- البيئة المحلية الطبيعية والاجتماعية
- 2- المسحة الزهدية التأملية «كان الشاعر الموريتاني في هذه الفقرة التي نؤرخ لها بدءاً من أواخر القرن الثامن عشر، وبدايات القرن التاسع عشر قد عاش حياة على درجة كبيرة من الخصوصية، أدت به إلى التعبير عن خفايا النفس الإنسانية، والكشف

20- محمد المختار ولد اباه: الشعر والشعراء في موريتانيا، ص: 32.

21- المصدر نفسه.

22- محمد المختار ولد اباه: مصدر سابق، ص: 35.

23- المصدر السابق، ص: 46.

24- المصدر السابق، ص: 54.

25- المصدر السابق، ص: 57.

26- المصدر السابق، ص: 46.

27- المصدر السابق، ص: 46.

28- محمد المختار ولد اباه: مصدر سابق، ص: 54.

29- المصدر السابق، ص: 57.

30- محمد ولد بوعلية: باحث وأستاذ بكلية الآداب بجامعة أكادير.

31- نشره في مجلة الموقف الأدبي السورية، عدد 148 لسنة 1983.



وجب رفض تاريخ الأدب المعروف عندنا، لأنه اعتمد في محتاجته على الوضعية، أو الفهم الجزئي للأدب من طرف مؤرخي الأدب»³⁷.

ويلاحظ الناقد هذه النقلة التي أحدثتها نظرية التلقي «فبعد أن كان مؤلف الأدب هو الأساس في أية عملية للتأريخ للأدب أصبح الاهتمام الآن ينصب على القارئ بوصفه عنصرا فاعلا في رواج أو عدم رواج الأدب، وبالتالي تحديد ما هو أدب وما هو غير أدب»³⁸.

وهو هنا يغفل مرحلة جوهريّة في الدراسة الأدبية يمكن اعتبارها جسرا بين هاتين المرحلتين تلك هي مرحلة، الاتجاه إلى «النص» فمن المعروف أن دعوة «موت المؤلف» انطلقت أساسا من أوساط البنيويين، الذين رأوا أن تراكمات القرون لم تفرز تحليلا جادا للأعمال الأدبية، يكشف قوانينها، وجمالياتها، بسبب الاعتماد على المؤلف أو المبدع كمنطلق للتحليل والدراسة، ثم الدوران حول النص دون اكتشاف بنيته، وهكذا تواترت الدعوات في بعض المراكز الفكرية الغربية إلى قراءة النص، ولحظ قوانينه ودراسة البنيات الأدبية، وعناصرها المتعددة، ثم ظهرت أصوات قوية - كانت لها مقدمات قبلية - تدعو إلى عدم التوقف عند النص في عملية البحث عن «الحقيقة» الأدبية، والانطلاق أبعد من ذلك اتجاه القارئ ومن أبرز هؤلاء «هانز روبيرياوس»³⁹.

ويبدو لي أن ريفتير، كان أكثر توازنا في هذه القضية من ناقدنا محمد ولد بوعلي، يقول في كتابه «إنتاج النص»: «يواجه تاريخ الأدب دائما خطر التحول: فهو ينقلب بسهولة

الطابع العربي الغالب على سلوكهم وحياتهم»³⁴.

2. أن هذا «الأدب والحياة الاجتماعية، قد استفادا من أدب وحياة الأمم المتاخمة غير العربية»³⁵.

وبعد حوالي عقد من الزمن يتراجع ولد بوعلي عن أطروحته التقليدية في النقد التاريخي مطالبا في بحث نشره سنة 1992³⁶ بإعادة كتابة ما اسماه «التاريخ الأدبي»، وتجاوز الأفكار التقليدية لتاريخ الأدب القائمة على التطورية، وربط الأدب بالأحداث السياسية، وقضايا التحقيب.

وعوضا عن ذلك طالب بالاستفادة من النظريات الجديدة المتجهة إلى القارئ، فقد «ثبت أن معنى الأثر الأدبي الذي تراد كتابة تاريخه لا يمكن تحديده على حد تعبير «ويليك» بالمعنى الذي كان الكاتب يصرح به أو المعنى الذي فهمه معاصروه. فالمعنى الحقيقي للأثر يجب أن يكون الناتج من سلسلة تراكمات ردات فعل النقاد: أي القراء النشطين المتعاقبين، أي الاعتماد على تاريخ النقد المعتمد على تراكم ردات الفعل. وانطلاقا من هذه المسلمات

عن مأساة الإنسان: مأساة الفقه، أدت به إلى اللجوء إلى القدرة الإلهية ملتصقا العزاء، كما عبر البعض من الشعراء عن رؤية للكون خاصة، والمصير الإنساني فتكونت لبعضهم مدارس خاصة تشهد لهم الساحة الموريتانية بخلودها»³².

وهو لا يقبل الأفضلية في المعارضة الشعرية، فالمعارضات ليست «كما بدا لبعض الباحثين المشاركة أنها تقليد للسلف، وإنما كانت إثباتا منهم على جدارتهم بقرض الشعر ولأنهم كانوا يعتبرون تراث الجاهلية والإسلام تراث آبائهم وأجدادهم، يرجعون إليه كما يرجع إليه أمثالهم من المشاركة»³³.

ويرى أن الشعر العربي الموريتاني تعرض لمؤثرين يهملهما الدارسون المشاركة والمغاربة هما:

1. أن هذا الشعر يمتاز بخصوصية «تجلت في استفادة المغاربة من تجارب، وعادات أمم - دخلوا عليها إبان الفتوح - أضيفت إلى تجاربهم وعاداتهم فغيرت إلى حد ما أنماط الحياة العربية المعروفة لديهم دون أن تفقد عروبتهم وأصالتهم، ولا

32- محمد ولد بوعلي: محاضرات في الأدب والنقد، منشورات جامعة نواكشوط 1999، ص: 156.

33- المصدر نفسه، ص: 158.

34- المصدر نفسه، ص: 158-159.

35- المصدر نفسه، ص: 160.

36- عنوانه: نحو كتابة جديدة لتاريخ الأدب العربي الحديث في ضوء نظرية الاستقبال. وقد نشرها في حوليات كلية الآداب، جامعة نواكشوط 1992، ثم أعاد النشر بأكراه هذه في محاضرة ألقاها بمعهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة 1996 ونشرها من جديد في كتابه محاضرات في

الأدب والنقد المشار إليه، ص: 43.

37- محمد ولد بوعلي: محاضرات في الأدب والنقد، ص: 47.

38- المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

39- أنظر روبرت هولب: نظرية التلقي، ترجمة د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 2001.

خلاصة أطروحته العامة، وقد أثار، كما لاحظنا كثيرا من الجدل والنقاش حول جدوائيته وكفاءته وحجم المساحة التي استطاع اكتشافها وتحليلها، من العمل الإبداعي الأدبي وبنائه، خاصة بعد أن ولى عصر المناهج النصية وأعاد المناهج ما بعد البنيوية والنقد الثقافي طرح أسئلة النص والسياق على نحو جديد.

6- المراجع

- د. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر - الرباط 2001
- د. طه حسين: حديث الأربعاء - دار المعارف - القاهرة
- د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة، د. ت.
- روبيرت هولب: نظرية التلقي، ترجمة د. عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 2001.
- رينيه ويليك وأوستين وارين: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، بيروت ط2/ 1981
- شوقي ضيف: التطور والتجديد في العصر الأموي، دار المعارف، ط 2، القاهرة د. ت.
- عمر محمد الطالب: منهج الدراسات الأدبية الحديثة، دار اليسر، الدار البيضاء، ط 1/ 1988
- محمد المختار ولد اباه: الشعر والشعراء في موريتانيا، الدار التونسية للتوزيع - تونس 1987
- محمد براده: محمد مندور، والتنظير للنقد العربي - دار الآداب - بيروت - 1979
- محمد ولد بوعلية: محاضرات في الأدب والنقد، منشورات جامعة نواكشوط 1999

تلك مجمل آراء هذا الناقد في تصوراته الجديدة عن «التاريخ الأدبي»، ولعل من أبرز ما يلفت الانتباه لمجهوداته إجمالا هي أنه يسعى لتطوير أطروحته ونظرياته باستمرار، تبعا لتراكمات خبرته بالأعمال الأدبية، والاستفادة من التجديد المستمر في النظريات النقدية والأدبية على مستوى العالم.

5 - خاتمة:

لقد واجهت المنهج التاريخي إجمالا مجموعة من الانتقادات أوجزها صلاح فضل (مناهج النقد المعاصر ص34 - 25) في عنصرين أساسيين: العنصر الأول: يتمثل في أنه ينكس على مجالات معرفية وعلمية لا يملك الباحث في الأدب الأدوات التي تمكنه من البحث فيها، وتجهيز مادته بنفسه... العنصر الثاني: وهو أخطر من الأول، فالبيانات التي يجمعها من هذه المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية غير قادرة على الإطلاق، على الكشف، عن القيمة النوعية للأعمال الإبداعية التي يحللها، فالكشف عن القيمة النوعية لمستوى الشعر، أو القصة أو الرواية أو المسرحية، وبيان قيمتها الجمالية هي الوظيفة الحقيقية لدارس الأدب وناقده، لأنهما الخبيران في الأدب ونقده، والخبرة بالمادة تقتضي القدرة على معرفة المستوى الإبداعي، فإذا تساوت لدى دارس الأدب كل الأعمال الإبداعية ووضعت على نمط واحد، فقد قدرته على التمييز، وتنازل عن مهمته التخصصية في دراسة المادة الأدبية وهذا الكشف عن القيمة النوعية لا تغلح الأدوات المستعارة من المجالات المعرفية الأخرى في تحقيقه عند مقارنة نص إبداعي⁴² ذلك هو المنهج التاريخي وتلك

إلى تاريخ أفكار، إلى سوسولوجيا وغالبا ما يكون مجرد دراسة تاريخية لظواهر ذات طبيعة أدبية بالأساس (...). والظاهرة الأدبية لا تتحدد بالعلاقة بين المؤلف والنص، بل بالعلاقة بين النص والقارئ⁴⁰. وقد حاولنا أن نلخص آراء محمد ولد بوعلية حول ما دعاه «التاريخ الأدبي» بديلا لتاريخ الأدب التي صرح أنه صاغها اعتمادا على هانز روبير يابوس، في النقاط الآتية:

1. البحث في تاريخ الأدب لم يعد بحثا في جمالية الإنتاج الأدبي، وإنما هو بحث في تلقيه بالاعتماد على القارئ.
2. بحث وتحليل تلقي القراء المتعاقبين (وخاصة النشطين منهم أي النقاد) للعمل الأدبي، وانطلاقا من أفق انتظار كل منهم وذلك للتعددية الحاصلة في مستوياتهم بإعادة تشكيل هذا الأفق وتعيين معاييرهم الجمالية.
3. إن القيمة الجمالية للأثر الأدبي تكمن في تكسيه أفق انتظار القراء... وكلما استجاب العمل لأفق انتظار هذا القارئ كان أقل قيمة جمالية.
4. الكشف عن طبيعة فهم القراء المتعاقبين للعمل الأدبي بإعادة تشكيل آفاق الانتظار الخاصة بهم، مما يظهر بوضوح الاختلاف التأويلي في فهم هذا العمل بين الماضي والحاضر وبين أفق انتظار قديم وأفق انتظار جديد.
5. تصنيف كل عمل في السلسلة الأدبية التي ينتمي إليها، بهدف تحديد وضعه التاريخي وكذلك دوره وأهميته في السياق العام للتجربة الأدبية.
6. النظر إلى الإنتاج الأدبي بما هو تاريخ خاص في علاقته النوعية مع التاريخ العام⁴¹.

40 - د. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص: 89.
41 - محمد ولد بوعلية: دراسات في الأدب والنقد، ص: 49، وما بعدها.
42 - د. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص: 34-35.



«البعد التراثي في الكتابة الدرامية»

ملخص:

تروم هاته الدراسة مقارنة الكتابة الدرامية بالمغرب خلال فترة ما قبل الاستقلال، مسلطين الضوء على ثوابتها ومتغيراتها، في بعدها التراثي، نظريا وتطبيقيا، مستحضرين المراحل التي مرت بها هاته الكتابة، نشأة، ونضجا، حتى استتوت بالصورة التي هي عليها اليوم، وكيف عاد بعض مسرحيي هاته المرحلة إلى التراث في كتاباتهم الدرامية: اقتباسا، واستنباتا، وتأليفا.

وقد مثلت الأشكال الفرجوية التي شهدتها المغاربة، خلال فترات زمنية متباينة، (البساط - الحلقة - سيدي الكتفي - سلطان الطلبة ...)، أولى البوادر لملامسة الظاهرة الفرجوية / المسرحية.

وإذا كانت هذه المظاهر الفرجوية سابقة على التأسيس المسرحي بمفهومه الحديث، فإن انغراسها في التربة المغربية سمح بمراكمة تجارب ثرية، وبتجريب صيغ وأشكال فنية كان لها أكبر الأثر على استواء أنواع مسرحية، كما ساهمت في تطوير الكتابة الدرامية، ووسمها بالخصوصية المحلية، بعد أن استغرقت ردها من الزمن في تعقب النموذج المشرقي أو الغربي.

والحقيقة أن ملامح الكتابة الدرامية المغربية لم تظهر بشكل جلي خلال فترة ما قبل الاستقلال، بوصفها مرحلة أولى لاقتحام هذا المجال، الذي كان أديبا وكتابنا حديثي العهد فيه بالمسرح، وهذا ما يفسر نزوع الكتابات المسرحية الأولى إلى المآسي التاريخية أو الأسطورية الجاهزة، وغياب المحاولات الرامية إلى تجاوز الأشكال التقليدية، والبعد عن الرؤية الرمزية الغائمة في أساطير التراث، لخلق أبعاد جديدة، على أساس اكتشاف الواقع بمنظور متطور يرتبط بالحدث والمعاصرة بكل قضاياها الحية.

هاته الكتابة الدرامية التي ستعرف تحولات عميقة في مرحلة ما بعد الاستقلال، خاصة بعد أن مر الكتاب الدراميون بمراحل الاقتباس والترجمة والتأليف، ومارسوا التجريب المسرحي الذي سيقودهم إلى أشكال وصيغ فنية واضحة المعالم.

من هنا، سنعرض بداية - في الجزء الأول من القسم النظري من هذه الدراسة - لبوادر نشوء المسرح المغربي وتمظهرات استنباته، ولتلمس القواعد الفنية الأولى وسبل ترسيخها، عبر تأسيس الفرق المسرحية وبدوادر التأليف المسرحي المستلهم للتراث خاصة، قبل أن نقدم - في قسم ثان تطبيقي لاحقا - قراءة في بعض النصوص المسرحية التي تؤرخ لمرحلة ما قبل الاستقلال، لنخلص إلى إبراز أهم مقومات الكتابة الدرامية لدى جيل التأسيس في مسرح ما قبل الاستقلال، سواء على المستوى الموضوعاتي، أو على المستوى الفني.

كلمات مفتاحية: البعد التراثي - الكتابة الدرامية - المسرح المغربي - استنبات ومسرح.

مقدمة:

المسرحي بمفهومه الحديث، فإن انغراسها في التربة المغربية سمح بمراكمة تجارب ثرية، وتجريب صيغ وأشكال فنية كان لها أكبر الأثر على استواء أنواع مسرحية، كما ساهمت في تطوير الكتابة الدرامية، ووسمها بالخصوصية المحلية، بعد أن استغرقت ردها من الزمن في تعقب النموذج المشرقي أو الغربي. والحقيقة أن ملامح الكتابة الدرامية المغربية لم تظهر بشكل جلي خلال فترة ما قبل الاستقلال، بوصفها مرحلة أولى لاقتحام هذا المجال، الذي كان أباؤنا وكتابنا يومها حديثي العهد بالمسرح، وهذا ما يفسر نزوع الكتابات المسرحية الأولى - كما يشير إلى ذلك عبد القادر السميحي في كتابه «نشأة المسرح والرياضة في المغرب» - إلى المآسي التاريخية أو الأسطورية الجاهزة، وغياب المحاولات الرامية إلى تجاوز الأشكال التقليدية، والبعد عن الرؤية الرمزية الغائمة في أساطير التراث، لخلق أبعاد جديدة، على أساس اكتشاف الواقع بمنظور متطور يرتبط بالحدث والمعاصرة بكل قضاياها الحية.

هاته الكتابة الدرامية التي ستعرف تحولات عميقة في مرحلة ما بعد الاستقلال، خاصة بعد أن مر الكتاب الدراميون بمراحل الاقتباس والترجمة والتأليف، ومارسوا التجريب المسرحي الذي سيقودهم إلى أشكال وصيغ فنية واضحة المعالم.

من هذا المنطلق، عملنا في دراستنا هذه، وفي شقها الأول النظري، على بسط البوادر الأولى لنشوء المسرح المغربي وتظاهرات استنباته، التي تؤرخ لمرحلة ما قبل الاستقلال.

مثلت الظاهرة المسرحية - منذ القدم - مادة غنية للباحثين والدارسين، يتناولون أسبابها ودوافعها، ويسبرون أغوارها ومكوناتها، ويعرضون منجزها وتفاعلاتها، ويجلون واقعها وغامضها وخفيها، ويستقرئون حاضرها ومستقبلها، وي طرحون - بصدها - الأسئلة الحاملة والعالمية.

ولم يحظ جنس أدبي أو فني بمثل ما حظي به المسرح من عناية واهتمام. ذلك، أن المسرح، علاوة عن كونه أبا للفنون، يعد ظاهرة كونية عرفتها مختلف الشعوب والبلدان، في فترات متفاوتة من تاريخ البشرية الطويل، ويتميز بلا محدودية مستوياته وأبعاده وأفاقه، فهو ملتقى الفنون والآداب والعلوم والأفكار والنظريات والمفاهيم ... إنه ملتقى الإنسانية جمعاء.

وارتباطا بالأبحاث والدراسات التي أنجزناها سابقا بشأن المسرح المغربي، نقارب اليوم الكتابة الدرامية بالمغرب، منذ فترة ما قبل الاستقلال، مسلطين الضوء على ثوابتها ومتغيراتها، نظريا وتطبيقيا، مستحضرين المراحل التي مرت بها هاته الكتابة، نشأة، ونضجا، حتى استوت بالصورة التي هي عليها اليوم.

وقد مثلت الأشكال الفرجية، أو لما قبل مسرحية كما يسميها المرحوم د. حسن المنيعي، التي شهدتها المغاربة، خلال فترات زمنية متباينة، (البساط - الحلقة - سيدي الكتفي - سلطان الطلبة ...)، أولى البوادر لملازمة الظاهرة الفرجية.

وإذا كانت هذه المظاهر الفرجية سابقة على التأسيس

أولا: بوادر المسرح المغربي وتظاهرات استنباته

يكاد يجمع أغلب الباحثين والدارسين¹ للمسرح المغربي على أن بداياته الأولى قد تزامنت مع الزيارات التي قامت بها بعض الفرق المسرحية المشرقية - المصرية منها خاصة (فرقة محمد عز الدين، ونجيب الريحاني، وفاطمة رشدي، ويوسف وهبي) - إلى المغرب في العشرينيات من القرن الماضي.

وكان وصول فرقة محمد عز الدين، التي حملت اسم «جوق النهضة العربية»: «حدثا عظيما، ولقيت في

وتجاوبا كبيرا مع العديد من شرائح المجتمع المغربي آنذاك، وتلتها زيارات فرق أخرى كانت مواكبة لأحداث وطنية هامة.

لكن، ألم يعرف المغرب نشاطا مسرحيا قبل سنة 1923؟

تتعدد الإجابات بتعدد الدراسات والأبحاث التي أنجزت حول تاريخ المسرح المغربي، وحول البدايات الحقيقية لما يمكن أن يطلق عليه مسرح بمفهومه الحديث.

لقد عرف المسرح المغربي، شأنه في ذلك شأن المسرح في باقي البلدان العربية، أشكالا فرجية متعددة،

كل مكان حلت به ترحيبا حارا، وتوجه لمشاهديها العلماء والأدباء والوجهاء، ومثلت في القصر السلطاني، وأقامت شهورا متجولة في المغرب (...). وكان حلولها في طنجة والرباط وفاس ومراكش مناسبة فتحت العيون على هذا الفن الجديد، وتضمنت الجرائد الصادرة آنذاك إشارات قصيرة عن تلك الجولة، وتحدثت الناس عنها أمدا طويلا².

وهكذا، قدمت هاته الفرقة المسرحية، عند حلولها بالمغرب سنة 1923، عرضها المسرحي «صلاح الدين الأيوبي»، ولاقت نجاحا باهرا

1- نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: زعيد الله شقرون، دحسن المنيعي، زعيد القادر السميحي، دمحمد الكفاط، دمحمد أديب السلاوي، وغيرهم.
2- مجلة الفنون (المغربية)، مقال: «محات من تاريخ المسرح المغربي» بقلم عبد الله شقرون، السنة الثانية، العدد الأول والثاني (رمضان - شوال 1394 هـ / أكتوبر - نونبر 1974)، ص: 93.



وبعثاته الثقافية والعسكرية، إذ أن المسرح كطقس احتفالي، كان وما يزال فطرة راسخة عند الشعب المغربي، وشكلا من أشكال وعيه وشعوره⁸.

وبناء عليه، و«في إطار المفهوم الواسع لفن «الفرجة» / المسرح، يكون المغرب قد عرف سلسلة من الأشكال الفرجائية القريبة من الطقس المسرحي، والتي تجذرت عبر تاريخه الحضاري في تراثه الشفاهي (...) وإذا كانت هناك صعوبة منهجية تعترضنا في تسمية هذه «الفرجات» مسرحا بالمعنى الإغريقي، فإن اعتمادها (...) يجعلها قريبة (...) من محاولات مسرحية جنينية، وشكلا دراميا فطريا قابلا للصقل والتطوير»⁹.

ويُعَدُّ د. حسن المنيعي بأننا «إذا استثنينا بعض القوالب «الما قبل - مسرحية» التي عرفها المغرب عبر مراحل تاريخية، والتي تتجلى في «البساط» و«الحلقة» و«سيدي الكتفي»، وحفلات «سلطان الطلبة»، فإن المسرح بمفهومه الأوربي لم يدمج في حياتنا الفنية إلا في بداية الثلاثينات من هذا القرن (يقصد القرن العشرين)، وقد اجتاز في هذه الفترة مرحلة صراع عنيف بين رواه وبين إدارة الاستعمار الأجنبي»¹⁰.

إذن، فالذين أرخوا للمسرح المغربي يجعلون سنة 1923 موعدا تاريخيا للمغاربة مع هذا الوافد الجديد (المسرح) بشكله الحديث، ويؤكدون وجود بوادر مسرح مغربي تشكلت من خلال ممارسة مجموعة من الطقوس الاحتفالية والفرجات الشعبية، وإن كانت بعض الدراسات

سيكون عليه المسرح المغربي لاحقا. فقد «كانت هذه المظاهر الدرامية السابقة على المسرح نتاجا شعبيا صرفا يعبر من خلالها الشعب، بعفوية وبساطة، عن وعيه ووجدانه ويحقق تسليته وفرحته»⁶.

إن هاته العفوية والبساطة، التي تمثلت في تلقي المغاربة لهاته المظاهر الدرامية أو الأشكال الفرجوية، تطرح إشكالية منهجية في تسمية التظاهرات الدرامية السابقة مسرحا بالمعنى المحدد للمسرح، رغم اشتغال بعضها على أوليات المسرح كالممثلين والجمهور والنص والملابس والديكور والتوابع المسرحية، وغيرها.

ولهذا، تعد هذه المظاهر الدرامية أو الأشكال الفرجوية - على الأرجح - «محاولات مسرحية جنينية، أو أشكالا درامية فطرية كانت نتاج شروطها التاريخية، ولم يكن بإمكانها أن تتحرر من بيئتها أو تتجاوز شروطها التاريخية لتصل إلى المستوى الدرامي الذي بلغه المسرح الإغريقي مثلا»⁷.

ويؤكد ذ. محمد أديب السلاوي على أن العديد ممن يشتغلون بالبحث الأدبي والتاريخي يرون بأن فن المسرح قد عرف بالمغرب ومورس قبل أن تحمله رياح الثقافة النهضوية، وقبل أن يمهده للاستعمار الفرنسي والإسباني ببنياته ومؤسساته

اصطلاح البعض على تسميتها بالأشكال «الما قبل مسرحية» (*)، والمتماثلة أساسا في فرجات شعبية مثل البساط، سلطان الطلبة، سيدي الكتفي.

ويمكن «أن نشير إلى وجود عدد من الأشكال المسرحية التي كانت تمتاز على الخصوص بحيوية دافعة، وتحمل المسرة إلى قلوب الذين كانوا يشاهدون العروض المسرحية في مناسبات خاصة، من هذه الأشكال: مسرح «الحلقة» و«البساط» و«سلطان الطلبة»، و«سيدي الكتفي»³.

ومن ثم «فلا غرابة أن يكون المسرح المغربي من أول المسارح العربية التي سارعت إلى اعتماد الطقوس الاحتفالية في عملية التأصيل، لأن علاقته بهذه الطقوس هي التي تحدد بدايته الأولى كما تؤكد ذلك بعض الدراسات التي تناولت الحركة المسرحية في المغرب»⁴.

وفي الاتجاه نفسه يذهب د. عباس الجراري⁵، حين يؤكد على أن العرب والمغاربة قد أبدعوا خلال التاريخ ألوانا مختلفة ومتطورة من المسرح، وكان بذلك متأصلا عندهم.

والحديث هنا عن بعض فنون الفرجة الشعبية ذات الروابط الوثيقة بفن التمثيل التي سادت بالمغرب ردها لا يستهان به من الزمن، وهي إرهافات أولى وبذور جنينية مولدة لما

3- حسن المنيعي: «أبحاث في المسرح المغربي»، منشورات الزمن، سلسلة شرفات الزمان، الكتاب الأول، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية (يناير 2001)، ص: 20.
4- حسن بجزاري: «المسرح المغربي: بحث في الأصول السوسيو ثقافية»، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، الطبعة الأولى (1994)، ص: 10.
5- عباس الجراري: «الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه»، الجزء الأول، مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى (فبراير 1979)، ص: 269.
6- محمد عزام: «المسرح المغربي» (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق (1987)، ص: 10.
7- المرجع نفسه، ص: 10.
8- محمد أديب السلاوي: «المسرح المغربي: البداية والامتداد»، دار ولي لطباعة والنشر، مراكش، الطبعة الأولى (1996)، ص: 7.
9- محمد أديب السلاوي: «المسرح المغربي: البداية والامتداد»، ص: 7.
10- حسن المنيعي: «أفاق مغربية» (مجموعة مقالات عن الأدب والفن)، المطبعة الوطنية، مكناس، (نوفمبر 1981)، ص: 58.

ترجح أن تكون البدايات قبل هذا التاريخ بكثير أو قليل، من ذلك ما ورد في كتاب «المسرح المغربي قبل الاستقلال» للدكتور مصطفى بغداد، في معرض الحديث عن انطلاق الحركة المسرحية بمجموعة من المدن المغربية (فاس، طنجة، تطوان، الرباط، سلا، الدار البيضاء...)، «سبقت الإشارة إلى أن مدينة طنجة كانت سباقة إلى المسرح، ويرجع ذلك إلى سنة 1920 كما تثبت ذلك بعض الأبحاث والدراسات والتي تؤكد ظهور هذا الفن في مدينة طنجة قبل غيرها من المدن المغربية»¹¹.

وعن انطلاق الحركة المسرحية بتطوان، فقد: «عرفت المسرح قبل غيرها من المدن المغربية، وذلك يرجع إلى التاريخ الذي نزح فيه جماعة من المورسكيين إلى المغرب، وهو سنة 1670 م، إلا أن المسرحيات التي كان يقدمها هؤلاء كانت باللغة الإسبانية»¹².

هاتان القولتان تبرزان أن السبق التاريخي، المومي إليه، يتعلق بوجود المسرح بالمغرب، وليس بممارسة المغربية له في تلك الفترة، وإلا فلماذا تضمنت القولة الثانية الإشارة إلى أن المسرحيات كانت تقدم باللغة الإسبانية؟

وتعزيزا لهذا التصور، تورد بعض الروايات التاريخية أن أول مسرح بني بمدينة تطوان هو مسرح إيزابيل الثانية سنة 1860 م، وأول مسرح بني بطنجة هو مسرح سيرفانتيس سنة 1913 م، لكن هاتين البنائيتين المسرحيتين اللتين كانتا تشهدان تقديم عروض مسرحية وأنشطة ثقافية وفنية وترفيهية، نظمت بها بادئ الأمر لفائدة الإسبان المقيمين

بالمغرب، ولفتة نخبوية محدودة من المغربية.

حقيقة، يعد وجود البناية المسرحية والفرق والعروض المسرحية مشيرا على تنامي الوعي المسرحي، إلا أن الأقلية من المغاربة بهاتين المدينتين أو من خارجهما هي التي اقتربت من المستعمرين الإسبان، وتجاوبت مع فنونهم وآدابهم وطرق عيشهم.

وهذا بالذات ما يبرر حركية المسرح العربي بالمغرب في فترة لاحقة، حيث إن «المسرح الذي انتشر في المغرب حينئذ كان بصفة عامة هو المسرح الأجنبي، من حيث أصله والمترجم إلى اللغة العربية الفصحى، وإذا ما تجاوزنا هذا النطاق فإلى بعض المسرحيات التي تقلد المسرحيات الغربية في تأليفها (...) وقد أخذ بعض المغاربة يقومون هم أيضا بترجمة بعض الآثار الأجنبية»¹³.

ومع ذلك، «فالمقارنة تبرز، من هذه الوجهة، المسرح العربي المغربي رغم تأخره في النشأة، على أنه لم يكن متأخرا عن منزلة عصره، بل كان موجودا وقائما الذات»¹⁴.

يقول الدكتور حسن المنيعي: «نستطيع القول إن سنة 1923 هي أول فترة سجلت ميلاد المسرح بالمغرب، وإن كان البعض يرجع هذا الميلاد إلى سنة 1912 التي شهدت تشييد مسرح «سيرفانتيس» بطنجة»¹⁵. كما يعد أنه «مهما اختلف الناس في ظروف نشأة المسرح بالمغرب، فإن علينا أن نقر بأن مرور الفرق الأجنبية كانت سبب كل التحولات الهادفة التي عرفها فن الدراما في إفريقيا الشمالية»¹⁶.

إن استقراءنا لهاته الروايات والآراء النقدية المتراكمة والمتباينة، يفضي

بنا إلى الاستنتاجات الآتية:

1- إن أي دراسة تاريخية للنشاط المسرحي، في ارتباطه بالمجتمع المغربي، تنطلق من سؤال النشأة قبل سؤال الارتقاء؛

2- إن هذا السؤال طرح وجهات نظر مختلفة، تكاد تتفق على أن المسرح ثقافة وافدة رمت بها بحار الغرب، وأطل من نافذة الشرق، فهو نتاج ثقافي جديد ولده الصدام الحضاري بين الشرق والغرب؛

3- إن وضعية النشوء مرتبطة بطرفين متقاطعين، هما ظرف البناية، وظرف الممارسة:

(أ) ظرف البناية:

الذي لازم الاستعمار والحماية، حيث انبهر المغاربة بالبناية الإيطالية كرافد ثقافي جديد، حملته الاستعمار الإسباني كما حمل معه البندقية، فلم ينسجم الوجدان الوطني مع هذه الثقافة، لأنها منهج الآخر، وهي عمران وحماية أكثر منها ثقافة وتلاقح؛

(ب) ظرف الممارسة:

وهو الذي تزامن مع نشوء فرق مسرحية تسعى إلى ممارسة المسرح بشكله الفني المعروف، وكانت سنوات العقد الثاني من القرن العشرين هي زمن المخاض والولادة؛

4- إن منظور البداية في التأريخ النقدي للتجربة المسرحية بالمغرب، أفرز مدرستين:

(أ) مدرسة تضع رسم البداية في طنجة باعتماد ظرف البناية؛

(ب) مدرسة تؤرخ للجذور بمدينة فاس معتمدة ظرف الممارسة؛

5- إن وضعية البداية تفرض البحث عن تمهيدات ما قبل البداية، والتي كشفت عن خصوبة فرجوية متعددة ومتنوعة.

11 - مصطفى بغداد: «المسرح المغربي قبل الاستقلال»، منشورات الرهان الآخر، مطبعة دار القرويين، الدار البيضاء، الطبعة الأولى (ماي 2000)، ص: 62.

12 - المرجع نفسه، ص: 71.

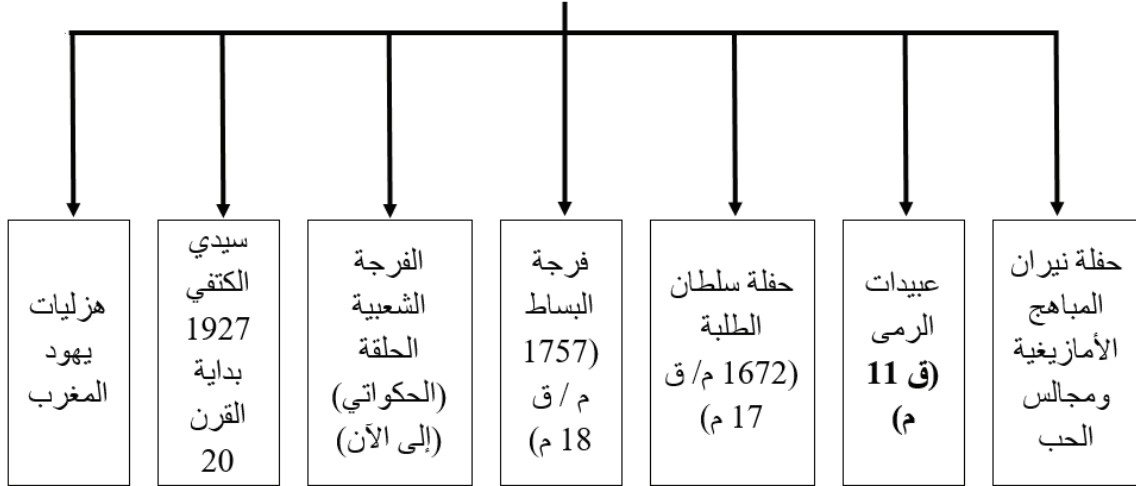
13 - عبد الله شقرون: «فجر المسرح العربي بالمغرب»، منشورات اتحاد الدول العربية، مطبعة شركة فنون الرسم والنشر والطباعة، تونس (1988)، ص: 53.

14 - المرجع نفسه، ص: 111.

15 - حسن المنيعي: «أبحاث في المسرح المغربي»، ص: 39.

16 - المرجع نفسه، ص: 40.

المسرح الملاقصدي (الطقوس والفرجات الاحتفالية)



ثانيا: مظاهرات استنابت المسرح في التربة المغربية

لقد ظلت عملية تحديد هوية الفن المسرحي بالمغرب رهينة بالشرط التاريخي، وبالظروف التي أنتجته. ولهذا، نجد هذه الممارسة - في بدايتها - قد تنوعت بين:

- (أ) تأسيس الفرق المسرحية؛
- (ب) تلمس القواعد الفنية الأولى وترسيخها، من خلال:

- 1- خلق بوادر التأليف المسرحي؛
 - 2- الترجمة والاقتباس.
- (أ) تأسيس الفرق المسرحية: شهدت الساحة المغربية، مباشرة بعد زيارة فرقة محمد عز الدين، حركة مسرحية دؤوب، تمثلت أساسا في تأسيس فرق مسرحية بدأت تتناسل بمختلف المدن المغربية (طنجة، تطوان، العرائش، القصر الكبير، فاس، مكناس، الرباط، سلا، الدار البيضاء...).

ويُجمع العديد من الباحثين على أن مدينة فاس قد كانت سباقة إلى ممارسة المسرح من خلال «جوق

جموده وركوده». وإذا كنا هنا نمثل بالحركة المسرحية بمدينة فاس، من خلال «جوق التمثيل الفاسي» أو «جمعية قدماء تلاميذ ثانوية المولى إدريس» (*)، فليس ذلك تبخيسا للفرق والجمعيات المسرحية المغربية الأخرى، فأدوارها وإسهاماتها مما يجب الوقوف عنده كذلك، وليس للسبق التاريخي فقط (تأسست سنة 1924)، بل كون «العديد من الملاحظين اتفقوا على أن ثانوية المولى إدريس بفاس كانت أول قاعدة انطلقت منها التجربة المسرحية الأولى، ذلك أن تلامذتها كانوا يعبؤون أولا من طرف الفرق الأجنبية، لتأدية بعض الأدوار، وثانيا لأن قدماء الثانوية بالذات كانوا يعبرون عن رغبتهم في إيجاد مسرح مغربي، فكان أن وصلوا إلى غايتهم، بفضل ثقافتهم المزدوجة واستيعابهم للتقنيات التي اكتشفوها»¹⁷.

وكانت مسرحية «صلاح الدين الأيوبي» لنجيب الحداد أولى الأعمال التي قدمتها هاته الفرقة، بل إن العديد من الفرق المسرحية، التي

التمثيل الفاسي» و«جمعية قدماء ثانوية المولى إدريس»، حيث ساهم عدد من الشبان المنتسبين إليهما في تنشيط الحركة الثقافية والفنية بفاس، وبغيرها من المدن المغربية الأخرى، فشكل ذلك حدثا بارزا، ونهضة أدبية وفنية حركت العقول وشحذت الأقدام. ومما قيل حولها، ما كتبه صلاح أبو رزق في «رواية صلاح الدين بالدار البيضاء»، بجريدة «السعادة»: «وأخذت نهضة إحياء فن التمثيل العربي في هذه البلاد تنهض من سباتها الذي استولى عليها بضعة سنين بعد نهضتها الأولى (...) وبرزت إلى الميدان يقودها نخبة من شباب مدينة فاس الزاهرة الذين أحرزوا على نصيب وافر من العلم والثقافة في المدارس الحديثة الراقية. وأعني بهم أعضاء جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية الإسلامية الفاسية، وكلهم من أبناء البيوتات المجيدة في فاس»¹⁷.

تؤشر هاته القولة على وجود بوادر الفن المسرحي، وعلى أن الأمر يتعلق بإحياء هذا الفن، وإخراجه من حالة

17 - جريدة السعادة، عدد الثلاثاء 16 يوليوز 1932، عن «رشيد بناني امشيطة: رسالة ذكوره البولة في الآداب، تحت عنوان: «المسرح المغربي قبل الاستقلال: دراسة دراماتوجية»، تحت إشراف الدكتور بونس لوليدي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، السنة الجامعية (2004 - 2005)، ص: 20.
(*) حملت هاته الفرقة تسميات عدة، خاصة بعد انقسامها إلى فرقتين: «الجوق الفني» و«جوق النهضة العربية».

18 - حسن المنيعي: «أبحاث في المسرح المغربي»، ص: 43.



نماذج من الفرق المسرحية المنتشرة عبر مدن مختلفة من المغرب في مرحلة التأسيس

تاريخ البدايات الأولى	المدينة	الفرق المسرحية
1928	طنجة	الجوق الطنجي للتمثيل العربي
1928	الرباط	الجوق المغربي للتمثيل العربي
1928	سلا	الجوق السلاوي للتمثيل
1929	طنجة	جمعية الهلال الطنجية
1929	الدار البيضاء	فرقة الهلال
1930	تطوان	فرقة المغرب التطواني
1931	فاس	الجوق الفاسي
1932	تطوان	فرقة جمعية الطالب
1936	تطوان	فرقة هواة المسرح
1936	مكناس	جمعية قداماء تلاميذ ثانوية مكناس
1936	القصر الكبير	فرقة جمعية الطالب المغربية
1940	تطوان	فرقة شعلة الفن
1942	مراكش	فرقة طلبة جامع بن يوسف
1943	مراكش	جمعية قداماء تلاميذ ثانوية محمد الخامس
1943	العرائش	الفرقة الأدبية للتمثيل
1946	أصيلا	فرقة المدرسة القرآنية

في العديد من المدن المغربية قد أدى برواده إلى العمل ضمن قناعات سياسية، فإن هذا التجذر اعتمد في الأساس على نصوص عربية ذات نزعة سلفية (صلاح الدين الأيوبي، نجيب الحداد) تعبر عن مواقف وطنية محمومة تنادي بالتغيير والمطالبة بالاستقلال. وهذا يعني أن البداية إبان فترة الاحتلال كانت ترتبط بالنضال الوطني وإحياء مفهوم الوطنية¹⁹. فكيف جاءت إذن التعبيرات المسرحية خلال هاته الفترة؟

إلى هذا الفن الجديد¹⁹. إن تأسيس الفرق المسرحية المغربية الأولى، تم بدافع وتشجيع من المثقفين والمناضلين السياسيين، الذين رأوا في الفن المسرحي خدمة للأدب العربي، وتهذيبا للذوق العام، وتنويرا للوعي السياسي الوطني²⁰. والأكد أن الواجهة النضالية، الفاضحة لنوايا المستعمر وأساليبه ومناوراته العدائية للأفكار التنويرية التحررية، عُدَّت محكا حقيقيا للسياسيين والأدباء والفنانين على حد سواء، «فإذا كان تجذر المسرح

تأسست تباعا عبر مدن مختلفة بربروع المملكة، اتخذت من النص/ العرض المسرحي «صلاح الدين الأيوبي» أنموذجا أوليا بارزا لإعداد عروضها المسرحية، لما يتضمنه من حمولة وطنية وسياسية تلغقي والوضعية التي كان يعيش عليها المجتمع المغربي تحت نير الاستعمار، و«كانت الفرق الأولى التي تأسست في فاس وطنجة ومراكش والرباط والدار البيضاء وغيرها من المدن المغربية بحاجة إلى نصوص مسرحية ترضي طموحها في استغلال المسرح كواجهة نضالية، وترضي الجمهور المتعطش

19 - محمد الكفاط: «بنية التأليف المسرحي بالمغرب من البداية إلى الثمانينات»، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى (1407 - 1986)، ص: 78.

20 - محمد أديب السلاوي: «المسرح المغربي: البداية والامتداد»، ص: 16.

21 - حسن المنيعي: «المسرح المغربي (من التأسيس إلى صناعة الفرقة)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية طهر المهرز، فاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، مطبعة محمد الخامس، فاس، الطبعة الأولى (نوفمبر 1994)، ص: 8.



المقولات الجهية/المظهرية وطبيعة معنى الحدث الزمنية: (Catégories aspectuelles et Aktionsart)

1- الجهة: المفهوم / المتصور والمصطلح:

تعد الجهة (Aspect) مفهوماً لسانياً ذا إشكالات ومظاهر متعددة، لذا تباينت آراء اللسانيين حول ضبط المفهوم أو المفاهيم التي يجلبها المصطلح، واختلفت مناهجهم طرحاً وتحليلاً لمظاهره، تبعاً لطبيعة اللسان المدروس من حيث كون الجهة فيه مقولة نحوية (Catégorie Grammaticale) أو مقولة دلالية (Catégorie Sémantique)، فضلاً عن تنوع الأدوات النحوية، والمداخل المعجمية التي يستخدمها كل لسان للتعبير عن المقولات الجهية.

وقد أفضى هذا التنوع المفهومي إلى تعدد المصطلحات التي عبر بها الدارسون عن جوانب منه، إذ هناك من يستخدم مصطلح (Aspect) بصيغة المفرد، بينما يورده بعضهم جمعاً (Aspects) كما يأتي مضافاً إلى الفعل (Aspect verbal) وهي مصطلحات تعني شيئاً واحداً كما يرى الحاج موسى ثالث¹، وقد أرق هذا التعدد المصطلحي الدارسين، ولعل ذلك ما عبر عنه عز الدين المسعودي بقوله: «تبدأ صعوبات البحث في المسائل المظهرية»²

[الجهة] بمجرد الخوض في قضية المصطلح، ولا نعني بذلك فحسب اختلاف اللسانيين العرب بشأن ترجمته في المشرق بـ «الصورة» وبـ «صفة الحدث» وفي المغرب الأقصى بـ «جهة» وفي تونس بـ «مظهر»... وإنما نعني بالخصوص تفاعلات المتصور في الفكر الإغريقي واللاتيني وفي اللسانيات الحديثة...³ ومهما يكن من عدم استقرار في المستوى المصطلحي، أو في مستوى المتصور، أو في مستوى حدود الدراسة الجهية، وطبيعة الأشكال اللسانية المعنية بالتعبير عن المعاني الجهية، فإننا نرى - تبعاً للمسعودي⁴ - أنه يمكن تجميع المقاربات اللسانية الجهية في ثلاثة اتجاهات: الأول يفصل بين المقولات المعجمية والتركيب، ويعني أساساً بالمقابلة بين الانقضاء (Perfectivité) وعدم الانقضاء (Imperfectivité) في دلالة الأفعال الزمنية الذاتية، ويمكن أن نطلق عليه الجهة النحوية، الثاني معجمي يركز على أصناف المحمولات، ويستند إلى تصنيف فندلير (Vendler) للأحداث؛ يمكن أن يسمى الجهة المعجمية، والثالث يتجاوز مستوى المحمولات الفعلية ببعديها المعجمي والنحوي إلى مستوى الخطاب، باحثاً عن المظاهر

الجهية في العلاقات بين الجمل، ويمكن أن يسمى جهة الخطاب. وبما أن الاتجاه الثالث يقتضي بحثاً مستفيضاً ليس هذا مكانه الأنسب؛ فإننا سنكتفي - هنا - بتناول الاتجاه الأول، الذي نخصه بمصطلح «الجهة النحوية» في المبحث التالي، بينما نفرّد للاتجاه الثاني الذي نسميه بمصطلح الجهة المعجمية «Aktionsart» نفرّد له مبحثاً مستقلاً.

2 الجهة النحوية:

هي جهة تبنى تركيبياً في تفاعل مع صرفات الفعل الأخرى، حيث تمثل الجهة النحوية «الطرق المختلفة لرؤية التكوين الزمني الداخلي للوضع»⁵ (The internal temporal constituency of a situation)⁶ أي أن الصرفات الجهية تحدد الوجهة المتخذة لرؤية الوضع، إذ يؤدي منظور المتكلم دوراً مهماً في ذلك، فالوضع إما أن ينظر إليه باعتباره كلاً غير مجزأ⁷ دون التمييز بين المراحل المنفصلة التي تشكل ذلك الوضع؛ فيعكس - حينها - جهة التام (Perfective) أو ينظر إليه في نقطة من نقاط سيرورته، من حيث بدايته، أو وسطه، أو نهايته، فيعكس

1- الحاج موسى ثالث، «مفهوم الجهة في اللسانيات (دراسة نظرية وتطبيقية على اللغة العربية المعاصرة)» (ماحستير، الرياض، الملك سعود، 1427)، 16.

2- تعدد ترجمة مصطلح aspect في المغرب العربي؛ حيث يترجمه التونسيون بالمظهر، بينما يترجمه المغربيون بالجهة، ويبدو أن الترجمة المغربية أكثر شيوعاً في البرس اللساني العربي، لذا سنستخدمها ما لم يكن هناك سياق يقتضي الأخذ بالترجمة الأخرى (القول من مرجع محمد ناك الترجمة).

3- عبد العزيز المسعودي، «المعاني الجهية والمظهرية (بحث لساني في المتولة الدلالية)» (دكتوراه، تونس، سوس، 2013)، 185.

4- عبد العزيز المسعودي، «المعاني الجهية والمظهرية (بحث لساني في المتولة الدلالية)» (دكتوراه، تونس، سوس، 2013)، 186.

5- يستخدم مصطلح الوضع في لسانيات الجهة للدلالة على أنماط الفعل المختلفة، وأنواعه.

6- Bernard Comrie, Aspect: An Introduction to the Study of Verbal Aspect and Related Problems, Cambridge Textbooks in Linguistics (Cambridge; New York: Cambridge University Press, 3, 1976) (As the general definition of aspect, we may take the formulation that 'aspects are different ways of viewing the internal temporal constituency of a situation').

7- (the view of a situation as a single whole)

جهة غير التام (imperfective⁸) لذا يقتضي التام عدم الإحالة على التكوين الداخلي للوضع، فسمات الامتداد، واللاحظية غير مرئية في جهة التام؛ لأنها تعمل - كما تقدم - على إبراز الوضع باعتباره كلا موحدًا، دون اعتبار للإحالة على بنيته الزمنية الداخلية، إذ يستبطن التعريف عدم وجود أي إشارة إلى تلك البنية⁹، ففي الجملة [1]¹⁰.

[1] ترأس رئيس الجمهورية ثلاث مرات.

يقدم الوضع من منظور إجمالي، حيث يتم جمع فترة «ثلاث مرات» في كل موحد، دون النظر إلى بداية، أو وسط، أو نهاية أي فترة من تلك الفترات الثلاث، بخلاف الجمل التالية:

[2] كان يرأس زيد البرلمان خمس سنوات. التي تعني أن زيدا كان يدير البرلمان رئيسًا له في كل فاصل زمني من تلك السنوات الخمس؛ لذا فالأحداث المنفردة التي تقع خلال هذا الحيز مؤطرة بالجملة، ولأن جهة غير التام تسمح بالإحالة على التكوين الداخلي للوضع؛ تكون سمات الامتداد، أو اللاحظية للأحداث مرئية، مما يسمح بالحصول على [3] :

[3] ظل زيد يرأس البرلمان خمس سنوات، وخلال السنتين الأوليين اصطدم ببعض النواب، وكانوا منسجمين في بقية مأموريته. ففي هذا المثال يتضح التكوين الداخلي للوضع، وقد بدا مكونا من حدثين بارزين اتسم كل منهما بالامتداد الزمني، حيث دام الحدث الأول (الاصطدام ببعض النواب) سنتين، فيما امتد الحدث الآخر (انسجام النواب مع رئيس البرلمان) ثلاث سنوات.

ويمتاز غير التام عن التام في قدرة

غير التام على إدراج أحداث ضمن بنيته الزمنية المفتوحة، بخلاف التام¹¹ كما توضح الأمثلة التالية:

[4] كان محمد يحرر الباب الثاني من أطروحته، حينما كان الأستاذ المشرف يرسل ملاحظاته على الباب الأول، وزميله يودع أطروحته للنقاش.

[5] كان محمد يحرر الباب الثاني من أطروحته، عندما أرسل الأستاذ المشرف ملاحظاته على الباب الأول، وأودع زميله أطروحته للنقاش.

[6] حرر محمد الباب الثاني من أطروحته، حينما أرسل الأستاذ المشرف ملاحظاته على الباب الأول، وأودع زميله أطروحته للنقاش.

[7] حرر محمد الباب الثاني من أطروحته، عندما كان الأستاذ المشرف يرسل ملاحظاته على الباب الأول، وزميله يودع أطروحته للنقاش.

تبين الأمثلة أعلاه أن البنية الزمنية للتام مغلقة، لا تسمح بإدراج أحداث ضمنها، بل تقتصر على تأويل يقوم على علاقة ترتيب سلسلية بين الأحداث، وليست علاقة تضمن، ففي (6، و7) يأتي إرسال الأستاذ ملاحظاته على الباب الأول، وإيداع الزميل أطروحته بعد تحرير محمد للباب الثاني؛ أي أن تلك الأحداث مرتبة بعد الحدث الأول، وليست متضمنة في بنيته الداخلية.

بينما يسمح غير التام بإدراج أحداث، لأن بنيته الزمنية مفتوحة؛ لذا في المثالين (4، و5) يقع حدث إرسال الأستاذ المشرف ملاحظاته على الباب الأول، وإيداع الزميل أطروحته للنقاش، يقعان ضمن الحيز الزمني الذي يغطيه تحرير محمد للباب الثاني من أطروحته؛ أي أن ذينك الحدثين متضمنين في الحدث الأول. وترد مقولة التام في سياقات زمنية متعددة، مما يعني عدم وجود علاقة

استلزامية بينها وبين الزمن الماضي في اللغة العربية، كما توضح الأمثلة التالية:

[8] أجازت لجنة التحكيم العمل.

[9] إذا أجازت لجنة التحكيم العمل؛ سلمتك المجلة إفادة قبول نشره.

فإذا كان الحدث التام في [8] مَوْضِعًا زمنيًا في الماضي، فإن ذلك لا يعني علاقة استلزامية بينهما، كما يتضح من [9] التي يَمُوقِع التام فيها في المستقبل زمنيًا.

وما دام التام يمكن أن يوضع في الماضي، والمستقبل، وغير التام يرد في السياقات الزمنية الثلاثة (الماضي، والحاضر، والمستقبل) كما تبين الأمثلة التالية:

[10] كان المحامي يتولى الدفاع عن موكله العام الماضي.

[11] يتولى المحامي الدفاع عن موكله الآن.

[12] يتولى المحامي الدفاع عن موكله في الجلسة القادمة.

ما دام كذلك فإن الجهة لا تحدد زمنًا مخصصًا تستلزمه في مختلف السياقات، ويقدم عبد القادر الفاسي الفهري تفسيرًا تركيبيا لهذه الظاهرة من خلال أطروحته في «توارث السمات» إذ يجعل التخصيص تصاعديًا أو تنازليًا تبعًا لخصائص اللسان، فهناك لغات يتبع التخصيص الزمني فيها السمة الجهية كاللغات الإفريقية مثلًا، حيث تسرب الجهة سمة زمنية للرأس الزمني الأعلى الفارغ كي تجعله مَوْوَلًا، وهناك لغات يحمل فيها الزمن سمات جهية ثابتة يسربها إلى الرأس الجهي الذي يسفله في التركيب الشجري ومنها العربية؛ مما يعني أن الفعل إذا دل على الماضي فهو حتمًا يدل على التام، لكنه قد يدل على التام دون أن يدل على الماضي، فالزمن

6 - Bernard Comrie, Aspect: An Introduction to the Study of Verbal Aspect and Related Problems, Cambridge Textbooks in Linguistics (Cambridge : New York: Cambridge University Press, 16, (1976).

9 - المرجع السابق، 21.

10 - المثال مقتبس من: إجمد الملاح، الزمن في اللغة العربية بنيانه التركيبية والدلالية، ط1 (الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، منشورات الاختلاف، 2009)، 350.

11 - إجمد الملاح، الزمن في اللغة العربية بنيانه التركيبية والدلالية، ط1 (الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، منشورات الاختلاف، 2009)، 351.

يعبر عن علاقة زمنية محددة هي القبلية (Anteriority)، وأما الزمن غير الموسوم فيأتي في صيغة المضارع، وهو غير قبلي¹⁴ وبما أن الفعل الماضي في العربية لا يملك إلا زمنا ماضيا عاما¹⁵ فإنه يستعمل المضارع غير الموسوم، الذي يمتلك خاصية التبعية الزمنية في السياقات المدمجة، كما في الأمثلة التالية: [21] بينما يكتب زيد الأقصوصة، دخل عمرو مكتبه.

[22] جلس خالد يرسم اللوحة.
[23] رأيت ابن الجيران يلعب الكرة.
[24] جعل المؤلف الطالب يشتري الكتاب.

فحدث الكتابة في [21] وُضع في زمن ماضٍ موافق لزمن الجملة الدامجة (دخل)، وهو ما ينسحب على المركبات الزمنية الملحقة الدالة على الحال في [22] و [23] فحدث الرسم وُضع في الماضي، موافق لحدث جلوس خالد، وكذلك لعب الكرة، موضح زمنا بالنظر إلى حدث الرؤية الماضي الموافق له، ولا يختلف الأمر مع البنى الجمعية (المثال 24) فشرء الكتاب موضح في الماضي لموافقته حدث الجعل. وتدل الأمثلة السابقة على حيادية المضارع زمنيا؛ مما يجعله يقبل الاندراج في سياقات زمنية متعددة تتراوح بين «سياقات المتوالية الزمنية وسياق الإلحاق أو الإدماج أو النفي (الزمني) أو الوسم الوجهي»¹⁶ كما يمكنه - بحكم سمته الجهية (غير التمام) - أن يرد مع الأفعال الجهية (الأفعال الناقصة في الاصطلاح الذروي الدالة على الشروع، أو الصيرورة، أو الاستمرارية، أو الاطراد...) وهذه الأفعال تجلي سمات جهية، لا تكون مؤولة إلا مع جهة

أما جواز الجمل [18]، و [19]، و [20] التي تبدو في الظاهر مطابقة للجملة [17] فيستلزم تعدد المحور الزمني، أو تعدد الأحداث المسقطة عليه، لتكون القراءة مقبولة: [18] ترجم الأستاذ كتب راي جاكندوف، وما زال يترجمها اليوم. [19] قرأ الباحث مقالات نعيم تشومسكي، وما زال يقرأها الآن. [20] درس الطالب اللسانيات، وما زال يدرسها هذه السنة.

ففي المثالين 19، و 20 لسنا أمام محور زمني واحد أو مفرد (Individuated) بل إن هناك حدث قراءة في الماضي، وهناك أحداث قراءة أخرى تقع الآن في محور زمني ليس الماضي الذي انقضى، ولم يعد فتح بنيته ممكنا، لامتلاكه جهة التام ذات البنية المغلقة، كما مر بنا من قبل، والشيء نفسه يقال عن حدث الدراسة الذي تعددت محاور الزمن التي تم، ويتم فيها.

أما المثال 18 فينضاف لتعدد المحاور الزمنية فيه اختلاف الأحداث المسقطة عليها، إذ إن ما ترجمه الأستاذ من كتب جاكندوف في الماضي يختلف عما يترجمه اليوم، فإن كان ترجم فيما مضى مثلا كتابه «علم الدلالة والعرفانية» فإن ما يترجمه الآن قد يكون كتابه «دليل ميسر إلى الفكر والمعنى» أو أي كتاب من كتبه الأخرى، وليس - بالضرورة المتأسسة على دلالة الماضي، وتجارب الواقع - كتاب «علم الدلالة والعرفانية».

ومما يميز المضارع عن الماضي في اللغة العربية أن المضارع غير موسوم زمنيا خلافا للماضي ف«نظام الزمن العربي في الفعل مبني على زمن موسوم واحد هو الماضي،

المخصص هو الذي يحمل بالضرورة سمة جهية يسربها إلى الجهة، وليس العكس¹².

ويختلف الماضي في اللغة العربية (الذي وصفناه بامتلاكه جهة التام) عن الماضي في بعض اللغات الأخرى كالإنجليزية مثلا، التي يعتبر الماضي محايدا فيها بالنظر إلى تقابل جهتي التام وغير التام، كما توضح الأمثلة الموالية:

[13] Mohamed said that his professor was presenting the book.

[14] Mohamed said: my professor is presenting the book.

[15] قال محمد إن الدولة بنت جامعة عصرية.

[16] قال محمد إن الدولة تبني جامعة عصرية.

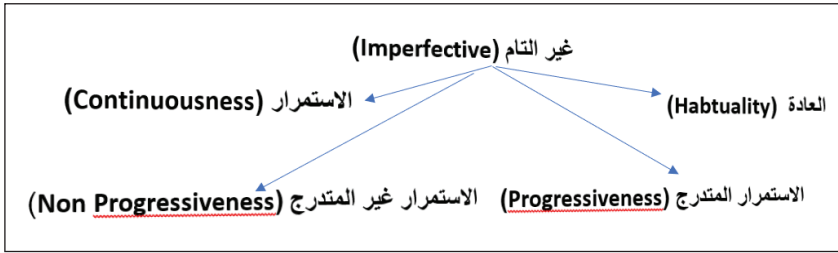
فإذا كان تقديم الأستاذ للكتاب في المثال 13 موافقا لزمن القول في الماضي، أي أنه محول - بناء على تطبيق قاعدة المطابقة الزمنية في الكلام المنقول (Reported speech) في الإنجليزية - عن المثال 14 الذي يوافق فيه زمن التقديم زمن القول في الحاضر، فإن المثال 15 لا يمكن أن يكون محولا عن المثال 16، فوحده الأخير يسمح بقراءة التوافق، أما 15 فلا يقبل التوافق، لأن الماضي يستلزم جهة التام؛ أي أن محمدا حين قال إن الدولة بنت جامعة عصرية؛ اقتضى ذلك أن يكون البناء انتهى قبل قول محمد.

ويرى امحمد الملاح أن حمل الماضي في اللغة العربية سمة التام هو ما يفسر لحن الجملة [17]:

[17] * أكل زيد تفاحة، وما زال يأكلها¹³.

12 - المرجع السابق نقلا عن Fassi Fehri. 2002. The Syntax of Arabic Time.
13 - المرجع السابق، 353.
14 - عبد القادر الفاسي الفهري، وآخرون، «عن الماضي والاكتمال أو لماذا ليست العربية لغة هجيه»، في البنى الزمنية وأنشائها (المغرب: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب وجمعية اللسانيات بالمغرب، 2000)، 14.
15 - المرجع السابق، 20 - 21.
16 - امحمد الملاح، الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، 2009، 54.

شكل: تفريعات المقولة الجهية المحورية للمضارع:



غير التام، خلافا للتام الذي يؤدي تركيبها معه إلى لحن التركيب الذي ترد فيه، كما تبين الأمثلة التالية:

[25] أنشأ يستقبل المدعوين.

[26] ما فتى يراجع عمله.

[27] ظل يتابع دروسه.

[28] كاد يفوز في المسابقة.

[29] *بدأ ألف كتابه.

[30] *ما زال أعد أطروحته.

[31] *ظل تابع دروسه.

[32] *أوشك فاز في المسابقة.

فما يفسر سلامة الجمل (25)، و26، و27، و28) كون المضارع

يحمل مقولة غير التام، مما يسمح للسمات الجهية التي تظهرها الأفعال

الجهية بالتأويل، أما الجمل (29)، و30، و31، و32) فهي لاحنة؛ لأن

الماضي موسوم زمنيا، ويستلزم جهة التام؛ التي تجعل السمات الجهية

المرتبطة بالشروع، أو الانتهاء، أو الصيرورة... غير مؤولة، حيث إن

جهة التام - كما مر بنا - تنظر إلى الوضع باعتباره كلا غير مجزأ (as

a single whole)، دون التمييز بين المراحل المنفصلة التي تشكل ذلك

الوضع. حيادية المضارع زمنيا، جعلت بعض الدارسين يعتبرونه صورة

جهية محضة، هذا ما خلص إليه الحسن السعيد اعتمادا على أعمال

شلونسكي (1997) والفاسي الفهري (1993) وابن مامون (2000) حيث

يقول: «إن ما يمكن استخلاصه من تفكيك البنية الصرافية للشكل الفعلي

غير التام [المضارع] هو أنه لا يحمل أية معلومة زمنية، وأنه شكل جهي

محض غير مخصص بالزمن إلا عند التحامه مع السنين أو سوف أو مع

عناصر النفي»¹⁷

وإضافة إلى المقولة الجهية المركزية «غير التام» التي يحملها الفعل

المضارع تمتلك هذه الصيغة مجموعة

من القيم الدلالية الجهية، المجسدة للمقولات الجهية التي تتفرع من تلك المقولة المركزية، وتشارك العربية - في ذلك - مع اللغات الطبيعية، التي تتقاسم النظام التفرعي¹⁸:

هذه التفرعات الجهية لا تظهر في شكل صرفات تتصل بجذع الفعل، بل تشق داخل السياق التركيبي

والدالي الذي ترد فيه¹⁹ ويمكن التمثيل لتلك السمات بالأمثلة التالية:

[33] ينظم بيت الشعر في نواكشوط نشاطا ثقافيا كل أسبوعين. (عادة)

[34] يحذر الطالب أطروحته الآن. (الاستمرار المتدرج)

[35] يسعد الباحث لنشر مقاله. (الاستمرار غير المتدرج)

فحدث التنظيم في [33] يشير إلى وجود عادة انتهجها بيت الشعر في

نواكشوط؛ حتى صارت ديدنه لتكررها مدة من الزمن، وينبغي - هنا - ألا يقع

الخلط بين العادة (Habituality) والتكرار (Iterativity) الذي مثل

له Comrie في الانجليزية بالجملة [36] التي نترجمها بالجملة [37]

[36] The lecturer stood up, coughed five times, and said...²⁰

[37]: قام المحاضر، سعل خمس مرات ثم قال...

إذ لا يعني سعال المحاضر خمس مرات أنه عادة له، بل هو حدث

عارض وقع له وتكرر في ذلك

الموقف، فمجرد تكرار الحدث لا يجعله عادة.

أما [34] فتجسد جهة الاستمرار المتدرج؛ حيث إن حدث التحرير

يسير في تدرج نحو تحقيق الهدف النهائي، وهو إكمال ذلك الحدث،

بينما يعكس المثال [35] جهة الاستمرار غير المتدرج؛ لأن «يسعد»

من أفعال الحالات، التي تعبر عن ثبات وانسجام في سيرورتها الزمنية.

3 الجهة المعجمية

«Aktionsart»:

الجهة المعجمية، أو نوع الحدث، أو طبيعة معنى الحدث، أو الدلالة

الداخلية للأفعال، أو جهة الأوضاع، أو ما يسمى في اللسانيات الألمانية

Aktionsart ... مصطلحات متعددة يقصد بها الخصائص الزمنية

الداخلية للأوضاع (الأفعال) من الحركية (dynamicity)، والسكونية

(stativity)، والديمومة (durativity) والنقطية (punctuality)،

والانتهاء (telicity)، والمحدودية (boundedness).

وتطرح الجهة المعجمية بعض الإشكالات منها ما يتعلق بالمجالات

التي تصفها المقولات الجهية المعجمية هل هي مقولات لأفعال،

أم للمركبات الفعلية، أم للجمل؟ ومنها الضوابط الضرورية والكافية

لتصنيف الأفعال في المقولات، أي فرز الطبقات الجهية، لأن «الأفعال لا

تنتمي إلى صنف قار، إنها تنتقل من

17 - الحسن السعيد، المقولات الوظيفية في الجملة العربية، ط1، رسائل وأطروحات، 10 (المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سائس - فاس، 2005)، 137.

18 - Cristina Grisot، «Temporal Reference: Empirical and Theoretical Perspectives Converging Evidence from English and Romance»، 48.

19 - احمد الملاح، الزمن في اللغة العربية ببناء التركيبية والدلالية، 2009، 355.

20 - Comrie، Aspect، 27، 1976.

الحالات والإتمامات حين قال: « [...] الإتمامات تتطلب لحظات زمنية فريدة ومحددة، في حين أن الحالات تتطلب لحظات زمنية غير محددة وغير فريدة»²⁶

لذا لا تقتصر بالأفعال الجبهية الدالة على استمرار الحدث، وهو ما يفسر لحن المثال (41)، كما لا تقتصر بالظروف الزمنية الدالة على الامتداد (42)، وتأتي أن ترد مع الظروف الدالة على الفواصل الزمنية (43).

[41] * ما زال يصل القمة.

[42] * يصل القمة طوال اليوم.

[43] * انفجر الإطار من الخامسة حتى السادسة.

أما أفعال الإنجاز فهي أحداث امتدادية، محددة البداية والنهاية؛ لذا تعبر عن حدث متنام يتطور شيئاً فشيئاً حتى يصل الذروة، كما تبين الأمثلة:

[44] زيد يرسم الشجرة.

[45] أكل زيد كعكة.

[46] دفع السيارة صوب المرأب.

وكما وضع فاندلر الإتمامات والحالات في مجموعة متقابلة، وضع - كذلك - الأنشطة والإنجازات في صورة تقابلية فقال: «مفهوم الأنشطة يتطلب أطواراً من الزمن ليست فريدة أو محددة، أما الإنجازات فتستلزم مفهوم الأطوار الزمنية الفريدة والمحددة»²⁷ لذا تصف الأنشطة

الأوضاع الحركية (dynamic situation) المتكررة في امتداد زمني غير مقيد بنقطة نهاية محددة؛ أي أن الفاعل يمكن وصفه بهذا النشاط في أي لحظة من اللحظات المكونة لذلك الزمن الممتد، ويوضح المثالان [47] و[48] محورية التفريق بين الأنشطة والإنجازات:

[47] محمد يجري ميلاً. (نشاط)

تنهض به جهة الوضع، وتعتبر السمات التمييزية للأصناف الجبهية ذات علاقة وطيدة بالهندسة الزمنية التي تعبر عنها المحمولات أو الجمل التي ترأسها الأفعال²⁴.

وهذا ما يفسر عدم قابلية أفعال الحالة للانقسام إلى أحداث فرعية، لأن الحالة موسومة بسمة (- تدرجية)، كما أنها تفتقر إلى بداية ونهاية معلومتين ومحددتين في المسار الزمني العام للوضع (- محدودية)؛ لذا لا تتناسب مع الموجهات الدالة

جدول: صانعة فاندلر لطبقات الأفعال الجبهية:

الأصناف الجبهية	السمات التمييزية			
	التدرجية	الامتداد الزمني	المحدودية	الحركية
الحالة	-	+	-	-
الإتمام	-	-	+	+
الإنجاز	+	+	+	+
النشاط	+	+	-	-
				التأثر ²⁵

على البدء/ الشرع (المثال 46) أو قرب الحدث (المثال 47)؛ فهي تعبر عن أوضاع منسجمة تتطلب أوقاتاً مبهمه (+ امتداد زمني)، غير متوائمة مع التحديد الزمني، أو السيروية المتدرجة في الزمن (48).

[38] * شرع يفرح.

[39] * كاد يكرم.

[40] * يحزن زيد الآن.

وإذا كانت أفعال الحالة تملك امتداداً زمنياً، فإن أفعال الإتمام لحظية (Punctual) لا تتضح الحدود فيها بين بداية الحدث ونهايته؛ بل تلتحم البداية والنهاية بحيث لا يمكن عزل إحدهما عن الأخرى، وقد نبه فاندلر على هذا التقابل بين

صنف إلى آخر²¹. ومن أهم تصنيف الأفعال على أساس طبقاتها الجبهية تصنيف الفيلسوف زينو فندلر²² (Zeno Vendler) 1967 م الذي يميز فيه بين أربعة أصناف، هي: الحالات (states) والأنشطة (activities) والإنجازات (accomplishments) والإتمامات (achievements).

ولمحاولة التمييز بين هذه المقولات الجبهية، وتصنيف الموضوعات تعرض على جملة من السمات أهمها: {±

امتداد زمني (Durativity)، {± تدرجية (Progressivity)، {± حركية (Dynamicity)، {± محدودية (Boundedness) كما يوضح الجدول الموالي:

ويتضح مما سبق أن الجهة المعجمية، أي الجهة اللازمة للفعل (قبل تصرفه)، وجهة البناء أو التصرف تعبر - أساساً - عن «مجموعة سمات الحدث التي تمكن من قياسه، ووصفه زمنياً؛ فهو ممتد، أو غير ممتد، أو لحظي، أو محدود [...]»²³ أي أن القياس الزمني الداخلي للفعل

21 - عبد المجيد بجة، دلالة الزمن في العربية (دراسة النسق الزمني للأفعال)، ط1، سلسلة المعرفة اللسانية (الدار البيضاء، المغرب: دار توفال للنشر، 2006)، 180.

22 - Zeno Vendler، «الأفعال والأزمنة»، في دلالة اللغة وتصنيفها، ترجمة عبد المجيد بجة، ط1، أعمال جامعية (المغرب: دار توفال للنشر، 2007).

23 - هذه السمة المانعة أخذه من الملاح، التي آدمها ضمن منظومة السات، ينظر: أحمد الملاح، الزمن في اللغة العربية ببنائه التركيبية والدلالية، 339، 2009، ولعلها خاصة باللغة العربية؛ حيث تسهم في التفريق بين الموضوع في الإجازات والإتمامات، فهو داخلي في الأولى، وخارجي في الأخرى...

24 - عبد القادر القاسي النهري، البناء المازي الموسع نظرية توليدية جديدة ط1 (غان/الأردن: دار كوز المعرفة، 2018)، 90.

25 - أحمد الملاح، الزمن في اللغة العربية ببنائه التركيبية والدلالية، 339، 2009.

26 - رجاء كنوف، ن. تشومسكي، و. ز. فاندلر، دلالة اللغة وتصنيفها، ترجمة محمد عالم، عبد المجيد بجة، و محمد الرحالي، ط1، أعمال جامعية (دار توفال للنشر، 2007)، 77.

27 - المرجع السابق، 78.

[48] محمد يجري إلى المحاضرة. (إنجاز)

فغياب التحديد، أو الذروة التي يتقدم الحدث نحوها في [42] جعلها ضمن الأفعال الدالة على نشاط، في حين أحال التحديد (إلى المحاضرة) الفعل (يجري) إلى فعل إنجاز.

ويطرح المثالان الأخيران أهم اعتراض واجه تقسيم فاندلر ودوتي الذي يحصر التخصيص الجهي، بينما تظهر الوقائع اللغوية مرونة جبهة، حيث نجد الفعل الواحد - كما في المثالين أعلاه - يظهر في طبقات جبهة مختلفة نتيجة السياق الذي يرد فيه؛ مما يعني أن التخصيص الجهي لا يقتصر على طبيعة الأفعال، بل لا بد من مراعاة الفضلات، والمركبات الحرفية أو الملحقات التي ترد مع تلك الأفعال؛ أي التفاعل التأليفي بين مختلف مكونات الجملة. وقد قاد تحليل الأفعال العربية في سياقات لغوية متعددة، الملاح إلى استخلاص أن «الأفعال لا تحمل خصائص جبهة ملازمة، ولا يجوز اسنادها إلى طبقات جبهة بشكل قبلي دون مراعاة شروط المؤلف²⁸» ولا يعني ذلك أن غياب الخصائص الجبهة الملازمة ينفي غياب توزيع تلك الأفعال في طبقات جبهة انطلاقاً من معانيها المعجمية، بل يعني - في تصورنا - قبول تلك السمات التي على أساسها تم التصنيف، قبولها للإلغاء والتعديل أثناء التفاعل بين مكونات الجملة، وذلك ما يجعل سيورة التحول الدلالي ليست حرة، بل محدودة.

فالإشكال هنا ليس في التصنيف الجهي، وإنما في مستوى تخصيص السمات الجبهة؛ أي هل يتم ذلك

التخصيص في المعجم - (ويبدو أن هذا هو الاعتبار الذي انطلق منه فاندلر ودوتي) فنقول إن فعل «جري» يحمل تخصيصاً جبهة في المعجم (+نشاط)، وأن «عرف» يحمل تخصيصاً جبهة (+حالة) - أم يتم التخصيص في التركيب؟ فتكون الأفعال خلواً من سمات جبهة قبلية، أم أن التخصيص القبلي في المعجم يقتصر على بعض السمات، ويتولى التركيب السمات الأخرى؟ ويبدو أن الافتراض الذي تدعمه وقائع اللغات، وتبناء عدد من الباحثين منهم: فاركلي (H.J. Verkuyl)²⁹ عبد المجيد حجفة (2001) واما محمد الملاح (2009)، وهارلي (1995)³⁰، وبورو (2002)³¹، وكيرون (1998) هو الافتراض التأليفي.

بعد أن رأينا أن المقولات الجبهة تسعى إلى قياس ووصف البنية الزمنية للحدث، من الضروري أن نتساءل - من منظور زمني دلالي - عما يمكن أن تقدمه تلك الطبقات في وصف العلاقات الزمنية بين الأحداث، أي هل يمكن اعتبار المقولات الجبهة معياراً موثقاً/ صادقاً (fiable) لتحديد المرجع الزمني؟ وبالتالي استخراج ترتيب الأحداث فيما بينها. ينقل الويس ديسوسير عن بربرا هال بارتي (Barbara Hall Partee)³² اعتبارها أن المقولات الجبهة موجهة لبيان ترتيب الأحداث فيما بينها؛ حيث لا يمكن لـ«الحالة» أو «النشاط» التعبير عن التقدم في الزمن، بينما يتسنى لـ«الإتمام» و«الإنجاز» ذلك في ظروف معينة³³، وبعبارة أخرى فإن النشاط يقدم الوضع باعتبار الزمن فيه عائدياً (Anaphorique) أي أن إحالته الزمنية تغطي الإحالة

الزمنية للحدث السابق، فهي - لذا - مربوطة إحصائياً/عائدياً به.

ومع أن هذا الطرح أو الافتراض ما يزال يتمتع ببعض الجاهة، فإن هناك أمثلة كثيرة من واقع الممارسة اللغوية في اللغتين العربية والفرنسية³⁴ لا تنسجم معه، كما في [49] التي تعبر عن «حالة» مع تقدم الزمن في بقية الملفوظ، و [50] المكونة من أفعال «إنجاز» لا تقدم تسلسلاً زمنياً يراعي ورود تلك الأفعال:

[49] لاندهاشي الكبير، رأيت أن التمثال الضخم وقع أرضاً. غطى هيكله جزءاً كبيراً من البساط³⁵. [50] أكلت مريم كعكة بينما كانت ترسم شجرة في لوحاتها الجديدة. يوضح المثال [49] قراءة ليست سكونية لـ«الحالة»، حيث يتضح أن تغطية التمثال جزءاً كبيراً من البساط، كان بعد سقوطه، مما يعني أن القراءة الزمنية تتقدم، وليست سكونية، أما المثال [50] فيعرض الأحداث التي يعبر عنها الفعلان الإنجازيان (أكلت، وترسم) دون أن تكون الأحداث مرتبة ترتيباً يسمح بقراءة زمنية متنامية؛ فليس رسم الشجرة موقعا زمنياً - كما يفترض الطرح السابق - بعد أكل الكعكة، بل الحدث الأول متضمن في الحدث الثاني.

ولا يعني هذا أن الافتراض الذي قدمت بارتي مدحوض، بل نرى - تبعاً لما قدمه ديسوسير عن الفرنسية، وما تمدنا به استخدامات اللغة العربية - أن المقولات الجبهة لا تقدم قراءة زمنية قبلية قارة لا تقبل التعديل في مستوى التركيب، بل تأتي حاملة معها سمات يمكن تثبيتها تبعاً

28 - محمد الملاح، الزمن في اللغة العربية ببنائه التركيبية والدلالية، 2009، 342.

30 - محمد الملاح، الزمن في اللغة العربية ببنائه التركيبية والدلالية، 2009، 345. المرجع السابق، 31.

32 - Louis de Saussure, «Pragmatique temporelle des énoncés négatifs», 62

33- المرجع السابق

34 - Louis de Saussure, «Pragmatic Resolutions of Temporal and Aspectual Mismatches», Pragmatics & Cognition 28 (31 ديسمبر 2021)، 63. <https://doi.org/10.1075/pc.21014.sau>

35 - A mon grand étonnement, je vis que le colosse tombait à terre. La masse de son corps couvrait une grande partie du tapis.

مصادر ومراجع المقال:

- الحاج موسى ثالث. «مفهوم الجهة في اللسانيات (دراسة نظرية وتطبيقية على اللغة العربية المعاصرة)». ماجستير، الملك سعود، 1427.
- الحسن السعيد. المقولات الوظيفية في الجملة العربية. ط1. رسائل وأطروحات. 10. المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس - فاس، 2005.
- إمحمد الملاح. الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية. ط1. الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، منشورات الاختلاف، 2009.
- ر. جاكندوف، ن. تشومسكي، و. ز. فاندلر. دلالة اللغة وتصميمها. ترجمة محمد غالي، عبد المجيد جحفة، و محمد الرحالي. ط1. أعمال جامعية. دار توبقال للنشر، 2007.
- عبد العزيز المسعودي. «المعاني الجبهة والمظهرية بحث لساني في المقولة الدلالية». دكتوراه، سوسه، 2013.
- عبد القادر الفاسي الفهري. البناء الموازي الموسع نظرية توليدية جديدة. ط1. عمان/الأردن: دار كنوز المعرفة، 2018.
- عبد القادر الفاسي الفهري، وآخرون. «عن الماضي والاكتمال أو لماذا ليست العربية لغة جهية». في البنى الزمنية وأشكالها. المغرب: منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب وجمعية اللسانيات بالمغرب، 2000.
- عبد المجيد جحفة. دلالة الزمن في العربية (دراسة النسق الزمني للأفعال). ط1. سلسلة المعرفة اللسانية. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر، 2006.
- Cristina Grisot. «Temporal Reference: Empirical and Theoretical Perspectives Converging Evidence from English and Romance». Doctorat, Université de Genève, 2015.
- Comrie, Bernard. Aspect: An Introduction to the Study of Verbal Aspect and Related Problems. Cambridge Textbooks in Linguistics. Cambridge ; New York: Cambridge University Press, 1976.
- Jürgen Bohnemeyer. «Time Relations in Discourse. Evidence from a Comparative Approach to Yukatek Maya Katholieke». PhD, Universiteit Brabant, 1998.
- Saussure, Louis De. «Pragmatic Resolutions of Temporal and Aspectual Mismatches». Pragmatics & Cognition 28, 51-228: (2021) عدد 2 (31 ديسمبر، 2021). <https://doi.org/10.1075/pc.21014.sau>.
- Verkuyl, H. J. On the Compositional Nature of the Aspects. Dordrecht: Springer Netherlands, 1972. <https://doi.org/10.10074-2478-017-94-978/>.

لمقتضيات التركيب والدلالة، كما يمكن تعديلها؛ أي أن القراءة الزمنية للمتواليات الجبهة ينبغي أن تكون قراءة تجميعية.

ويصوغ لويس ديسوسير مبدئين يحكمان افتراضيا أثر العلاقات الجبهة في تنظيم البنية الزمنية للأحداث داخل الملفوظ/أو الخطاب³⁶:

1- مبدأ عدم التقدم الزمني في «الحالة»: افتراضيا، فإن المتلقي الذي يؤول «حالة» يستنتج عدم التقدم الزمني (-infère la non-progression temporelle).

لكن هذا المبدأ مقيد بعدم الاستحالة، لأنه مبدأ افتراضي، يقدم تصورا أوليا للمتلقى، عليه البحث عن غيره إن بدا مستحيلا أو غير ملائم، كما في المثال [49] الذي يدرك متلقيه العلاقة بين سقوط التمثال، وتغطية هيكله للبساط، مما تستحيل معه القراءة السكونية الافتراضية، لذا يلزم العدول عنها إلى قراءة التنامي الزمني للأحداث بدءا بالسقوط، وصولا إلى التغطية.

2- مبدأ التقدم الزمني في «الحدث» افتراضيا، فإن المتلقي الذي يؤول «حدثا» ما يستنتج التنامي الزمني (infère la progression temporelle) (الحدث) في اصطلاح لويس ديسوسير مقولة تشمل مقولتي «الاتمام» و«الانجاز» كما يوضح هو نفسه في³⁷:

ومرة أخرى عندما يتعذر تحقيق هذا المبدأ الافتراضي، يكون المتلقي مطالباً بالبحث عن تأويل آخر ينسجم مع السياق.

وقد قدمت جورجين بوهنمير (Jürgen Bohnemeyer) صياغة مماثلة حين اعتبرت أن «هناك عدم تقدم مع «الحالة» وتناميا مع «الحدث» ما لم يثبت عكس ذلك (unless there is evidence of)

36 - Louis de Saussure, «Information temporelle, procédures et ordre discursif, Cahiers Chronos 18 (Chronos Colloquium, Amsterdam New York: Rodopi, 63, (2007).

37 - Louis De Saussure, «Pragmatic Resolutions of Temporal and Aspectual Mismatches», Pragmatics & Cognition 51-228: (2021) عدد 2 (31 ديسمبر، 2021). <https://doi.org/10.1075/pc.21014.sau>.

38 - Jürgen Bohnemeyer, «Time Relations in Discourse. Evidence from a Comparative Approach to Yukatek Maya Katholieke» (PhD, Universiteit Brabant, 115, (1998).



الدكتور أحمد بزيّد إسماعيل
إطار بالمجلس الأعلى للتهذيب

رسالة الفرد للشيخ محمد المامي مقارنة بين سلاحين: ناري ولساني

المخلص:

المبحث الأول: الشيخ محمد المامي

التعريف:

1/1 اسمه ونسبه:

هو أبو عبد الله الشيخ محمد المامي بن البخاري بن حبيب الله بن برك الله فيه (باركلل)¹. وأمه مريم بنت محمود بن عبد الله بن برك الله فيه².

1/2 مولده ووفاته:

ولد الشيخ محمد المامي بمنطقة تيرس حيث يسكن ذووه، وتاريخ مولده ومكانه مختلف فيهما، وهذا أمر طبيعي في البدو³؛ لانعدام التوثيق غالباً. ويرجح أن يكون ولد سنة 1202 هـ - حسب رواية محمذن بن محمد الامين (أب علم)⁴، بينما ذهب الشيخ محمد الخضر بن حبيب الباركي إلى أنه ولد سنة 1206 هـ⁵، بموضع يُسمى «أرش اعمر». وتوفي جمادى الأولى سنة 1282 هـ⁶، ودفن قرب جبل «أيك» بتيرس⁷.

3.1 رحلاته:

تغرب الشيخ طلباً للعلم؛ فزار الكثير من البلدان، وطالع العديد من الكتب؛ كما صرح هو نفسه بذلك: «... مع أنه سيوجد -إن شاء الله- عند من جال جَولاني في البلاد والكتب»⁸. مع أنه «لا يحفظ

يتناول هذا المقال رسالة نثرية للشيخ محمد المامي بن البخاري الموريتاني (ت. 1282 هـ) قارن فيها بين وظائف أدوات نحوية ووظائف أجزاء بندقية «الفرد» (بندقية ذات طلقة واحدة).

وهذه الرسالة بديعة في منهجها، وهناك نقاط تقاطع بين السلاحين: النحوي والسلاح؛ فالنحو هو سلاح المتكلم الذي يعصمه من الخطأ، والبندقية في الحقيقة سلاح المقاتل الذي يعصمه من أعدائه. الكلمات - المفتاح: الشيخ محمد المامي، النحو العربي، بندقية الفرد، أدوات نحوية.

مقدمة:

بغية هذا المقال -أولاً- هي الإثارة المعرفية، حيث يسلط الضوء على رسالة نثرية، موضوعها النحو العربي؛ مقتصرة على بعض الأدوات (من، وما، وأي)، ولكن بطريقة تختلف هذه المرة عن الطرائق المعتادة في التقريب والتبسيط. فقد عمد كاتبها/ الشيخ محمد المامي إلى مقارنة هذه الأدوات ببعض أجزاء بندقية «الفرد».

وبما أن هذه البندقية قديمة، ولم يدون في ثقافتنا المحلية - عنها الكثير، والمقارنة بين شيئين تقتضي الإحاطة بجوانب المقارنين؛ ارتأينا -انطلاقاً من أن ما لا يدرك كله لا يترك كله- أن نعالج هذا العمل الذي يبدو فريداً في مضمونه بما أوتينا من قوة بحثية قصد الإثارة المعرفية فقط، عسى أن يقيض له الله تعالى من يحيط به خبراً، فيستكنه.

وقد قسمنا هذا المقال إلى مبحثين: أولهما للتعريف بالشيخ محمد المامي، والثاني للحديث عن رسالة الفردي.

1 - اسمه المختار، وهو الجد الجامع لقبيلة أهل «بارك الله فيه».

2 - موسوعة أنساب أهل باركلل، مرقون: ص: 62.

3 - هكذا الكثير من المشاهير؛ لأن هذا المولد لا يعرف هل يصبح شخصاً عظيماً كما سجدت لاحقاً - وبالتالي لا يعنى إلا بالتاريخ لوفاته.

4 - الشيخ محمد بن أحمد مسكة: شرح الصدر بشرح نظم أهل بدر، قطر الندى، الدار البيضاء/ديوان الشناقطة، وأكشوط - ط 1 - 1440 هـ/2019 م، ص: 69.

5 - محمد الخضر بن حبيب: مفاد الطول والقصر على نظم المختصر على شرح نظم خليل للشيخ محمد المامي، مخطوط، بموزني مصورة من بعض أجزائه، ج 1، ص: 21.

6 - صرح تلميذ له يدعى محمود فال في قصيدة رثاه بها بأنه توفي جمادى الأولى عن ثمان وسبعين سنة، حيث يقول:

وكان انتبا العلماء في عام «فقرش» «مع» عمره منها به كان مكروا
لدى ما انقضت للعام خمسة أشهر جمادى الأولى أخصى لحي مؤثراً

«فقرش» بحسب الجمل: 1282، و«مع»: 78.

وقد جلب الشيخ محمد الخضر أقوالاً في ذلك فقال: «وفي آخر ليلة جمعة في جمادى الأولى، كذا أخبرني جمع من أهل بيته زاعمين أنهم أقرب من الحضور، وقد وجدت في نظم تلميذ له ثقة أنها ليلة خميس لحس خلون من جمادى الأخيرة، وأن عمره ثمان وسبعون».

ورجح أن عاش سناً وسبعين عاماً.

المفاد، م: 1/ 22-21.

7 - وقد وصف لنا الشيخ محمد عبد الله بن البخاري مكان قبره حيث يقول: «أيك بيمزة مفتوحة وباء تحته ساكنة وكاف معقودة وهو أي الشيخ محمد المامي بجنبها الشرقي وورثه بعد وفاته».

ابن الفلالي (محمد عبد الله بن البخاري): كتاب العمران، تحقيق: مريم بنت آد، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة الأكشوط- قسم التاريخ، السنة الجامعية 1993-1994 م، ص: 53.

8 - الشيخ محمد المامي: رسائل الزكاة (ضمن مجموعة مؤلفات العلامة الشيخ محمد المامي)، زاوية الشيخ محمد المامي، ط 1 - 1428 هـ/2007 م، ص: 329.



فال بن محمد فال اليعقوبي (ت. 1264هـ/1847م) مسلما بعض فتاويه:

مَنْ قَلَدَ الْمَامِي السَّرِي فِي مَسْأَلَةٍ
نَجَا مِنَ الْحَسَابِ يَوْمَ الْمَسْأَلَةِ¹⁹

ثم قال ابن عمهما العلامة الشاعر محمد بن الطلبه (ت. 1274هـ/1856م) مسلما الفتوى نفسها: قُلْتُ: وَذَاكَ عِنْدَنَا مُسْلِمٌ

وَقَوْلٌ مِّنْ خَالِفِهِ مُجْرِمٌ²⁰
ويقول محمد الخضر بن حبيب (ت. 1345هـ) في وصفه:

«مشهور كشف وكرامات، (..) يقول بعض أهل عصره: «إنه موقف عقل»

وبعض: «لا مامي بعده»، على يديه كثيرا يكثر موجود ويعذب مالح ويتنمر نحو دباغ، وانتفع به كثير وبعضه بلا كتابة (..) يداعب تلاميذه ويتوسل بهم وبهمهم وكدهم وأفعالهم وبأبائهم، فائق في كل علوم الشرع

وخصوصا الشرعية الثلاثة، ما من فن إلا وله فيه تصانيف نثرا ونظما عربيا وغيره، صنف في أصول الفقه واحدا ومائة (..) بارع في الشعر بنوعيه ولم أر أكثر منه استسقاء

بهما (..) وكان أي: ظم [الناظم، يعني الشيخ محمد المامي] يمدحه صلى الله عليه وسلم كل عام بقصيدة يسميها «حمراء العرقوب» وأشعاره في علم

الحقيقة لا تحصر، كتأليفه فيها (..) وأخبرني الثقات أنه أعقل أهل زمانه وأنه جميل صورة، زاهد لا سيما في

المرابط محمد فال بن متالي التندغي، مبرزاً سمات مشتركة بينهما، وهي «أنهما ولدا في ليلة، وكلاهما يتيم ولا شيخ له...»¹⁴.

2 مكانته العلمية:

أثنى على الشيخ محمد المامي كثير من معاصريه؛ فهذا العلامة محنض بابيه بن ابييد الديماني (ت. 1277هـ/1860م) خاطبه لما تدبر

نظمه لمختصر خليل قائلا: «أدرك الفقه فقد خرج من الأيدي» فكان ذلك باعثا للشيخ على تأليف كتاب

البادية¹⁵.

وسئل الشيخ سيدي أحمد بابيه بن البخاري بن الفلالي الباركي (كان حيا 1276هـ) «على أي المذاهب

محمد المامي؟ فأجاب: على أي محمد المامي المذاهب»¹⁶.

وكان الشيخ محمد فال بن متالي (ت. 1287هـ/1870م) يستجيد إغرابات الشيخ محمد المامي «بالغة

ما بلغت، وكان يجله جدا ويتبرك بأثره»¹⁷.

وقال فيه ابن عمه الشيخ سيدي بن محمد مولود:

مما أخض وتغنيه مخاطبتي
محمد المام ركن القوم إن حفلوا

لا عطر بعد عروس حان وقتكم
لمثل ذا يندب الناظورة البطل¹⁸

وقال فيه ابن عمه الشيخ أحمد

الناس عن رحلته هذه شيئا (...) وكان ذلك في مقتبل شبابه»⁹.

ولكن المتتبع لأثار الشيخ ربما صادف ومضات تدل على بعض تلك المناطق، مثل قوله في كتاب البادية: «وقد شاهدت «ألمان» ب بكر بـ»جولمه» يقيم الحدود فله دره»¹⁰، فـ»جولمه» تقع في الإقليم الغربي من فوتا تورو الممتد على ضفتي النهر من حدود دكانة الشرقية غربا إلى مستنقع دوى شرقا¹¹.

4.1 تعلمه ومذهبه وطريقته:

من المتواتر عند ذوي الشيخ أنه لا شيخ له، لا في علم الظاهر ولا في علم الباطن، وأن علمه لدني؛ فقد ظهرت عليه أمارات النبوغ والصلاح في صباه.

وقد صرح الشيخ محمد المامي بأنه أشعري الاعتقاد، مالكي المذهب، قادري الطريقة، نسبة لسيدي عبد القادر الجيلاني، يقول:

قَالَ عُبَيْدُ رَبِّهِ الْمُقْتَدِرُ
مُحَمَّدُ ابْنُ الْبُخَارِيِّ الْأَشْعَرِيِّ
الْقَادِرِيِّ الْمَالِكِيِّ الْمَذْهَبِ

المغربى الباركي النسب¹²
ويبقى الإشكال الوارد: عمن أخذ

الشيخ محمد المامي الطريقة القادرية؟ وهل أخذها عن طريق الروحانية كما حدث لكثير من الأولياء؟¹³

مع أن الشيخ محمد الخضر بن حبيب في معرض حديثه عنه والعلامة

9 - الشيخ محمد بن أحمد مسكه: شرح الصدر، م، ص: 71.

10 - م، ص: 249.

11 - محمد المختار ولد السعد: إمارة التارزة وعلاقاتها التجارية والسياسية مع الفرنسيين من 1703 إلى 1860. منشورات معهد الدراسات الإفريقية 2002. 513/ 2.

12 - صادق التواعد (ظم التواعد الفقهية) وشرحه. صدر عن زاوية الشيخ محمد المام، نوأكشوط، ط1، 1431هـ/2010م. ص: 191.

13 - يسمى هذا النوع من الطرق بـ«الطريقة الأوسية» وهي المأخوذة من روحانية بعض الأنبياء والمشايع كأخذ سيدنا أؤيس من روحانية النبي صلى الله عليه وسلم، وكأخذ أبي يزيد من روحانية جعفر الصادق. راجع الشيخ سيد أحمد بن اسمه: الصبح الأتم والصلح والسلم، مخطوط، مجزئي مصورة منه، ص: 41.

14 - محمد الخضر بن حبيب: إشارة البشير وبشارة المشير (شرح قصيدة له في الأناظر العلمية). مخطوط. محفوظ بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت الرقم: 2385. ص: 18.

15 - كتاب البادية (ضمن مجموعة مؤلفات العلامة الشيخ محمد المامي)، زاوية الشيخ محمد المامي، ط1 - 1428هـ/2007م. ص: 169.

16 - محمد الخضر بن حبيب: المفاد، م، ص: (78/1).

17 - محمد الخضر بن حبيب: المفاد، م، ص: (44/1).

18 - أحمد كوري السالكي: تقدم ديوان الشعر الفصح للشيخ محمد المام. زاوية الشيخ محمد المامي، نوأكشوط، ط1 - 1435هـ/2014م. ص: 28.

19 - محمد بن أحمد مسكه: شرح الصدر، م، ص: 139.

20 - تقدم ديوان الشعر الفصح للشيخ محمد المام، م، ص: 41.

ما بأيدي الملوك، كريم الخلق، مُدار للناس، منصف ذو مروءة، مُنَحَارٌ وأنه ينحدر كل ليلة جمعة، كثير ضيف ومواساة، وأنه زار الكنتي جار «فَصْكَ» لكتب الأصول فاجتمعت له منها ليلته مائة وعشرون وتدبرها وحفظها، ونظم «الميزابية» عنده، وما أجودها! (..) وأخبرَ بخمسة عشر كتابا دخلت أرضه فيها ما في المائة والعشرين لتكون مصداقا لما حفظ»²¹.

وقد وصفه أيضا بأنه: «أعجوبة دهره»²². وحلاه كذلك بأنه: «أمير المؤمنين في كل فن»²³. وقال زين العابدين بن أحمد البيدالي (ت. 1359هـ/1940م) إنه «كان غاية في العلوم؛ لأنه مشارك بل كاد يفوق أهل عصره لانفراده بعلم الهيئة وتسيير الكواكب وأفطار الأرض وأطوالها»²⁴.

وقال فيه سيد أحمد بن اسمه الديمانسي (ت. 1393هـ/1973م): «ومنهم الشيخ محمد المامي المذكور، ناظم مختصر الشيخ خليل ومؤلف الكتاب المسمى: «كتاب البادية» في الأحكام المختصة بأهل البادية وصاحب القصيدة العجيبة المعروفة بالدلفينية وصاحب الأخرى المعروفة بالميزابية في الجدل (..) والذي نظم العلوم كلها من فقه ونحو وتوحيد ومنطق وبيان وسيرة وأنساب وهيئة وغير ذلك، بنظم حسن سلس محكم من الشعر الحساني، لا تمل منه الأذن مع طولها بل لا تزيده الحكاية إلا حسنا عند سامعيه، وهو من العجائب العظام، وهو ديوان للعلوم كلها (...) وما يقال: إنه يعلم عدد حصي الأرض الدال على اتصافه

بالفناء في الذات موصوفة بصفاتهما الذي لا يناله إلا الأفراد من خاصة الخاصة من أكابر الأولياء»²⁵.

الشيخ محمد المامي والسلاح:

تقتضي المقارنة بين أمرين معرفتهما حق المعرفة، وذلك بالإحاطة بجميع جزئياتهما وحيثياتهما، والشيخ محمد المامي قارن بين أدوات نحوية وقطع بندقية «الفردية»؛ مشبها كل جزء من هذه البندقية بعمل أحد هذه الأدوات النحوية؛ فما من شك في تبحره في علم النحو، ولكن يقف القارئ مشدوها متسائلا: من أين للشيخ معرفة السلاح حق المعرفة؟ ربما يكون هذا الاستشكال في محله؛ لأن الشيخ ينتمي إلى «فئة الزوايا» المعروفة بالمهادنة والمداراة والبعد عن حمل السلاح؛ وإن فرضه عليهم الواقع إلا أنهم لم ينسهم ذلك الأصل الذي هو «حمل السلاح»؛ لما يترتب عليه من المصالح الشرعية.

حدد الشيخ محمد المامي موقفه من طرح الزوايا السلاح (التزاويت) معتبرا أنهم ألجأتهم الضرورة إلى ذلك من باب ارتكاب أخف الضررين، رغم أنه يرى ذلك في الأصل سلبيا، يقول:

«وترى بعض الجهلة اليوم يفتخر بـ«التزاويت»، وهي لو كانت على حد القرآن: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾، الناطق بفحواه، وما كان المومنون ليقعدوا كَافَّةً، لكانت ممدوحة وتفقه الجميع في الدين، وإن كان مصلحة تنخرم مناسبتة بليين قناة المسلمين الذي لا شيء أدهى منه هذا مع أن افتخاره بـ«التزاويت»

لا يدري ما أصلها وما اشتقاقها وما حكمها (...) وأما حكم التزاويت: فهو الوجوب، مع أنها عادة شديدة الخلاف للشرع كما مر، وذلك لوجوب ارتكاب أخف الحرامين والضررين والمكروهين»²⁶.

يضاف إلى هذا كله عبقرية الشيخ محمد المامي وجولانه في البلاد والكتب²⁷، وطموحه المعلن إلى نصب الإمام وإقامة دولة إسلامية تقيم الحدود في هذه «البلاد السائبة»،

يقول:
وَقُلْتُمْ لَا جِهَادَ بِلَا إِمَامٍ
نَبَايُعُهُ فَهَلَّا تَنْصُبُونَا
وَقُلْتُمْ لَا إِمَامَ بِلَا جِهَادٍ
يُعَزِّزُهُ فَهَلَّا تَضْرِبُونَا
إِذَا جَاءَ الدَّلِيلُ وَفِيهِ دَوْرٌ
كَفَى رَدًّا لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَا²⁸

كما صرح بوجوب تعلم المهن التي لا يندفع العدو إلا بها، ومثل بـ«البارود والرصاص»²⁹، يقول في كتاب «البادية»:

«ومن العادة الواجبة أيضا: الحرف المهمة كالبارود والرصاص، إن لم يندفع العدو إلا بهما، أو صاروا حرفة الحرب، كهذا الزمان في بلادنا»³⁰.

كل هذه العوامل جعلت الشيخ على دراية بالسلاح؛ مع أن دخول هذا النوع من السلاح كان مبكرا نسبيا؛ فقد ذكر في «جمان البادية» -في معرض الحديث عن إقامة الحدود- أن سيد عبد الله بن محم العلوي المعروف بـ«ابن رازك» (ت. 1144هـ/1730م) قدم من المغرب مع اعلى شنظورة بن هدي (1139هـ/1727م) بجيش من عدة ألوف، وهي الرما -بالبربرية- أي الرماة، وهم مسلحون بـ«لسجل

21 - محمد الحضر بن حبيب: المفاد، م، ص: 1/ 26-28.
22 - تشريع الجوازي في نظم نظم المغازي (شرح نظم الغزوات البدوي). تحقيق (جزء منه) أم المؤمنين بنت أحمد يعقوب. كلية الآداب والعلوم الإنسانية- قسم التاريخ- السنة الجامعية: 2000-2001. ص: 13.
23 - المفاد، م، ص: 1/ 1.
24 - جلية الإفادة في شرح وسيلة السعادة للشيخ محمد المام. دراسة وتحقيق د. النام بن محمد بن أحمد- دار الضياء، 2018 م / 1439 هـ، ص: 271.
25 - ذات الواح ودر، مخطوط مكتبة الإمام الشيخ محمد بن أحمد سكة، حفظه الله، ص: 26 - 27.
26 - الجمان، م، ص: 503-502.
27 - سبق الحديث عن رحلات الشيخ وتغريه بما مكته من الاطلاع على أحوال وعادات الكثير من المجتمعات، كما صرح هو بذلك في إحدى مباحثاته مع بعض علماء عصره: «... مع أنه سيجود -إن شاء الله- عند من جال جولاني في البلاد والكتب».
28 - الديوان، م، ص: 443.
29 - للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي فتوى حول صناعة البارود. الديوان، م، ص: 329.
30 - للشيخ محمد المام: كتاب البادية، م، ص: 201.

مُسَكَّ»³¹.

و«لـسـجـل مسـك» (le sigle) سلاح ناري محمول ذو أنبوبة طويلة، كان سابقا على بنادق الصوان، وأول من استخدمه الإسبان سنة 1521م. وفي مطلع القرن الثامن عشر (1700م)، تم تطوير بنادق الصوان.

وفي إطار اهتمام الشيخ محمد المامي بالسلاح نجده يذكر في تعليق له على هذا البيت من قصيدته «الدلفين»:

وَرُبَّمَا حُسِبَتْ حَرْبًا مَذَاكِرَةٌ
ذَاكَ الْبِرَازُ الَّذِي فِيهِ الْكَتَاتَيْنِ

أن «الكتاتين: جمع كتان، وهو: أقوى البراز في ما بعد «شربيه»³² وهو المسمى بـ«تغماس لكتاتين»³³ بالحصانية»³⁴.

بعد معرفة اهتمام الشيخ محمد المامي بالسلاح، ننتقل إلى معالجة الموضوع الأساسي الذي هو «الفردية».

المبحث الثاني: رسالة «الفرد»:

يندرج نص «الفردية» في إطار نصوص للشيخ محمد المامي هي - في الحقيقة - نصوص شبه نادرة؛ لأنها تظهر مدى تميّز صاحبها في اختيار أسلوب تقريبي فريد، ومن هنا لا بد من إعطاء نماذج - ولو بصورة عَجَلِي - من هذه الطريقة.

زُودُ:

نجد المشاهير في الأفعال يظهر من بعد اعتلال وحلقي وتضعيف كأنهن ثنايا «زودُ» إن ضحكت من بعد ما احتجبت أرض «المُزِيرِيف» فجاءها بارح في العين قللها

تقليل فعل ابن عصفور بتضعيف³⁹ وكتشبيبه للمصدر بمنهل يسمى «تدنيكوت»⁴⁰، يقول:

لَفْظُ الْمَصْدَرِ تَدْنِيكُوتُ
مِنْ صَدْرِ الْأَفْعَالِ ابْكُرُ
أَلَوْصَافُ الْخَمْسِ لَخُوتُ
أَذَاكَ أَلْ سَمَاءُ الْمَصْدَرِ⁴¹

علم الفلك: حيث مثل الشيخ وظائف الإمام بأجزاء القمر التي هي أربع عشرة، يقول:

وظائف الإمام أجزاء القمر
أولها رعي لوقت استمر

وقوله في أ عدد أبواب القاموس المحيط للفيروز آبادي (ثمانية وعشرون):

فجاءت الأبواب بالختم زمر
«كح» على وفق منازل القمر⁴²

أنساب العرب وتاريخها: حيث اتخذ منها وسيلة إيضاح، ولكنها وسيلة ربما تستهدف جمهورا من نوع خاص؛ لأن أنساب العرب وتاريخها لا يدرسها عادة سوى من تضلع من علوم أخرى حسب النظام المحظري آنذاك؛ من أمثلة ذلك قوله في مقطعة حسانية مثل فيها للعمدة والفضلة:

تقريب العلوم عند الشيخ محمد المامي:

يعتبر أسلوب الشيخ في تقريبه للعلوم من المتلقين منفردا مقارنة بأهل عصره، وذلك باستخدام وسائل الإيضاح التي تمكنهم من الفهم بسهولة؛ ولأن الشيخ كان يدرك تمام الإدراك أن الناس أكثر استيعابا لما يلامس واقعهم ويرونه ماثلا أمام أعينهم، كان تمثيله - في الغالب - على النحو التالي:

الأعلام: مثل قوله: نون الوقاية كـ«أحمد فعد»؛ وهو رجل صرعة، ماهر في لعبة «هيب»³⁵، يضرب المثل بقوته³⁶.

النبات: كتمثيله للمصدر بشجرة اليهودي، يقول:

الْمَصْدَرُ صَدَرَتْ لَهْودِ
عَائِشَ فْ أَجْدَرَهَا وَالْكَفْ
وَالْمُسْتَقَاتُ الْعَنْقُودِ

لَعْرُودُ وَلَعْمَالُ وَتَخَفُ³⁷ ومثل تمثيله للزوم ضم حرف المضارعة من الفعل الرباعي بـ«بقلة الحمير»، وتسمى محليا بـ«الكمشه»، حيث قال:

وبَقْلَةُ الْحَمِيرِ فِي الْمَضَارِعِ
مَنْ الرِّبَاعِي لَا تَفَارِقُ اسْمَعُ³⁸

و«كَمْشُ الحَرْفِ» - بالحصانية - : ضَمُّه.

التضاريس: أطلق الشيخ «نجد المشاهير» على الأفعال التي يصير أمرها إلى الشهرة لأنها خالية من جالب؛ فشبه الجوالب بأرض «المُزِيرِيف» وهذه المشاهير بـ«ثنايا

31 - الشيخ محمد المام: الجمان، م.س، ص: 483.
32 - شربه: حرب جرت بين حسان والزوايا، وسببها أن بب منع الزكاة واحى بالأمير.... وقائمتهم الزوايا بقيادة الامام ناصر الدين. ومن الراجح أنها انتهت عام 1677م.

33 - مختار ولد السعد: حرب شُرِبَتْهُ أو أزمة القرن السابع عشر في الجنوب الغربي الموريتاني. ط2، 2008. ص: 149.

34 - تغماس لكتاتين:

35 - هيب: من الألعاب الرياضية التقليدية عند الموريتانيين، وطريقة لعبها أن يخط اللاعبون دائرة، يكون أحدهم في مركزها منحني على الأرض كوضع الركة، ويكون لاعب ثان واقفا فوقه يمنع عنه بقية اللاعبين فلا يلمسونه. واللاعب الواقف يظل يدور باللاعب المنحني واضعا يده على ظهره ورد عنه حيث يركل اللاعبون بحرقية ورشاقة وسرعة فائقة. وإذا تمكن أحدهم من الوصول إليه ضربا باليد فإن الواقف يأخذ مكان المنحني ويأخذ الضارب مكان الواقف وهكذا دواليك. ويكرر اللاعبون لعبة عبارة «هيب هيب»، ومن هنا أخذت اللعبة اسمها. وأقل عدد لاعبي هيب ثلاثة، وكلما زاد عددهم زاد الحاسا. ويقولون في المثل «أح من هيب سنع» أي أشد حاسا من سبعة لاعبين يلعبون هيب. سيد أحمد ولد الأمير تحقيق «مروك الحرف»، م.س، ص: 50. الهامش: 93.

36 - محمد الحضر: الماد، م.س، 1/ 119.

37 - الشيخ محمد المام: ديوان الشعر الحساني، م.س، ص: 138.

38 - الشيخ محمد المام: الأفعال اللغوية، م.س، ص: 193.

39 - م.س، والصفحة ذاتها.

40 - تدنيكوت: منهل شهر من الأملاح التي يفتاتها أرباب المواشي إذا كانوا ملوا رعي الحلة أتروا الاحتاض.

محاضرة للشيخ محمد سالم بن عنود بمناسبة تدشين زاوية الشيخ محمد المام بأواكشوط 15/ 5/ 1985 م، مرقونة بتاريخ: 3/ 7/ 1985 م، ص: 2.

41 - الشيخ محمد المام: ديوان الشعر الحساني، م.س، ص: 137.

42 - الشيخ محمد المام: إضاءة الأدموس (ضمن الأفعال اللغوية)، م.س، ص: 222.

أعلى الكوري سنة 1785م -أي قبل مولد الشيخ محمد المامي بنحو سنتين- على «أن الأمير يتقاضى سنويا إكرامية فيها الكثير من الامتيازات والهدايا ومن بينها مثلا: بندقيتان من نوع «بوفمين» (fusil à deux coups)، وألف رصاصة، ومائة رطل من البارود. في حين يحصل وزيره على اثني عشر بندقة من نوع «الفردى» (fusil fin à un coup)»⁵¹.

كما وقع الفرنسيون أيضا في السنة ذاتها اتفاقية مع أمير البراكنة امحمد ولد أغريشي، تنص «على أنه سيعطى للأمير بموجبها وبشكل سنوي: مائة بندقية من نوع «الفردى»، وعشرين بندقية (كابوس كما في نص الاتفاقية) pistolets à un coup، فضلا عن بندقيتين من نوع «بوفمين»»⁵².

من خلال هاتين الاتفاقيتين يتضح أن «الفردى» لم يكن هو السلاح الأكثر تطورا آنذاك؛ لأن الفرنسيين أعطوا مائة بندقية من نوع «الفردى»، ولم يعطوا سوى بندقيتين من نوع «بوفمين».

وهذا ما يؤكد شاعر حساني -وإن كنا نجهل القائل وتاريخ «الكاف»- في مدحة شعبية شهيرة لازمتها «خير الورى محمد» -صلى الله

تصاعدي من «وحدة» إلى آخر في زمن لا يعرف الوحدات؛ حتى ينتهي إلى تقديره لحجم الأرض من الحصار، وقد كانت هذه الطريقة هي الأنجع⁴⁷.

لحزان (الخط على الرمل):

ضرب الشيخ أمثلة لطريقة قضاء المسبوق بأشكال من لحزان، تقرب طريقة القضاء والبناء في الأقوال والأفعال؛ لأن المالكية يبنون في الأفعال ويقضون في الأقوال: «كَلَّ» و«الظَّامِرُ» و«البَدْنَةُ» ما هُمْ شُورُ الْفَذِّ الْمَامِ لَا تَجْهَلُهُمْ تَرْجَعُ تَدْنِ

وأتواس فضلاتك لحرام⁴⁸ الأدوات: كتمثيله لأحوال كل من: «ما» و«من» وأي» بقطع بندقية «الفردى». وهو موضوع هذا المقال.

بندقية الفردى:

الفردى (بترقيق الرءاء) سلاح ناري كان متداولاً في هذه البلاد في زمن الشيخ محمد المامي (-1787م) 1865م، على الأقل. يجمع في الحسانية على «لفرد»؛ وهي بندقية قصيرة المدى يصل مداها 40 مترا، وكانت ذخيرتها تصنع محليا، وهو قاتل إن كانت الإصابة وقعت من أقل من 20 مترا.⁴⁹

ومصدر هذه الأسلحة بالأساس هم الأوروبيون⁵⁰، فقد نصت اتفاقية أبرمها الفرنسيون مع أمير الترابزة

فُرَيْشْ عُمِدَتْ عَدْنَانُ
وَالْفَضَلَاتُ اغْرَبَ لَعْلَعُ⁴³
حَمِيرُ عُمِدَتْ قَحْطَانُ
فِيهِمْ سَيْفٌ أُوْفِيهِمْ تَبْعُ⁴⁴
وقوله متحدثا عن اتحاد عمل المشتقات من مصدر واحد، ضاربا لذلك مقارنة بين آل البيت وبين بني أمية:
وَالْمُسْتَقُّ أَمْنُ الْفَعْلِ صَابُ
إِلْ أَصِيبُ إِبْلَا عَمَزِي
كَيْفَ أَوْلَادُ الزَّهَرِ الْأَقْطَابُ
وَعَفَارِيْتُ الْمُرَوَانِي⁴⁵

المقادير: فقد استخدم لتقريب عد الحصار حبة ذرة كوحدة قياس صغرى مقابل ألف حصاة، ثم جعل ألف حبة من ذرة تعادل نواة نبقة، وألف نبقة مقدار فطرة، وألف فطرة حمولة كرش فيل... الخ كما في الطلعه التالية:
أَلْفُ أَحْصَى حَبَّتْ بِشْنُ
وَأَلْفُ أَحْبَبَ كَلْبُ أَهْبِيلُ
وَأَلْفُ أَمْنُ أَهْبِيلُ فَطَرْتَنُ
وَأَلْفُ الْفَطَرُ خَنْطَرُ فِيلُ
وَأَلْفُ أَخْطَاطِرُ هُوَ مَدْنُ
وَأَلْفُ أَمْنُ الْمَدَنَاتُ اعْكَلُ
وَأَلْفُ اعْكَلُ دُونُ ذِرْعَتِنُ
وَأَلْفُ أَمْنُ الذَّرْعُ لِكْبِيلُ
وَأَلْفُ أَمْنُ الْكِبْلُ يَمْنُ
وَأَلْفُ أَمْنُ الْيَمُونُ ادْخِيلُ
وَأَلْفُ أَمْنُ دَخْلُ جَبْنُ
فِيهِ حَمْلُ الثَّوَرِ اعْدِيلُ⁴⁶
وهكذا يستمر الشيخ في تنقل

43 - لُئْلُ: منزل بين البصرة والكوفة. ياقوت الحموي: معجم البلدان. دار صادر، بيروت، ط 1995م، 19/5.

44 - ديوان الشعر الحساني، م.س، ص: 147.

45 - ديوان الشعر الحساني، م.س، ص: 148.

46 - الشيخ محمد المام: ديوان الشعر الحساني، م.س، ص: 330.

47 - للتوسع في موضوع «عد الحصار» فليراجع شرح الشيخ سيدي أحمد بن اسمه البهاني لنصيدة الشيخ محمد المام التي مطلعها: استغفر الله من تقرب ما بغث غنة الترائيع من أقوال الأشراف

الشيخ سيد أحمد بن اسمه: ذات الأراج ودر، م.س، من ص 26 إلى ص 39.

والبشر بن حبيب: «تأثيرات الغيب تعدد حتى الأرض عند الشيخ محمد المام بن البخاري البازكي (ت. 1282هـ) يشرح الشيخ سيدي أحمد بن اسمه الشَّهَاني (ت. 1392هـ)، قيد الطبع.

48 - وهنا رسم تقريبي:

فطر: مسبوق بركة	كَلَّ: مسبوق بركتين	بَدْنُ: مسبوق ثلاث
فطرة سورة فطرة سورة فطرة سورة	فطرة سورة فطرة سورة فطرة سورة	فطرة سورة فطرة سورة فطرة سورة

سيد أحمد عبد الرحمن مولود: الخط على الرمل لدى مجمع البطان «أكراوات اتراب». أكتوبر 2023، مرقون، ص: 12.

49 - جمال لكبيد مادي: «قبيلة لعب العربية المغلقة الجغرافية»، نشر الدار العالمية للنشر والتوزيع 2022، ص: 84.

50 - هناك ثلاثة مصادر أساسية شكلت قوات الحصول على السلاح في موريتانيا في القرون الماضية وهي:

أولا: المبادلات التجارية مع الأوربيين بداء بالبرتغاليين فالإسبان والهولنديين والألمان والإنجليز واتباء بالفرنسيين بشكل أساسي.

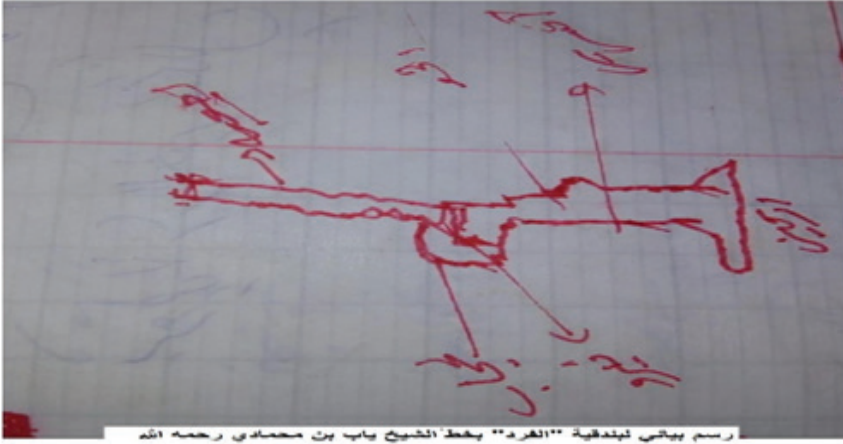
ثانيا: استعطاء بعض الموريتانيين الحصول على السلاح، وبشكل أخص في القرن التاسع عشر، عن طريق السوق السوداء المنتشرة في المراكز الحضرية على ضفة نهر السنغال.

ثالثا: أما الطريق الثالث للتسلح في موريتانيا فكان مصدره الصناعات التقليدية؛ فقد عرفت عنهم المهارة والعبقرية والإتقان، بحيث كانوا يقومون في أغلب الأحيان، فضلا عن إصلاح الأسلحة النارية التي كانت تصل الموريتانيين من أوروبا في حالة تعطلها، فقد كانوا يصنعون أسلحة نارية جديدة وتحكم الأسلحة المصنوعة بأوروبا.

سيد أحمد ولد الأمير: التسلح في موريتانيا في القرن 19م... مكاسب التجارة ومحارف السياسة، مقال على الشبكة.

51 - المرجع السابق.

52 - المرجع السابق.



رسم بياني تبيندقية "الفرد" يخط الشيخ ياب بن محمادي رحمه الله

المستعمر بها، فقد أورد ابن الأمين أنه «لولا قلة الفرنسيين، وكثرة الصحاري والجبال، لقهرهم في أول وهلة، ولولا رداء سلاح أهل الصحراء، وعدم انتظامهم في أنفسهم، لدافعهم سنين كثيرة»، هذا بالإضافة إلى أن الأسلحة التي جلبها المستعمر معه كانت متطورة جدا مقارنة بـ«الفردى».

مقارنة بين أجزاء الفرد⁶¹ وبعض الأدوات النحوية:

إن الكثير من هذه المصطلحات المتعلقة ببندقية «الفرد» يعز من يعرفه اليوم، ولم يستعنا الحظ بلقاءه... وقد حظينا بوجود هذا الرسم البياني الذي خطه الشيخ ياب بن محمادي -رحمه الله تعالى- بيمينه المباركة، وهو ما أنار لنا الدرب في التعليق على هذه الرسالة الصورة الثانية

قابل الشيخ محمد المامي -رحمه الله تعالى- بين وظائف أجزاء بندقية «الفرد» وبين أحوال ثلاث أدوات نحوية، تجمع هذه الأدوات سمة واحدة وهي كونها تشترك في الشرط والاستفهام والموصولية، وهي: «ما» و«من» و«أي». فجعل لـ«الركيز»: الشرط والاستفهام والموصول من كل منها؛ بحيث يكون «قفا الركيز» له «ما»، ووسطه له «من»، وخذه له «أي».

يضرب المثل في الكساد، فيقال: «أبترت من طو بلا تَعْمَان»؛ أي: أكسد من «طو» معدوم الرصاص⁵⁶.

طريقة الاستعمال:

يأخذ تهيئة البندقية وشحنها بالبارود وقتا، وبالتالي كلما كان الفارس ماهرا وسريعا كلما كان احتمال كسبه للمعركة أكبر، فهذا سيد أحمد بن إبراهيم اخليل التروزي (ت. 1288هـ/1871م) طارد قوما أغاروا على إبل لأمير آدرار أحمد بن عيد⁵⁷ «فقاتلوه دون الإبل، فقتل منهم ستة، كل مرة يرمى عليهم فرسه، فيقتل اثنين، ويركضها حتى يجعل في مدفعه -أي بندقيته- الرصاص والبارود، ثم يعود كذلك، حتى تركوا له الإبل»⁵⁸.

وفي حديث أحمد بن الأمين عن حرب وقعت في زمن حرمة بن عبد الجليل (ت. 1243هـ/1828م) ذكر أن امرأة حذرت زوجها من قبيلة مناةة له؛ «فقال لها: إن رُصيصهم لا يقتل، لأنهم لا يجعلون في مدافعهم من البارود إلا إصبعين (...)» فعرفه رجل من أحاد الناس وضربه⁵⁹، وكان الرجل الذي قتله «جعل مع باروده ذلك نواتين، عوضا عن الرصاص. فمات كبادي المذكور من تلك الضربة»⁶⁰.

ورغم ما توصف به هذه البنادق من البدائية إلا أن أصحابها استطاعوا مقاومة

عليه وسلم - حيث يقول:
لُ كُنْتُ أَخْطَرُ آلِ جِهَادِك
نَحْبُظْ مَدْفَعُ مَاهُ فَرْدٍ
وَنَقَاتِلُ حَتَّ حَسَادِك

فَ الشَّرَّ أَنْ نَعْبُرَ جَهْدٍ
يعني أنه لو شهد الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم لأخذ مدفعا (بندقية) ليست من نوع «الفردى»، ولقاتل به حساده، غير مدخر جهدا.

يتضح من هذا (الكاف) أن «الفردى» لم يكن السلاح النموذجي في زمن لَمْعَن (الشاعر)، بل يعتبره غير مُوفٍ بالغرض.

وكان «بوفمين» (ذو الفمين) أكثر تطورا منه كما تقدم، وقد وصفه بعض الشعراء في نصوص فصيحة كسيد محمد بن الشيخ سيديا (ت. 1268هـ/1869م) الذي يقول:

وكل أخى «فَمَيْن» أبى اغتدالاً
وتقوياً عن الغرض ازوراراً

تلظى النار في الكانون منه
إذا ما صافح الرُّنْدُ الشفارا

وليس لناره شرر ترامي
به إلا الموقعة الحاراراً

فمن يمرر قبالة منخريه
يكن كهشيم من رام اختظاراً⁵³

ومحمد عبد الله بن الفلالي (ت. 1315هـ/1897م) أيضا :
لقد رمّني بـ«ذي فَمَيْن» حشوها
كانذر لئله يوم الحيا البلل

مبصر الرمي لا تنمى رميته
ولم ينل نيله الأرماع والأسل

كأنما البرق في زنديه إذ قدحا
وفي فمي جعبتيه الراعد الرّجل⁵⁴

أنواع الفردي:

ومن بين أنواع الفردي نوعية تُسمى «فردي التّميش» شائع الاستعمال، وقد ظهر بزمان طويل بعد الفردي العادي، وهو يشكل تغييرا في الهيكل الميكانيكي⁵⁵. ونوع يسمى «طو»، وبه

53 - الديوان، م، ص: 120-119.

54 - ابن الفلالي (محمد عبد الله) الديوان، جمع وتحقيق: محمد سيدنا بن محمد سيدنا، ص: 60.

55 - جمال ولد لكيد، م، ص: 84.

56 - مقابلة مع الشيخ محمد بن أحمد مسكه، بمنزله في تيارت/الواكسوط، بتاريخ: 13-02-2024م.

57 - كان سيد أحمد بن إبراهيم اخليل مناضيا من رئيسه محمد الحبيب، حيث تأثر هو وجماعة عليه؛ فهاجروا إلى آدرار في منتصف خمسينات القرن التاسع عشر، وهي الهجرة المشهورة عن التوارزة بهجرة خندوسة نحو آدرار.

58 - سيدي أحمد ولد الأمير: تحقيق حياة موريتانيا (حوادث السنين أربعة قرون من تاريخ البليان موريتانيا وجوارها)، تأليف المختار بن حامد- هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2011م، ص: 474، الهامش: 3.

59 - الوسيط، م، ص: 503.

60 - م، ص: 501-502.

61 - م، ص: الصفحة ذاتها.

61 - الأعمال اللغوية، م، ص: 167.

ولم يكن الغرض من هذا المقال إلا الإثارة المعرفية، ليطلع الباحثون على هذه الأساليب التي تبدو غير مألوفة في النمط التأليفي في ا لثقافة الشنقطينية... رغم الصعوبة التي واجهناها في فك رموز أجزاء هذه البندقية لتقادم عهدها وعدم الكتابة عنها، إلا أننا لم يُثْنَا ذلك عن المحاولة، عسى في قابل الأيام أن يوفق الله تعالى إلى العثور على مصادر تساعد في ذلك..

المصادر والمراجع:

- أحمد بن الأمين الشنقيطي (المتوفى: 1331هـ): الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديداً وتخطيطاً وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك. الناشر: الشركة الدولية للطباعة - مصر. 5، 1422 هـ - 2002م.
- سيد احمد بن اسمه: ذات ألواح ودرس، مخطوط بمكتبة الإمام العلامة الشيخ محمد بن أحمد مسكة، حفظه الله.
- سيد أحمد ولد الأمير: تحقيق حياة موريتانيا (حوادث السنين أربعة قرون من تاريخ البيضان بموريتانيا وجوارها)، تأليف المختار بن حامد - هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2011م.
- التسليح في موريتانيا في القرن 19م... مكاسب التجارة ومضاريف السياسة. مقال على الشبكة.
- الشيخ محمد المام بن البخاري الباركي: الجمان (ضمن مجموعة مؤلفات العلامة الشيخ محمد المامي)، زاوية الشيخ محمد المامي، ط 1 - 1428هـ / 2007م.
- الدلفينية وشرحها (ضمن مجموعة مؤلفات العلامة الشيخ محمد المامي)، زاوية الشيخ محمد المامي، ط 1 - 1428هـ / 2007م.
- ديوان الشعر الحساني (لغن)، نشر زاوية الشيخ محمد المامي، ط 1 - 1435هـ / 2014م.
- ديوان الشعر الفصيح، زاوية الشيخ محمد المامي، نواكشوط، ط 1 - 1435هـ / 2014م.
- رسالة الفردي (ضمن الاعمال اللغوية)، زاوية الشيخ محمد المامي. ط 1، 1439هـ / 2018م.
- رسائل الزكاة (ضمن مجموعة مؤلفات العلامة الشيخ محمد المامي)، زاوية الشيخ محمد المامي، ط 1 - 1428هـ / 2007م.
- صداق القواعد (نظم القواعد الفقهية) وشرحه. صدر عن زاوية الشيخ محمد المام، نواكشوط، ط: 1، 1431هـ / 2010م.
- كتاب البادية (ضمن مجموعة مؤلفات العلامة الشيخ محمد المامي)، زاوية الشيخ محمد المامي، ط 1 - 1428هـ / 2007م.
- محمد الخضر بن حبيب: مفاد الطول والقصر على نظم المختصر/ شرح نظم مختصر خليل للشيخ محمد المام، مخطوط، بحوزتي مصورة من بعض أجزاءه.
- محمد بن أحمد مسكه: شرح الصدر بشرح نظم أهل بدر. قطر الندي، الدار البيضاء/ ديوان الشناقطة، نواكشوط - ط 1 - 1440هـ / 2019م.
- مقابلة مع الشيخ محمد بن أحمد مسكه، بمنزله في تيارت/ نواكشوط، بتاريخ: 13- 02- 2024م.

محمد سالم بن عدود: محاضرة بمناسبة تدشين زاوية الشيخ محمد المام بنواكشوط 15 / 5 / 1985م، مرقونة بتاريخ: 3 / 7 / 1985م،،
- ياقوت الحموي: معجم البلدان. دار صادر، بيروت، ط 2 1995م.

وجعل «أي» الموصولية في آخر «الخد»، و«أي» الندائية لـ«نيروه» لاصقة بـ«الخد».
ولأنها قيل بموصوليتها: تساءل الشيخ هل هو من الموصول الحرفي أم الاسم؟ والعجيب عنده في الأمر أن النحاة لم يعدوها في الحروف، وإذا افترضنا أنها من الموصول الاسمي يتوالى موصولان في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا!) والآخر أرجح عنده لأن «ها» هنا للتنبيه، وكافة عن الإضافة. وهذا يشبه أيضا «ما» الزائدة التي كفت كاف التشبيه عن الجر؛ ثم أورد شاهداً على ذلك قول عمرو بن براقة النهمي: وننصر مولانا ونعلم أنه

«كما الناس» مجروم عليه وجارم وقد ناسبت «أي» الندائية بسبب التعجب «نيروه»؛ وعلق الشيخ على ذلك بقوله: «ولأن في البحر عجا»!
أما «أي» النعتية فكان «الحجاب» الذي تحت «الذراعين» من نصيبها منفردة به. ثم تحدث عن بعض أحوال «ما»؛ فجعل أربعة حروف منها مناسبة لأربعة أصابع بقيت من «خد» الفردي عن «أسير»، وهي: النافية، والزائدة، والمصدرية، والمصدرية الظرفية.
وما تلاصق من «أسير» و«الجعبة» كان من حظ ستة أسماء من «من» و«ما»، لكل منهما ثلاثة. وأرد بين له جمعا هذا:

و«من» تجي نكرة ذات تمام أو ذات وصف أو مزيدا في الكلام و«ما» التعجب والابهامية نكرة موصوفة ما هيّة مما سبق رأينا أن نضع هذا الرسم البياني محددين مكان كل أداة من هذه الأدوات وجعلها في مكانها المناسب من هذه البندقية؛ ليكون إنارة للقارئ.

خاتمة:

حاولنا -من خلال هذا المقال- التعريف برسالة الشيخ محمد المامي حول الفردي، وكيف أنه قابل بين بعض الأدوات النحوية وبين أجزاء من بندقية الفردي التي كانت متداولة في زمنه.



الكتابة النسائية في الوطن العربي

(قراءة في خصوصية المتخيل الأنثوي)

- الرواية المعاصرة نموذجاً -

مقدمة:

تحاول هذه الورقة إثارة بعض الإشكاليات حول موضوع تجربة المرأة العربية المعاصرة، مع السرد بشكل خاص، دون غيره من الأجناس الأدبية الأخرى، وستقتصر على الرواية بشكل أخص، ويأتي اختيارنا للرواية دون غيرها لعدة أسباب من أهمها خصوصية قلم المرأة، وما امتاز به من جرأة في الوصف وقوة في التعبير.. ذلك ما ترجمته الرواية بشكل أوضح. لقد خرج القلم الأنثوي من عتمة الحريم، ليضيء درب النضال، ويضع حدا لسطوة المجتمع التقليدي، فمن خلال الأقلام النسائية التي برزت في العقد الأخير من القرن المنصرم، والعقد الأول من هذه الألفية، تجلّى للقارئ أن الإسهام الأدبي للمرأة العربية قد شهد تطوراً كبيراً، من حيث الجدّة العلمية والوعي المنهجي، مع ما أخذ على بعضه من تجاوز للخطوط الحمراء...!! سنناقش بعض الخصوصيات التي

امتازت بها كتابة المرأة العربية الأقل.

قبل أن نلج الموضوع بشيء من التفصيل يجب أن نلفت انتباه القارئ إلى أننا اخترنا للعنوان تسمية الكتابة «النسائية» بدل الكتابة «النسوية» وذلك للاعتبارات التالية:

1 - تجنبنا الجدل حول النسائية والنسوية، نظراً لما يسبب لنا ذلك من حرج منهجي ليس المقام مقامه.

2 - تعمّدنا تجنب النسوية نظراً لشحنتها النضالية، ولأنها تحيل لدلالات أخرى استبدلناها بـ«النسائية» وذلك لسلمية المصطلح وشمولية المعنى. ونعني هنا بالنسائية لأن الكاتبات اللواتي سنعرض تجاربهن هنا في هذه الورقة نساء، ولأن موضوع هذا المقال مختص بما رسمته الأنامل النسائية، إضافة للحضور القوي لموضوع المرأة كغرض أدبي بسطن فيه القول سرداً جميلاً وأسراً ومثيراً.. تلك أمور لفتت انتباهنا لضرورة الكتابة عنها.

3 - اخترنا الوطن العربي مجالا عن وعي بتلك السمات المشتركة

المعاصرة خاصة، المرأة المثقفة ذات الرسالة الأدبية الجادة، فمعظم النساء اللواتي تم اختيارهن في هذه الورقة يحملن شهادات عليا وبعضهن أستاذات جامعات، كتبن الرواية عن وعي منهجي ورؤية علمية، كما تميزت هذه الأعمال المختارة بأن كل الكاتبات اخترن بعناية حد التماثل أبطال رواياتهن من طبقة المثقفين، إما طبيب أو مناضل وطني أو مهندس أو رسام..

سننوقف في هذه الورقة -أيضاً- عند البعد التاريخي وما لذلك من أثر على مراحل تطور الكتابة النسائية، تسليطاً للضوء على حمولة التحولات التاريخية، وما مرت به الكتابة النسائية صعوداً وهبوطاً حسب مزاج الخيال الأنثوي، الذي ترجم لنا تجارب نسائية أصبحت روايات وصل بعضها لمستوى الريادة، وتقتضي الأمانة العلمية استعراض بعض أقوال النقاد الرافضة لتلك الجرأة، التي لم يسمح بها المجتمع العربي في نسخته التقليدية على

بين المجتمعات ذات الهوية الحضارية الواحدة، المشكلة للعقل العلمي والوعي المنهجي لكل مثققات الأقطار العربية من المحيط إلى الخليج، وإن كانت هناك اختلافات فإنها جزئية تعزز قيمة المشترك.

ننتهج في هذه الدراسة قراءة خمس أعمال روائية لنساء من خريطة الوطن العربي ثلاث منهن في المغرب العربي وهن: رواية: «ذاكرة الجسد» للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي، و«حشائش الأفيون» للكاتبة الموريتانية سميرة حمادي فاضل، و«لحظات لاغير» للكاتبة المغربية فاتحة مرشيد. ومن المشرق العربي اخترنا رواية: «خارج الجسد» للكاتبة الأردنية عفاف البطاينة، ومن سوريا اخترنا الكاتبة هيفاء بيطار في عملها الروائي: «امرأة من هذا العصر».

هكذا حاولنا التعميم الجيوثقافي للاطلاع على المشهد السردي خلال عقدين من زمن الإنتاج الأدبي للمرأة العربية مع هذه النماذج، وبما أن الأمر يحتاج إعادة تحليل البناء التراكمي للعمل الروائي تقتضي الأمانة العلمية تخصيص محور لتاريخية علاقة المرأة العربية مع السرد التي تعود لفترة ما قبل هذين العقدين، إلا أن التزامنا بالرواية المعاصرة سيحول بيننا مع تجاوز منتصف القرن العشرين.

سنخصص محورا لكل رواية من هذه الروايات، وسنراعي في ذلك الترتيب الزمني، كما سنختار محورا نستهل به هذه الورقة يقدم مراحل تطور السرد النسائي من بداية ظهوره ودخوله حيز اهتمام النساء العربيات خمسينات القرن المنصرم.

رائدات السرد النسائي في الوطن العربي:

اخترنا الاقتصار على منتصف القرن الماضي تاركين ما قبل ذلك، رغم وجود نساء عربيات اشتغلن على الأدب بمختلف أجناسه، وعلى الرواية بشكل خاص مثل اللبنانية: زينب فواز (1844-1914م) كأول امرأة كتبت الرواية الأدبية، جاء ذلك في عملها: «غادة الزاهرة» و«حسن العواقب» وغيرها من أدبيات ذلك الجيل، لأن التزامنا بمعاصرة النماذج المختارة سيحول بيننا وبين ما قبل منتصف القرن العشرين، الذي اخترناه كمنطلق زمني للريادة الأدبية للمرأة العربية.

في منتصف القرن الماضي ظهرت معالم الكتابة النسائية، تزامنا مع انتشار الوعي ووجود الجرائد، واطلاع نساء على الأعمال الأدبية، سواء كانت مترجمة أو غير ذلك، وكان لحركات التحرير دورها في خلق مساحة للمرأة العربية لترى فيها قيمة الحرية، وتجد نفسها تبحث عن الحرية،

تجلى ذلك في نماذج عديدة كانت زهور ونيسي من الجزائر (13-ديسمبر: 1936م) إحدى النماذج الحية في مجال السرد النسائي: «نشرت أول أعمالها الأدبية 1955، ثم تابعت عدة مجموعات قصصية ظهرت بين الستينيات و1980، ككاتبة، تعتبر رائدة في الكتابة النسائية، وبشكل عام في في الجزائر»¹.

في هذه الفترة كتبت زهور ونيسي مجموعتها القصصية: «الرصف النائم» وأخرجتها 1967م، وهي تتميز بطابعها الواقعي الذي يعكس يوميات ثورة التحرير ومعاناة الشعب الجزائري، كما صدر لها 1979 رواية «يوميات مدرسة حرة» عالجت خلالها قضايا الاجتماعية وثقافية وسياسية في بلدها. كما كتبت في هذه الفترة الكاتبة الموريتانية عائشة زين العابدين روايتها: «الفتاة المعذبة» سنة: 1978م، عالجت خلالها حرمان المرأة من التعلم وفرض تقاليد المجتمع، أما في المغرب فكتبت نفس الفترة تقريبا ليلي أبو زيد (المولودة سنة: 1950م) روايتها: «عام الفيل» الصادرة 1983، وهي سيرة ذاتية استعرضت خلالها الكاتبة التحولات التي شهدتها بلدها خلال فترة ما بعد الاستقلال.

اخترنا هذه النماذج من ثلاثة بلدان من مغربنا العربي، ونذهب

1- أبو القاسم سعد الله، كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980، الطبعة الأولى، ج: 10، ص: 479.

الأحلام الزاهية» حين قال: «..استنكر بعض الهيئات النسائية اللبنانية الرجعية عمل بعليكي لاحتواء بعض الفقرات كلمات إيروسية، وطالبت بحرقها..»⁵.

كما تمت محاكمة الكاتبة وتوقيفها سنة: 1964 على نشرها روايتها: « سفينة حنان إلى القمر» ورفض البعض محاكمتها وأعتبرها تخذل بقيمة الإبداع «كانت محاكمة ليلي عام 1964 مشينة بلا شك؛ لمن حاكمها ومن دعا لمحاكمتها.. استنكر ما لا يقل عن خمسين كاتباً من العالم العربي محاكمتها»⁶.

عموما تميزت الأعمال الروائية لجيل الخمسينيات والستينيات من النساء العربيات وحتى ثمانينيات القرن المنصرم بمعالجة القضايا الاجتماعية باحتشام وموضوعية، إذا ما استثنينا الكاتبة اللبنانية ليلي بعليكي، والتي تعرضت لمضايقات كادت أن تقضي على حلمها بالحياة الأدبية، حينما اختارت عنواناً لروايتها المثيرة للجدل: «أنا أحيا» في دلالة رمزية لقوة حضورها، وتبريره بطغيان التمرد...!!

أطنبنا الحديث عن تجربة بعليكي لأنها في نظرنا كانت البداية الفعلية لجيل التسعينيات من الألفية الثانية والسنوات الأولى من الألفية الثالثة هذه،

الرواية العربية تقديم رؤيتها إلى العالم، منذ البدايات وصولاً إلى اكتمال تجربتها الفنية، واكتمال أساليبها، وذلك على يد الكثيرين الذين امتلكوا نضجاً فنياً وفكرياً، ومن هؤلاء الروائية اللبنانية ليلي بعليكي التي وظفت السرد المتخيل التجريبي لكشف حقيقة الواقع وتناقضاته. فليلى بعليكي في رواية «أنا أحيا» تصوّر إيقاع الحياة في بيروت، وتذهب أبعد من ذلك إذ تواجه حمولة الزمن، بكل أثقاله»³.

وظل الرأي النقدي العربي غير متفق على قيمة تلك الثورة الأدبية التي افتتحتها ليلي بعليكي منتصف القرن المنصرم، حيث أشاد بها البعض وانتقدها آخرون، فمنهم من اعتبر رواية «أنا أحيا» بداية فعلية للتحويل في الرواية العربية، والنسائية منها على وجه الخصوص، حين أكدوا أن الكاتبة رأت بعينها بوابة الحداثة وتميز الفرد الذي مثلته بعليكي بكل اقتدار: «فهي بثقافتها وجرأتها وموهبتها وذكائها، حديثه بالملق كأنها ترى بوابة الحداثة في تعيين الفرد وتميزه عن شمولية الجماعات..»⁴.

أما آخرون فقد كانوا عكس ذلك تماماً، كما في مقال للكاتب صقر أبو فخر بعنوان: «أومضت ثم انطفأت.. ليلي بعليكي وحطام

نحو المشرق العربي لنرى كيف كان جيل الريادة السردية للمرأة هناك، وسنجد محاولة الكاتبة اللبنانية ليلي بعليكي (: -1934 2023) حينما كتبت الرواية بطريقة لم ترض المجتمع. وتعد هذه الكاتبة قد سبقت زمنها جرأة وتحدياً، وقد صدرت روايتها: «أنا أحيا» 1958م . على الرغم أن هذه الرواية تم اختيارها كواحدة من ضمن أفضل مائة رواية عربية، إلا أنها رُفضت من طرف المجتمع وحوُصرت كاتبتها. عنها تحدثنا الكاتبة الناقدة جمانة حداد: «ليلى بعليكي، تعرفونها جيداً. هي امرأة ناقمة ومتعبة وقرفانة وغاضبة. امرأة تنهشها الوحدة والفراغ والضيق والاحتقار والرتابة والملل الوجودي. هي امرأة لا يهمها المستقبل» بقدر ما «يعذبها الحاضر» امرأة لا تؤمن «إلا بالحقائق الملموسة». ولا تريد «أن تكون كأي شخص آخر» لا تريد، خصوصاً، أن تكون «ملك أحد سوى نفسها»، أي لا تريد أن تكون مسجونة في حظيرة رجل»².

في حديثه عن تطور الرواية النسائية في الوطن العربي ودور رواية ليلي بعليكي في مجال الريادة حتى الاكتمال جاء في قول الدكتور والناقد محمد عبد النبي حدرج: «لقد استطاعت

2- جمانة حداد، كتاب في جريدة، تصدر عن اليونسكو، العدد: 145، 11 أيلول 2010
3- د. محمد عبد النبي حدرج، الأنا المجردة والشخصية الروائية المتطورة في رواية «أنا أحيا»، مجلة أوراق ثقافية، مجلة نصف فصلية محكمة تمني بقضايا الثقافة والأدب، لبنان بيروت، عدد المجلة: 36، تاريخ النشر: 19-03-2025.
4- أنظر مجلة حوار، العدد الرابع: مايو، يونيو 1964.
5- صقر أبو فخر، موقع ضفة ثالث، منبر ثقافي عربي، تاريخ النشر: 15- يونيو 2022.
6- مجلة حوار، سبق ذكرها.

الفترة التي نسعى للتركيز عليها من خلال اختيارنا لنماذج منها. فليلى كانت لحظة عبور بين جيلين، والشرارة الأولى لما بعدها، رغم التأخر عقوداً.

وفي ختام حديثنا عن ملامح الوجه السردي لنساء الوطن العربي قبل التسعينيات، والذي كشف لنا الاطلاع أن الحجر الذي رمت ليلي بعلبكي في مياه آسنة لم يستطع الوصول لماء الإبداع الزلال إلا بعد عدة عقود، حين برز من الجزائر قلم نسائي مارد، وكانت بدايته مع السنوات الأولى من العقد الأخير من القرن العشرين، نجد ذلك بكل وضوح وبكل عنفوان، وبكل شراسة، مع الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي، التي اخترنا روايتها: «ذاكرة الجسد» مستهل حديثنا عن النماذج المختارة في هذه الورقة.

1- أحلام مستغانمي: تجربة نسائية استثنائية (قراءة في رواية: ذاكرة الجسد)

ولدت الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي بالعاصمة تونس يوم: 13 إبريل 1953م. وقضت تسع سنوات هناك ثم عادت للجزائر بعد الاستقلال سنة 1962.

اهتمت بالكتابة السردية، خطت خطوات عميقة في اتجاه الممنوع من البوح، أو المسكوت

عنه ، خاصة ذلك الذي تنتجه المرأة والمرهون ببطاقة السماح من المجتمع، تميزت بأنها أول جزائرية تكتب الرواية المكتملة فنيا باللغة العربية، حصلت على شهادة بكالوريوس في الأدب العربي من الجزائر ثم حصلت على دكتوراه في علم الاجتماع من السربون بفرنسا، تعتبر بحق مستغانمي من أكثر الكتاب العرب نجاحاً: «شكلت كتاباتها الجريئة صدمة كبيرة في مجتمع الكتاب الجزائريين. أجبرت لاحقاً على إكمال تخرجها خارج الجزائر، ثم كتبت أخيراً أولى رواياتها التي حظيت فوراً بمرتبة ضمن قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في العالم العربي، حالها حال رواياتها الأربعة اللاحقة. ويرجع الاهتمام الكبير برواياتها إلى خوضها في مأساة الإنسان وأحلامه البائسة»⁷.

صدرت روايتها الأولى «ذاكرة الجسد» سنة 1993 وأنتشر صداها في العالم العربي، حيث تميزت تلك الرواية المثيرة بقوة السبك وروعة السرد وجمال اللغة وسلاسة المعنى، وعنها يحدثنا الشاعر السوري الكبير نزار قباني بقوله: «روايتها دوختني. وأنا نادراً ما أدوخ أمام رواية من الروايات، وسبب الدوخة أن النص الذي قرأته يشبهني إلى درجة التطابق فهو مجنون وخارج على القانون مثلي. ولو أن أحداً

طلب مني أن أوقع اسمي تحت هذه الرواية الاستثنائية المغتسلة بأمطار الشعر.. لما ترددت لحظة واحدة ويتابع نزار قباني قائلاً: «هل كانت أحلام مستغانمي في روايتها (تكتبني) دون أن تدري لقد كانت مثلي تهجم على الورقة البيضاء بجمالية لا حد لها وشراسة لا حد لها.. وجنون لا حد له.. الرواية قصيدة مكتوبة على كل البحور بحر الحب وبحر الجنس وبحر الأيديولوجيا وبحر الثورة الجزائرية بمناضليها، ومرتزيها وأبطالها وقاتليها وسارقها، هذه الرواية لا تختصر «ذاكرة الجسد» فحسب ولكنها تختصر تاريخ الوجع الجزائري والحزن الجزائري والجاهلية الجزائرية التي أن لها أن تنتهي...» وعندما قلت لصديق العمر سهيل إدريس رأيي في رواية أحلام، قال لي: « لا ترفع صوتك عالياً.. لأن أحلام إذا سمعت كلامك الجميل عنها فسوف تجن.. أجبت: دعها تجن.. لأن الأعمال الإبداعية الكبرى لا يكتبها إلا مجانيين»⁸.

مثلت رواية ذاكرة الجسد منعطفاً هاماً في السرد النسوي، ورغم ما حيك ضدها من أقوال تنتقد جرأة الكاتبة في تعبيرها عن علاقة حب بين بطل الرواية خالد والفتاة حياة، فإن أحداث الرواية تدور حول تاريخ النضال الجزائري: «تدور أحداث الرواية

7 - محمد سعيد، مقال نشر في موقع الثقافة، 2019.
8 - نجلاء فوزي، مقال: في عيد ميلادها.. ماذا قال نزار قباني عن أحلام مستغانمي، موقع بواة، تاريخ النشر: 13 إبريل 2024.

حول رجل اسمه خالد بن طوبال، كان مناضلاً جزائرياً شارك في الثورة على الاحتلال الفرنسي، وكان مقرباً من زعيم المقاومة «سي طاهر»، فيعتمد عليه سي طاهر كثيراً، ولكن فيما بعد يُصاب خالد في يده ما يؤدي لبتريها.. وتدور أحداث الرواية في زمانين متوازيين أحدهما في الماضي والآخر في الحاضر، وتتطرق للثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، وبعض المسائل الأخرى المتعلقة برجال الثورة والاستقلال وحال الجزائر في تلك الأوقات.

رغم حبه العميق لابنة صديقه حياة فإنها تزوجت من آخر نظرا لفارق العمر حيث زوجها عمها لما وصفته الكاتبة بأحد الفاسدين في الحكومة، وقد اختارت الكاتبة للجسد ذاكرة ممتدة بين زمنين حاضر وماض، بلغة سلسلة وعميقة في الآن نفسه: «وبحكم أن الرواية تحمل عنوان ذاكرة الجسد، فإنها تركز بشدة على جَم الذكريات التي كان يعيش على أطلالها خالد وتجعله يعيش في تضارب مستمر بين الماضي والحاضر، وبين نضاله وخيبته، وحبه لحياة وذكرياته مع صديقه والفوارق التي تحول بينهما»⁹؛ تسعى الكاتبة إلى رسم لوحة فنية بأسلوب أدبي أسر عن مجتمعا بعد الاستقلال، وإكراهات

القضايا وهي: «قضية المرأة»، التي تميز طرحها في الرواية بالكشف عن صراعها المزدوج: مع المفاهيم السائدة في إطار «وضع خاص»، وصراعها داخل المجتمع إلى جانب الرجل في إطار «وضع عام»، مؤسسة استراتيجية في السؤال، ليس حول المرأة فقط، ولكن حول الأوضاع العامة بما فيها الرجل»¹⁰. ونجد نماذج عديدة اختارت من خلالها المرأة العربية الكاتبة الجسد عنوانا بارزا لعملها، مما يدل على رمزية الجسد، وتتواصل الأمثلة في ذلك مع الكاتبة مليكة مستظرف (1969 - 2006) كاتبة وروائية مغربية توفيت عن عمر 37 سنة مخلفة إرثا أدبيا مترعا بالمرض والألم والمعاناة، كتبت روايتها: «جراح الروح والجسد» نهاية تسعينيات القرن الماضي ونشرت بعد وفاتها سنة 2020.

«رواية جراح الروح والجسد هي رحلة أدبية مليئة بالعواطف والتحديات، حيث تسلط الضوء على الصراع الداخلي بين الجسد والروح، وتستعرض تجارب شخصية مع المعاناة النفسية والجسدية، فمن خلال شخصياتها تقدم الرواية تجربة إنسانية عميقة تكشف علاقة الإنسان بجسده والمه الروحي»¹¹.

ومما سبق يتضح أن استخدام الروايات العربيات للجسد لا يعني

السلطة وصراع الأجنحة، وذلك بلغة شعرية جميلة وسرد روائي راق..

«تعتبر هذه الرواية من أكثر الروايات العربية تأثيرا، حيث تأخذنا في رحلة عبر ذاكرة بطلها الرسام الذي فقد ذراعه في حرب التحرير، وعلاقته المعقدة والمؤثرة مع حياة ابنة رفيق دربه في النضال. تتشابك في هذه الرواية ثنائية الجسد والذاكرة، حيث يصبح الجسد المنهك حاملا ذاكرة وطن مثقل بالجراح. استعد للانغماس في عالم من المشاعر، واستكشف قضايا الانتماء والحب في زمن الثورات..»

ويأتي احتفاء مستغامي بالجسد ضمن اهتمامات معظم الروائيات العربيات في العقد الأخير من الألفية المنصرمة، ولا يعني ذلك الاحتفاء -في نظرنا- إلا نوعا من البحث عن الهوية الذاتية للمرأة العربية ذات التاريخ الطويل المصطدم برجال العائلة أو القبيلة، نجد الكاتبة والأكاديمية المغربية زهور كرامي (1961م) تكتب روايتها «جسد ومدينة»، الصادرة بتاريخ: 1996م، ومن خلال تفاعل شخصياتها مع بعضها البعض، ومع العالم حولها، تطرح مجموعة من القضايا تؤسس لمفاهيم خاصة، وتضع المفاهيم السائدة موضع سؤال، وسنعرض لإحدى أهم هذه

حول رجل اسمه خالد بن طوبال، كان مناضلاً جزائرياً شارك في الثورة على الاحتلال الفرنسي، وكان مقرباً من زعيم المقاومة «سي طاهر»، فيعتمد عليه سي طاهر كثيراً، ولكن فيما بعد يُصاب خالد في يده ما يؤدي لبتريها.. وتدور أحداث الرواية في زمانين متوازيين أحدهما في الماضي والآخر في الحاضر، وتتطرق للثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، وبعض المسائل الأخرى المتعلقة برجال الثورة والاستقلال وحال الجزائر في تلك الأوقات.

رغم حبه العميق لابنة صديقه حياة فإنها تزوجت من آخر نظرا لفارق العمر حيث زوجها عمها لما وصفته الكاتبة بأحد الفاسدين في الحكومة، وقد اختارت الكاتبة للجسد ذاكرة ممتدة بين زمنين حاضر وماض، بلغة سلسلة وعميقة في الآن نفسه: «وبحكم أن الرواية تحمل عنوان ذاكرة الجسد، فإنها تركز بشدة على جَم الذكريات التي كان يعيش على أطلالها خالد وتجعله يعيش في تضارب مستمر بين الماضي والحاضر، وبين نضاله وخيبته، وحبه لحياة وذكرياته مع صديقه والفوارق التي تحول بينهما»⁹؛ تسعى الكاتبة إلى رسم لوحة فنية بأسلوب أدبي أسر عن مجتمعا بعد الاستقلال، وإكراهات

9 - موقع: كتاب بديا، بدون ذكر للكاتب ولا تاريخ النشر.

10 - أحمد بوغربي، جدلية الفهر في رواية: «جسد ومدينة» زهور كرامي، تاريخ النشر: 17 يونيو، 2020.

11 - رنا حلي، ملخص رواية: «جراح الروح والجسد» موقع: كتابك في سطور، تاريخ النشر: 18 مارس، 2025.

مجرد الجراة، وإنما البحث عن الهوية، واستخدام رمزية الجسد في قضايا كبرى: « فالجسد هو مجموعة الأجساد والمدينة وطن كامل»¹².

وتواصل المرأة العربية المعاصرة تجربتها مع السرد من خلال الجسد مباشرة، وتارة بصيغة أخرى، كما هو الشأن في رواية امرأة من هذا العصر للكاتبة السورية هيفاء بيطار.

2- هيفاء بيطار: الروائية الشرقية الأسيرة (قراءة في رواية: امرأة من هذا العصر)

التزاما منا بضرورة مراعاة الترتيب الزمني تحل في الرتبة الثانية رواية «امرأة من هذا العصر» للروائية المثيرة والمبدعة طيبة العيون بمدينة اللاذقية، في الشمال الغربي للجمهورية العربية السورية، حيث ولدت هيفاء بيطار سنة 1960م لأبوين متعلمين: أستاذ الأدب العربي وأستاذة الفلسفة، هكذا جاءت بيطار من بيئة جمعت بين الفلسفة والأدب، فكانت كتاباتها ذات بعد فلسفي عميق، زانها خبرتها في الطب، وقربها من الناس والاشكالات الاجتماعية: « بدأت بيطار حياتها المهنية بتشخيص بعض العلل الاجتماعية بعينيّ طبية وروح أدبية، فكانت أكثر التصاقاً بحياة

الناس وأسرارهم، كما تؤكد الروائية أن هناك انسجاماً كبيراً بين حياتها الشخصية وكتاباتهما. أول إصداراتها الأدبية كانت 1992، وتبنت من خلال الكثير من أعمالها الدفاع عن قضايا المرأة العربية وصرحت بأنها لا اعتراض لديها على تصنيفها كاتبة أنثوية، ولا تشعر بأي انزعاج من مصطلح الأدب النسوي، ولا تشعر أنه مُبطن بدنيّة أو انتقاص، وتؤكد أنها يههما العمل وجودته ووفائها لرسالتها ولا تهتم للمصطلحات كثيراً...»¹³.

صدرت لها عن دار الساقى اللبنانية رواية «امرأة من هذا العصر» سنة 2004 وكانت عملاً روائياً مثيراً ومشاكساً وجميلاً.. عنها يحدثنا الناقد جميل السلحوت: « (امرأة من هذا العصر) واضح أن المؤلفة اختارت عنوان عملها الابداعي هذا بعناية فائقة، فنحن أمام امرأة نكرة، وهي من هذا العصر، وفي هذا استثناء للنساء جميعهن في العصور السابقة، وربما في العصور القادمة.»¹⁴.

عالجت بيطار بكل اقتدار عقلية الرجل الشرقي وتناقضات المجتمع العربي الذي يحمل الرجل بعضاً من سماته، هنا نجد لها نصاً يرسم لوحة من ذلك التناقض في اللاوعي الذكوري في المجتمع

العربي، جاء ذلك في صفحتها 56: « مسكين وجيه كم يتعذب، انه يفتن بامرأة ذات شخصية قوية متعلمة مثقفة ذكية، لكنه يريد لها عذراء ليس لها أي تجارب عاطفية، يبدو أنه لا يعرف أن هذا يستحيل التحقق، »¹⁵.

شكلت رواية «امرأة من هذا العصر» منعطفاً كبيراً في الرواية العربية بشكل عام والنسائية بوجه خاص، خلال السنوات الأولى من الألفية الثالثة. « امرأة من هذا العصر رائعة من روائع الادب العربي، حسب رأيي الشخصي، لغة سهلة الفهم والتعبير، علاوة على أنها من روائع علم الاجتماع البشري، ومشكلة من المشاكل الاجتماعية التي تمر بها نساء العالم المتحضر، وحتى العالم الثالث»¹⁶.

رغم ما أخذ على الكاتبة من تصوير ماجن لعلاقة المرأة العصرية بالرجل، فإنها لم تخف امتعاضها من ذلك، كما في قولها على لسان بطلة الرواية: «كنت أحتاج إلى لحظة الانقشاع التي أحسستها حتى أفلت منه وأمتلك الجراة. فلماذا اضلل نفسي باعتقادي أنني أنثى عصرية، إنما أنا في الحقيقة أبحث عن صداقة روح لروح وقلب لقلب. يجب الإصغاء إلى قلبي لأن القلب يدرك

12 - موقع الرواية المغربية، قراءة في أعمال الروائية المغربية زهور كراوي: محمد بن عمر، تاريخ النشر: 17-نوفمبر، 2016

13 - موقع أراجيك، بدون تاريخ ولا اسم الكاتب.

14 - جميل السلحوت، موقع: ديوان العرب: منبر حر للثقافة والفكر والأدب، تاريخ النشر 18 إبريل: 2010.

15 - هيفاء بيطار، امرأة من هذا العصر، ط: دار الساقى اللبنانية، 2004، ص: 56.

16 - الموسوعة الرقمية العربية، بدون تاريخ النشر أو الكاتب.

البطانية من شهرة وقبول في بعض الأوساط الأدبية والنقدية، فإننا في الوقت نفسه نجد من ينتقدها بسبب ما قامت به بطله الرواية من خروج على النظام العائلي، وسفرها إلى الغرب، وزواجها رغم معارضة عائلتها لذلك الزواج، الخارج على الأعراف الاجتماعية، من ذلك ما جاء في قول الأديب الفلسطيني: «أعتقد أن العالم العربي فيه حراب كافية تطعنه ليل نهار، وآخر شيء يحتاجه حرباً جديدة مسمومة تضاعف من معاناته. الكتابة أمانة ورسالة وعلى كل كاتب مخلص أن يجعل من قلمه منارة إصلاح وتقدم، لا معول هدم وإدانة لمجتمعه. ولكن مهلاً، فنحن نعيش في زمن رديء تداخلت فيه القيم وتغيرت معاييرها، ويطل سؤال موجه: أما لهذا النفق المعتم من نهاية؟ لست أدري...»²⁰.

لم يعرف عن هذه الروائية الشيء الكثير، إلا أنها عفاف البطاينة قاصة وروائية من الأردن. أستاذة جامعية مختصة في النقد الأدبي واللسانيات والترجمة؛ ونعود من أقصى شرق الوطن العربي إلى غربه، لنجد روائية موريتانية من طراز رفيع، انتقدت المجتمع، فظلت وفيه للقضايا الاجتماعية، كالفساد الإداري والتفاوت الطبقي،

ذاتية لعفاف نفسها أو أن الرواية جزء من السيرة الذاتية، فخرج الجسد أكبر من أن تحشر في ذات عفاف، هي رواية «واقعية» عن مجتمع وعن بلاد ونفوس مليئة بالعنف»¹⁸.

نستطرد هنا نصاً قصيراً من الرواية، التي تسرد فيها الكاتبة على لسان البطلة سطوة الحريم، وقسوة المجتمع: «تفتحت في رغبات المراهقة فخرست جسدي وإرادتي وقراري وحركتي، ودخلت في دوائر الخوف والهزال. سلبوا مني كل شيء، حتى الأمل في الغد، وما تركوا لي إلا رغبتني في الموت. اندفعت إلى حضن الموت أبارك له إيماني بلا شيء إلا هو. لكنهم كانوا بيني وبين الموت. منعوني من اختيار العدم الحقيقي، وأبقوني في عبثية عدمهم. كلما فررت من قفص أدخلوني في آخر. قصوا أجنحتي، نتفوا ريشي، وكفوني بالبياض لأسير بين الأحياء جسداً لا يعرف الحياة. أسير ميتة بينهم. أعرف جيداً الاحتراق، وأعرف كيف أكوّم رمادي بعضه فوق بعض، وأتقن فن إشعاله من جديد. لم أعرف أن رمادي سيشعل يوماً ويحرقني إلى أن أتلاشى وأبعث من رمادي وأعود للاحتراق والاشتعال مع الرماد القديم وأبعث من جديد»¹⁹. مع ما حظيت به رواية عفاف

الجوهر أكثر من العقل»¹⁷. سنحول إلى كاتبة مشرقية أخرى لنطل عبر مساحة بوحها الذي اختارت له مكاناً رحباً خارج جسدها، تركت جسدها لتتعلق في فضاء رحب لا تحده حدود...!!

3- عفاف البطاينة: ثلاثية الألم والتمرد والإبداع.. (قراءة في رواية: خارج الجسد)

تأتي رواية «خارج الجسد» للكاتبة الأردنية عفاف بطاينة الصادرة عن دار الساقى بلندن، السنوات الأولى من الألفية الثالثة، مثلها مثل هيفاء بيطار، لتضعها -معاً- علامة بارزة بين الإبداع وغيره، بين الجدية السردية وهزل التسلية، جاعلات من الألم والقسوة مداداً لرسم لوحة فنية قاتمة..! مما يعني أن المرأة المشرقية مسها طائف من التمرد الأدبي، راجت هذه الرواية ورغم أن الكاتبة لم تكن معروفة في الوسط الأدبي قبل هذا العمل، فإن النقد انقسموا حوله ما بين معجب به ومنقده، سنستهل حديثنا عنه بتلك الأقوال المعجبة به: «عفاف في رواياتها «خارج الجسد» الصادرة لدى دار الساقى بلندن، تسرد في 446 صفحة حكاية ثلاث نساء، بل ثلاث حيوات لامرأة واحدة هي (منى) الشخصية المحورية في الرواية، ولا يهم ما إذا كانت «خارج الجسد» سيرة

17 - هيفاء بيطار (على لسان البطلة مريم) رواية: امرأة من هذا العصر، ط: دار الساقى، لبنان، الطبعة الأولى، 2004، ص: 57.

18 - محمد عمر، عفاف البطاينة في «خارج الجسد» عندما تفتح الأبواب الموصدة على العفن، موقع: البوابة، تاريخ النشر: 01 مارس 2005.

19 - عفاف البطاينة، رواية «خارج الجسد» ط: دار الساقى، 2004، ص: 73.

20 - سامر مسعود، مقال: قراءة موضوعية في رواية: «خارج الجسد» موقع: ديوان العرب، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، تاريخ النشر: 09-11-2008.

ولم تحظ قضية المرأة عندها بالشيء الكثير، رغم ما وجد بين السطور.

4- سميرة حمادي فاضل: جمال الأسلوب وقوة الحبك (قراءة في رواية: حشائش الأفيون)

ومرة أخرى ترفدنا السنوات الأولى من هذه الألفية بعمل روائي ينتمي لمستوى أدبي رفيع، للكاتبة الموريتانية سميرة حمادي فاضل، من مواليد السبعينيات عاشت في المشرق العربي، امتلكت قوة في الحبك الروائي صدرت لها سنة 2006 رواية: «حشائش الأفيون» عن دار الرأي للنشر والتوزيع عمان، فجاءت روايتها، تمتاز بطابعها التاريخي، إذ تؤرخ للمجتمع الموريتاني منذ خمسينيات القرن المنصرم حتى التسعينيات، رسمتها الكاتبة بوعي منهجي ونقدي قويين، كانت هذه الفترة هي الفترة التأسيسية لهوية المجتمع الموريتاني المعاصر في ظل الدولة الوطنية، والهجرة من الريف إلى المدينة، والتجربة الديمقراطية، وما تلاها من فساد مالي وطغيان التفاوت الطبقي، كلها أمور رسمتها الانامل الأدبية الإبداعية للكاتبة مع بطل الرواية عبد الرحمن، الذي كان طفلاً في حي ينتجع المرعى، لأب ثري يمتلك قطعاناً من الحيوان، وأم حزينة بسبب بعض القضايا

الاجتماعية، التي ناقشتها الرواية بكل جمال وسلاسة، انتقل البطل إلى مدينة روصو بالجنوب الغربي لموريتانيا ليلتحق بالمدرسة النظامية، ويتفوق رغم إهمال والده الغني، وعجز والدته الكئيبة عن تشجيعه، أو الإحساس به على الأقل.

تدور أحداث الرواية بداية من حي بدوي، ومن ثم بين بعض مدن موريتانيا وخاصة نواكشوط وروصو، لينتقل البطل بعد تفوقه في البكلوريا وحصوله على منحة دراسية اختارها أن تكون إلى المملكة المغربية، لأسباب عالجتها الكاتبة بكل عمق وتحليل نفسي، جالت أحداث الرواية مع تناقضات المجتمع وحقده وعدم تشجيعه للمتفوقين، فبطل الرواية ذاع نبوغه في أرجاء العالم ومجتمعه لا يهتم، بعد نجاحات عالمية عاد البطل مثقلاً بالخيبات والألم، ليصل إلى مرحلة الجنون: «تحاول الروائية الموريتانية سميرة في «حشائش الأفيون» أن تسلط الضوء على مكامن التناقض في المجتمع الموريتاني، وترصد حركة الفرد فيه المنتمي إلى العالم الثالث بكل تناقضاته، وما يحمله من تخلف اجتماعي. وتنتقل سميرة فاضل مع بطل روايتها من قلب الصحراء الموريتانية القاحلة مروراً بالقرية الثملة بالتخلف والجهل، ثم المدينة

التي هي أقل تخلفاً وجهلاً والتي تفتح الباب أمامه للدلف إلى عالم المعرفة. سميرة المولودة في نواكشوط في العام 1975. والحاصلة على الدبلوم العالي في «الفنون الجميلة» من جامعة بغداد في العام 1996 صدر لها كتاب بعنوان (لماذا نريد هذا الرجل) وهو كتاب سياسي، في العام 2003. ثم رواية «حشائش الأفيون» في العام 2006.²¹

في رد للكاتبة على عدم تبنيها للخطاب النسوي، واختيارها لبطل الرواية رجلاً، عكس معظم الكتابات النسائية، تقول: «اختياري للرجل يرجع لي أنا، فأنا اعتقد بأن حياة المرأة ببساطة هي الرجل وكل عالمها مهما أنكرت يبدأ من عنده وينتهي لديه، وأردت أن القي الضوء على حياة المرأة بطريقة لولبية من خلال نافذة الرجل مبتعدة عن النمط المعتاد السافر وعن أسلوب ذلك الحزب النسائي الداعي إلى المساواة بالرجل فتلك النظرية لم أؤمن بها يوماً»²².

ورغم أن الكاتبة نفت عنها صفة «النسوية» فإننا نجدها في نص روايتها تحمل هم المرأة من حيث لا تدري، جاء ذلك على لسان البطل في رسالته التي استهلكت بها الكاتبة روايتها التي جاءت بأسلوب الحكيم، حين قال: «..فوالدتي كانت دائماً مهمومة وأشعر بها بل أراها حزينة وكما

21 - موقع: صفحي، بدون ذكر الخاور، تاريخ المقالة: 01 نوفمبر 2006.
22 - فترة من مقابلة مع الكاتبة سميرة حمادي فاضل، أجراها موقع: صفحي، بتاريخ: 01، نوفمبر: 2006.

عن غيرها بلغة شعرية باذخة وذات فخامة تعبيرية آسرة، واختيارها نوعية أبطال روايتها: «للكاتبة عدة روايات، ومن بينها رواية لحظات لا غير، الرواية التي أزهري بها المركز الثقافي العربي سنة 2007؛ هذه الرواية من الإبداعات الأولى للكاتبة في المجال السردي، ومن خلالها استعادت الحياة، «ولا شيء يعيد الحياة لجسد ميت أو لراغب في الانتحار» بلغة الكاتبة، رواية رومانسية جميلة تنسج حبكتها من وقائع الحياة ومن جمال اللغو وغنى الشعر. بالإضافة إلى هذا، فإن شخصياتها مغيرة تماما لشخصيات وأبطال الروايات والقصص الأخرى، إنها شخصية «القلم» و«الورقة» مع حب ومداعة الكتابة التي تصنع الخلود بالإبداع الذي تنشده الكاتبة. «تريث قليلا أيها الموت إنني أكتب». لحظات لا غير عنوان مفعم بحمولة تحيل على الزمن والإحساس به، لحظات امتلاء الروح والفكر والجسد، لحظات المتعة التي تتميز عادة بقصرها، هذه اللحظات التي ستتحقق أثناء ذوبان الأنا في الغير (وحيد وأسماء). هاته الرواية نجحت في العبور من الأنا إلى الآخر ومن الآخر إلى الأنا؛...»²⁴.

حضر عند النقاد البعد الفلسفي الوجودي في هذه الرواية، فاختيار العنوان، واختزال الزمن في لحظات

العمل الروائي واقع نحاكم كاتبه، وتحضرنا مقولة الجاحظ (أبو عُثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ: 159-255 هـ). «إن الشعر أعذبه أكذبه». وقد ينطبق على السرد ما ينطبق على الشعر.

وحسبنا من هذا أن نلتمس للكاتبة المغربية فاتحة مرشيد العذر فيما انتقد عليها البعض، في اختيارها لبطلات روايتها أسماء التي خرجت على القانون الوظيفي، الذي يمنع على الطيبة الزواج من أحد زبائن العيادة، فبطلة رواية لحظات لا غير الدكتورة الطيبة النفسية أسماء، التي استدعاها مجلس تأديب سلك الأطباء ليخبرها بين مهنتها أو الارتباط بمرضاها وحيد، فاختارت هذا الأخير، في تحد صارخ للقوانين الوظيفية..

عن هذه الرواية المشاكسة يحدثنا إنصاف الناتبي بالقول: «عندما نتحدث عن الكاتبة والروائية فاتحة مرشيد نتحدث عن صوت مغربي متفرد، متميز، بالغ الرفاهة، صادم وجريء، صوت يحاول تحريك المياه الراكدة ملقيا بالحجارة فيها وصوت فاتحة مرشيد، هو من بين هذه الأصوات التي تستفز المرء باقتحامها عوالم مسكوت عنها، تلك الجوانب التي تبدو هامشية غير مركزية لكنها عكس ذلك.»

ثم يضيف في إشادة وتغن بالمنهج الكتابي لفاتحة، وتميزها

سمعت عن زواج جديد لوالدي ازداد حزنها وانطواؤها، وكم من مرة تمنيت أن يثير شيء ما اهتمامها أو أن تتعلم كيف تعترض أو حتى تتكلم، أمي لم تكن مطلقة ولا متزوجة بقيت على الهامش...»²³.

يقع تناس عجيب بين هذه الرواية ورواية «مذكرات حسن بن المختار» للكاتب محمد ولد إمين. فكل منهما اهتمام بالمجتمع الموريتاني وتحولاته الاجتماعية، وتمثلاته الميثولوجية، وذلك برؤية نقدية صريحة، كما أنهما اهتما بنفس الفترة!!.

رحلت الكاتبة سميرة في (أكتوبر: 2024) بأحد مستشفيات باريس عن عمر لم يكمل عقده الخامس، دفنت هنا في موريتانيا رحمها الله.

5- فاتحة مرشيد: الطيبة، الأدبية، المثيرة (قراءة في روايتها: لحظات لا غير)

نحط الرحال مع رواية رغم ما قيل عنها - فهي عمل أدبي أكثر من رائع، ولدت الكاتبة فاتحة مرشيد: 14 مارس 1958 بالمملكة المغربية، حاصلة على شهادة دكتوراه في الطب سنة 1985 وعلى دبلوم التخصص في طب الأطفال سنة 1990. نحن هنا في اختيارنا للنصوص لا نحاكم المضمون في حالة خروجه على الآداب العامة، لأن الأدب في نظرنا متخيل، وليس ما يكتب في

23 - سميرة حادي فاضل، على لسان البطال، رواية حشائش الأفيون، ط: دار الرشد العلمية، عمان، 2006، ص: 8.
24 - إنصاف الناتبي، سبق ذكره.

لا غير كان عميقا، ارتقى بالأدب إلى مستوى فلسفي.. «أصبحت الوجودية نمطا فكريا شائعا في الرواية العربية المعاصرة، التي أعطت اهمت بالإنسان، كما نرى في «لحظات لا غير» التي تتجلى فيها الرؤية الوجودية بوضوح خلال استعراضها لظاهرة الأنثى الزمانية، إضافة إلى اعتمادها على النموذج الوجودي في بناء الشخصية، وتركيزها على قيمة الحرية والموت»²⁵.

يقع تشابه كبير بين فاتحة مرشيد في رواية لحظات لا غير مع الكاتبة السورية هيفاء بيطار في روايتها «امرأة من هذا العصر» التي سبق الحديث عنها في هذه الورقة، فكل منهما طبيبة مرشيد طبيبة أطفال وهيفاء طبيبة عيون، وكل منهما أصيبت بطلّة روايتها بسرطان الثدي، لكن البعد الزمني عند مرشيد كان عميقا.

خاتمة

حاولنا في هذه الورقة أن نقدم صورة عن المشهد الأدبي في الوطن العربي، في الزمن الراهن، وتم ذلك من خلال خمسة أعمال روائية لنساء مثّلن من خلال انتاجهن رؤية ليس بالضرورة أن تكون متطابقة، لكنها تحمل سمات متشابهة.

حملت المرأة العربية هم التحرر والعدالة والمساواة، فجاءت التيارات النسائية بمناهج عديدة، اخترنا الجانب الأدبي إيماننا منا بأن

الأدب تعبير عن الذات من خلال صور وشخوص يحبكها الكاتب عبر سياقات ومحطات تاريخية.. ومن خلال هذه النماذج انضح لنا المستوى الأدبي الذي وصلت له المرأة العربية المعاصرة من بعد فلسفي ومسعى حياتي.

فإذا كان جيل خمسينيات القرن الماضي من النساء - رسم طريقا للكتابة تحمل هم تحرير البلدان العربية من الاستعمار، وجاءت تجاربهن في شكل سير ذاتية ومعالجات اجتماعية، فإن جيل التسعينيات كان أكثر صراحة وجدّة حد التمرد، ففي الجزائر إذا كانت زهو ونيسي في أعمالها «الرصف النائم» أو «يوميات مدرسة حرة» كانت تتحرك في فلك الإصلاح الاجتماعي، لكي ترسم للمرأة طريقا توصلها إلى بر آمن، فإن أحلام مستغانمي من الجزائر نفسها برزت مع مطلع العقد الأخير من القرن نفسه -أيضا- بطرح مختلف مشاكس «بشراصة لا متناهية وجنون لا متناه وإبداع لا متناه..» بتعبير الشاعر الكبير نزار قباني(ت1998م).

وفي موريتانيا إذا كانت عائشة زين العابدين عبّرت في روايتها عن ضرورة حق المرأة في التعلم، وكتبت سيرة ذاتية لفتاة معذبة، فإن مطلع الألفية رفدنا برواية «حشائش الإفيون» لسميرة حمادي فاضل، المختلفة في سردها وشخوصها وحبكتها وجمال سحرها..

وفي المشرق العربي اختلف الأمر، ففي نموذج ليلي بعلبكي التي رسمت طريقا للتمرد سابق لأوانه حسب

وعى الشعوب العربية المنهكة بفعل الاستعمار ومخلفاته، منذ خمسينيات القرن الماضي، ونفس الطريق التي رسمتها بعلبكي سلكها جيل مطلع الألفية حينما اكتمل نصف قرن أو كاد وبصرخة أقوى وتعبير عن جسم مثخن بجراح الحريم وسطوة المجتمع التقليدي، حسب ما جاء في أعمال النماذج التي اخترنا مثل: هيفاء بيطار من سوريا وعفاف بطاينة من الأردن.

وفي المغرب كانت الكتابة النسائية منتصف القرن العشرين عبارة عن سير ذاتية تضمنتها رغبة في تحرر المجتمع من التخلف والرجعية.. وما تركه الاستعمار الفرنسي من مخلفات، جاء ذلك مع الكاتبة ليلي أبو زيد في روايتها: «عام الفيل» فإن الأمر مختلف تماما مع جيل مطلع الألفية الذي مثله بكل اقتدار وجراة فاتحة مرشيد في روايتها: «لحظات لا غير».

وفي ختام هذه الدراسة التي رمت في مسعاها العلمي أن تقدم قراءة لأعمال روائية لنساء عربيات معاصرات، مثّلن مختلف جهات الوطن العربي، لكي نطلع على منسوب الإبداع للمرأة العربية، وخصوصيته التي كانت لا تخطئها العين، فهم المرأة وبحثها عن المساواة ومعانيتها مع العقليات، ومحاولتها إبراز ذاتيتها من خلال معركة الوجود، تلك المعركة التي أخذت منها جهدا ينحو أحيانا إلى شطط، نحن قد لا نحمده ولا نباركه، لكننا قد نتفهمه في سياقه الأدبي الأخاذ.

25 - محمد بن أحمد، مظاهر الوجودية في رواية لحظات لا غير للكاتبة فاتحة مرشيد، جامعة وهران، الجزائر، 2024.



التأليف المعجمي العربي: المحطات والأنواع

مقدمة

خلال الاستعمار الأجنبي للبلاد العربية³.

واعتبارا لذلك تكون مؤلفات القرن الرابع وما يليه مصدقة فيما ذكرت من عناوين عن القرون الثلاثة الأولى للهجرة، تلك العناوين التي بعضها وُجد وتحصلنا عليه، وبعضها ضاع مع ما ضاع من الكتب، وبعضها ما يزال في حكم الضائع لعدم الوصول إليه بعد.

1. محطات التأليف المعجمي:

طبعت حركة التأليف المعجمي على مدى التاريخ عند العرب محطات تتخذ كل واحدة منها منهجا خاصا في التأليف، يكون في الغالب نتيجة حاجة ماسة إلى نمطه، وتجتمع مؤلفات كل محطة في هدف تنشدته وتضعه نصب أعينها. ويمكن أن نعد خمس محطات لهذا التأليف المعجمي هي محطة الجمع، ثم مرحلة التهذيب، ثم مرحلة الموسوعية، ثم مرحلة التبسيط، ثم مرحلة الاحتواء:

أولا: محطة الجمع:

بدأ التأليف المعجمي أول ما بدأ منكباً على عملية جمع اللغة من أفواه العرب الأقحاح، وكان هذا

والحديث أولا، وكذلك جمع شتات اللغة قبل أن تفسد نتيجة اختلاط العرب بالأعاجم². غير أنه رغم عدم وجود أي دليل ملموس على التأليف في هذا القرن، إلا أن المؤلفات في القرون التي تلتها وخاصة مؤلفات القرن الرابع وما بعده تزخر بالعناوين التي ترجع إلى القرن الأول والقرنين اللذين يليانه. وإن كانت بعض مؤلفات هذين الأخيرين وصلتنا لكن ضاع منها الكثير.

ولم يكن أبدا عدم الإدراك/ العثور على الشيء يلزم عدم الوجود أصلا. والأسباب التي تسببت في هذا الضياع أكثر من أن تحصى فمن سبب عاديّات الزمن إلى ما تعرضت له الدولة العربية الإسلامية من حروب وفتن وغزوات، «وكان ما أصاب الثقافة العربية مروعا عندما اقتحم جنود هولاكو مدينة بغداد عام 656هـ/ 1258م، فقد أقيمت مئات الألوف من المخطوطات في نهر دجلة. ولم يكن نصيب الكتب العربية من الدمار خلال زحف تيمورلنك بأقل منه على يد هولاكو [...] أما الجانب القليل الذي سلم من هذه الكوارث والنكبات فقد نُقل معظمه إلى دور المخطوطات الأوروبية والأمريكية

يحتل التأليف المعجمي عربيا مكانة متقدمة في صدارة اهتمام العلماء واللغويين والمعجميين، وتتجلى هذه الصدارة في الحاجة إلى سد فجوات معجمية من حين لآخر. وقد بدأت حركة التأليف المعجمي عند العرب منذ القرن الأول للهجرة وتوسعت في ثاني قرون الهجرة. ويرجع هذا التوسع إلى تعلم العرب صناعة الورق من الصينيين في سمرقند عام 94هـ، إبان الفتوح الإسلامية؛ «فقد وجدوا فيها مصنعا للورق أجمل وأرخص مما كانوا يكتبون عليه، فنقلوه إلى بلادهم، وأطلقوا عليه اسم «الكاغد»¹.

ومما لا شك فيه أن التأليف المعجمي بدأ في القرن الهجري الأول قبل التأليف في المستويات اللغوية الأخرى، وما ذلك بغريب لأن المستوى المعجمي للغة هو أشد مستويات اللغة تأثرا وتغيرا عكس المستويات التركيبية (النحو) والصرفي والصوتي التي تتسم بالاستقرار. لذلك يقول الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري: «بدأت الحركة اللغوية في منتصف القرن الأول بغاية تفسير غريب القرآن

1 - د. عبد الطيف الصوفي، اللغة ومعاجها في المكتبة العربية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ص: 25.

2 - د. عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي: نماذج تحليلية جديدة، دار توفيق، الباز البيضاء - المغرب، ط1، 1986، ص: 17.

3 - د. عبد الطيف الصوفي، اللغة ومعاجها في المكتبة العربية، مرجع سابق، ص: 28-29.

التأليف في مجمله يهدف إلى حراسة القرآن الكريم من أن تشوبه شائبة أو تستغل بعض معانيه على المتأخرين بوفاء المتقدمين، ومن ثم حفظ اللغة العربية وثوراتها اللغوية التي لم يصل إلى عصر التدوين منها إلا أقلها_ حسب تعبير أبي عمرو بن العلاء_ يقول الدكتور أحمد شفيق الخطيب في تقرير أهداف حركة التأليف المعجمي عند العرب في هذه القرون: «وكانت غايتها أساسا تفسير غريب القرآن، وتاليا تفسير غريب الحديث، ولاحقا تفسير غريب الشعر وجمع النوادر»⁴.

وليسست حركة التأليف المعجمي في هذه القرون ببدع في سماتها، ذات الطابع التأسيسي لمعرفة وثقافة وحضارة عربية إسلامية، فاستمعت مصنفات التأليف المعجمي «في هذه المرحلة الأولى من مراحل التأليف اللغوي بالعقوبة وعدم التنظيم، شأنها في ذلك شأن معظم كتب هذه المرحلة»⁵؛ فألفت كتب الغريب ويُقصد بها غريبي القرآن والحديث، جمعت النوادر في اللغة وألفت الرسائل في الموضوعات، بل وأعدت المعاجم إسهاما في عملية الجمع هذه.

وامتدت هذه المحطة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وأول من ألف تأليفا معجميا هو عبد بن عباس (ت68هـ)، وقد دفعه إلى تأليفه هذا

خفاء معاني بعض مفردات القرآن الكريم على بعض الصحابة فكان «كتاب غريب القرآن»⁶. ثم تتالت في القرن الثاني للهجرة مؤلفات الغريبيين (غريب القرآن وغريب الحديث)، فألف في غريب القرآن وأبان بن تغلب الجريري (ت141هـ)⁷، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت110-210هـ)، والأصمعي (ت216هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ)، وابن قتيبة (ت213-276هـ)، وثلعب (ت291هـ)، وغيرهم. وكل هذه الكتب ضاعت ولم يبق منها سوى كتاب «غريب القرآن» لأبي عبيدة بن المثنى و«غريب القرآن» لابن قتيبة⁸. أما «غريب الحديث» فيقال إن أول من ارتاد الطريق وصنف في غريب الحديث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، المتوفى سنة (210هـ)، ثم تتابعت الجهود وأخذت تخطو نحو الكمال⁹. وقد ألف فيه أبو الحسن النضر بن شميل (ت203هـ)، وقطرب (ت206هـ)، وأبو زيد الأنصاري (ت119-215هـ)، والأصمعي، وابن الأعرابي (ت231هـ)، والشيباني (ت231هـ) وابن قتيبة، والمبرد (ت286هـ)، وثلعب، وغيرهم. ولكنها لم تصلنا. «ومن أهم وأقدر كتب غريب الحديث التي وصلتنا كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد (ت224هـ)¹⁰. ويختلف هذا النمط من التأليف المعجمي عن الأنماط

التي ستأتي في كونه مربوطا بسياق لغوي معين هو الكتاب والسنة، أما الأخرى فتندحو مذحى أكثر شمولية في اللغة ككل.

وقد شاركت كتب النوادر في حركة التأليف المعجمي في القرنين الثاني والثالث للهجرة وهي الكتب التي جمعت فيها مفردات اللغة الغريبة التي تتسم بالندرة في الاستخدام، حفاظا عليها من الفناء مع وفاة عارفها. وهي محاولات معجمية رائدة استمرت طيلة القرن الثاني للهجرة ومطلع القرن الثالث، شغلت معظم علماء العربية آنذاك كأبي عمرو بن العلاء (ت145هـ)، وأبي زيد الأنصاري، وأبي مسحل الأعرابي (ت. ق. 3هـ)، وقطرب، وأبي عبيدة، والأصمعي، وابن الأعرابي، وغيرهم حتى بلغ عددهم أكثر من أربعين¹¹. ومن أهم وأقدم كتب النوادر كتابان: الأول «كتاب النوادر»¹² لأبي زيد الأنصاري، ولعل كتاب «النوادر في اللغة» لأبي زيد الأنصاري خير ما بين أيدينا من كتب لغوية تمثل هذه المرحلة، إذ نرى المؤلف يورد فيه النصوص الشعرية والنثرية المألوفة بالمفردات الغريبة النادرة فيشرحها ويعلق عليها بعض التعليقات اللغوية من غير ترتيب في إيراد النصوص أو ربط بين معاني الألفاظ¹³، والثاني «كتاب النوادر في اللغة»¹⁴ لأبي مسحل الأعرابي¹⁵.

4 - د. أحمد شفيق الخطيب، التواميس فن وعلم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجلد 78، الجزء 3، ص: 543.

5 - د. عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجها في المكتبة العربية، مرجع سابق، ص: 46.

6 - كانت توجد منه نسخة في برلين قبل الحرب العالمية الثانية، انظر: بروكلمان 1/ 731.

7 - ينظر: عبد الله علي الفضل، التواميس والمعاجم اللغوية في الفكر العربي الإسلامي: دراسة في النشأة والتطور، مجلة جذور، الجزء 27، الجلد 11، ص: 263.

8 - ينظر: د. عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجها في المكتبة العربية، مرجع سابق، ص: 41.

9 - ابن الأثير (544-606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، المقدمة، ص: 03.

10 - د. عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجها في المكتبة العربية، مرجع سابق، ص: 45.

11 - المرجع السابق، ص: 58.

12 - صدر في بيروت أول مرة عام 1894م مذيلا بتعليقات اللغوي اللبناني سعيد الحوري الشرتوني، ثم أعيد طبعه مصورا في طبعة حديثة عام 1971م، بتحقيق الدكتور أحمد عبد القادر أحمد.

13 - د. أحمد الطرابلسي، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ط 2، 1956، ج 1 (اللغة والأدب)، ص: 12.

14 - صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق عزة الحسن عن مخطوطة موجودة في اسطنبول عام 1961م، في جزأين.

15 - ينظر: د. عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجها في المكتبة العربية، مرجع سابق، ص: 59-58.

(ت255هـ) «18». وخامس الكتب عاش صاحبه في القرن الرابع الهجري. وفي القرنين الثاني والثالث الهجريين ذاتهما ظهرت إلى جانب التأليف المعجمية السابقة الذكر نمط من التأليف المعجمي سيسود غيره من الأصناف ويهيمن على حركة التأليف فيما بعد القرن الثالث للهجرة حتى تكاد هذه الحركة تنحصر فيه وبها يعرف. هذا النمط هو المعاجم العامة، وهي كتب تحاول أن تجمع بين دفتيها مفردات اللغة أيا كان النص الذي وردت فيه، وأيا كانت صبغتها غريبة أم شائعة، وأيا كان موضوعها، وأيا كان شكلها وبنيتها، مع تعريفها. هو إذن نمط شمولي. وأول مثال لهذا النمط من التأليف المعجمي في السياق العربي ينسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-170هـ) «ف» يكاد يتفق المؤرخون على أن أول من جمع اللغة أو حاول جمعها في معجم هو الخليل بن أحمد الفراهيدي¹⁹. بل يعد عمله أعجوبة علمية، يقول الدكتور أمجد الطرابلسي: «وإذا صح أن الخليل قد وضع معجمه بنفسه بكامله كان ذلك أعجوبة خارقة في تاريخ تدوين اللغة، إذ يكون هذا المعجم قد سبق سواه من المعاجم العربية بقرن ونصف قرن تقريباً؛ ذلك أن أول معجم جامع ظهر بعد كتاب العين هو كتاب الجمهرة²⁰». ثم جاء بعد الخليل أبو عمرو الشيباني (ت213هـ) «ب» كتاب الجيم» الذي ينحو هذا المنحى

الألفاظ التي يستعمل كل منها للدلالة على الشيء وضده. [...] ومن ذلك أيضاً ما ألف في مثلث الكلام، وهي رسائل عديدة جمعت فيها الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة، [...] ومن أشهر ما ألف في هذا الباب مثلثات قطرب. ومن ذلك الرسائل المختلفة التي جمعت فيها الأفعال ذات الاشتقاق الواحد ككتاب «فعل وأفعل» لقطرب، وكتاب «فعلت وأفعلت» للزجاج [241-311هـ] وغيرهما¹⁶. ومن ذلك أيضاً ما ألف في الفرق، ويقوم هذا النمط بالأساس على «ذكر تسمية عضو من أعضاء جسم الإنسان أو صفته، ثم ذكر ما يقابله من أعضاء البهائم والطيور والسباع»¹⁷. وقد ألف في هذا النمط أبو عبيدة، وأبو زيد الأنصاري، وابن السكيت يعقوب بن إسحاق (ت244هـ)، «وجميع هذه الكتب مفقودة ولم يصل إلينا منها أي كتاب، إنما جاء ذكرها في كتب التراجم والطبقات دون أن نعرف محتواها أو نلقي نظرة على كنهها. فهي في باب الضياع حتى يعثر لها على أثر. أما كتب الفرق التي وصلت إلينا فمجموعها خمسة كتب، منها كتاب الأصمعي، والكتب الأخرى هي على التوالي: - كتاب الفرق لأبي علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت206هـ)، [...] - كتاب الفرق لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت المتوفى في أواسط القرن الثالث الهجري، [...] - كتاب الفرق لأبي حاتم السجستاني

وإلى جانب النمطين السالفين من التأليف المعجمية المنضوية تحت راية جمع اللغة سائرهما نمط ثالث من التأليف المعجمي هو ما عرف بـ«رسائل الموضوعات»، وهي طريقة شاعت في القرنين الثاني والثالث في جمع اللغة؛ حيث تقوم هذه الطريقة على الموضوع الواحد فتشبعه جمعاً وحصرًا، وتضعه في مؤلف مستقل. وكل هذه الرسائل الصغيرة سواء ما وصل منها وما فقد، إنما ذابت في المعاجم الجامعة التي ألفت فيما بعد. «وقد وصلنا كثير من الرسائل التي تمثل هذه المرحلة؛ فلأبي زيد الأنصاري [...] عدد من الرسائل اللغوية التي تمثل هذا الشكل من أشكال جمع اللغة، مثل: كتاب المطر وكتاب اللبأ واللبن، كما أن لمعاصره الأصمعي رسائل أخرى كثيرة من هذا النوع، مثل: كتاب الإبل وكتاب الخيل وكتاب الشاء، [...] وكل هذه الرسائل إنما جمعت فيها الألفاظ بحسب معانيها وموضوعاتها. [...] وهناك رسائل أخرى جمعت فيها الألفاظ لا بحسب المعاني بل تبعا لأحد حروف أصولها [...] فيقال كتاب الخاء وكتاب الجيم وهلم جرا.. ومن أشهر ما وصلنا من رسائل هذا النوع كتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري. وهناك نمط ثالث من هذه الرسائل جمعت فيها الألفاظ التي تربط بينها رابطة أخرى غير رابطة المعاني أو الحروف، من ذلك مثلاً الكتب التي ألفت في الأضداد، وقد جمعت فيها

16 - د. أمجد الطرابلسي، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا، مرجع سابق، ج/1 (اللسان والأدب)، ص: 16-17.

17 - عطا الله بوحرة، كتاب الفرق للأصمعي وراث الفرق في العربية، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة المكتوبة، عدد 12، 2016، ص: 385.

18 - المرجع السابق، ص: 399-405.

19 - د. أمجد الطرابلسي، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا، مرجع سابق، ج/1، ص: 21.

20 - د. أمجد الطرابلسي، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا، مرجع سابق، ج/1، ص: 25.

21 - يختلف في تاريخ وفاته، وثابت أقوال كثيرة حوله، وقد خلص الحق إلى (213هـ) تاريخاً لوفاته، ينظر: أبو عمرو الشيباني، كتاب الجيم، تحقيق: إبراهيم الأنباري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974، ج/1، المقدمة، ص: 12-10.

الشمولي في جمع اللغة، وإن كان بعض المصنفين يدرجه في خانة كتب «لغات القبائل» إلا أن سمة المعجم بارزة فيه واضحة.

ثانيا: محطة التهذيب:

تأتي محطة التهذيب هذه في محطات التأليف المعجمي تالية للمحطة الأولى محطة الجمع، ويقوم مُنطلقها على تشذيب اللغة العربية من الدخيل والمولد اللذين غزوها في طيلة القرنين الثاني والثالث الهجريين، وإحكام صاحبها لئلا يلتبس مع غيره. جاءت هذه النزعة التهذيبية لسل اللغة الصحيحة التي جمهر العلماء على صحتها من وحل الاستعراب. فظهرت في القرنين الرابع والخامس الهجريين تأليف معجمية شكلت مجمعة نزعة تصحيحية اتسمت بها فأمكنها أن تتصف بكونها محطة من محطات التأليف المعجمي لها مميزات الخاصة، بل إن هذه النزعة تعمقت في أعمال هذه المحطة حتى إن الناظر في عناوين هذه التأليف ليلمس ذلك بجلاء فيها. وأول هذه التأليف «جمهرة اللغة» لابن دريد (ت321هـ) فقد جمع فيها ما أجمع وتجمهر عليه العلماء من صحيح اللغة وأبعد غير ذلك، ثم معجم «تهذيب اللغة» للأزهري (ت370هـ) الذي يظهر من عنوانه الهدف من تأليفه، يقول في خطبة الكتاب: «... وأفيت طلاب هذا الشأن من أبناء زماننا لا يعرفون من آفات الكتب المصحفة المدخولة ما عرفته، ولا يميزون صحيحها من سقيمها

كما ميزته. وكان من النصيحة التي التزمها توخيا للمثوبة من الله عليها، أن أنضح عن لغة العرب ولسانها العربي الذي نزل به الكتاب، وجاءت السخن والآثار، وأن أهدبها بجهدى غاية التهذيب، وأدل على التصحيف الواقع في كتب المتحاذقين، والمعوز من التفسير المزال عن وجهه، لئلا يغتر به من يجهله، ولا يعتمد من يعرفه»²². ثم «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (ت393هـ) الذي يتكلم عنوانه بمحتواه، ثم جاءت بعد ذلك في القرن الخامس الهجري تأليف ابن سيده الأندلسي (ت458هـ) المعنونة بـ «المحكم والمحيط الأعظم» و«المخصص».

ثالثا: محطة الموسوعية:

جاءت محطة الموسوعية في التأليف المعجمي لتدلي بدلوها في تاريخ مناهج التأليف، وهي نزعة سادت التأليف في أغلب المجالات في القرون السابع والثامن وما بعدهما، وليس المجال المعجمي ببعد من غيره من المجالات. وقد اهتمت التأليف المعجمية في هذه القرون بتوسيع دائرة التدوين وجمع الشتات المبعثر في كتب اللغويين، فاتسمت بالضخامة والموسوعية في موادها. ومن التأليف الممثلة لهذه المرحلة معجم «الغُباب الزاخر واللباب الفاخر» للصغاني (ت650هـ)، وتلاه معجم «لسان العرب» لابن منظور الإفريقي (ت711هـ) لتكتمل هذه المرحلة بمعجم «تاج العروس من جواهر القاموس» لمرتضى الزبيدي

رابعا: محطة التبسيط:

وهي نهج من التأليف المعجمي ظهر حديثا في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين للميلاد، يجنح إلى محاولات التبسيط في الصناعة المعجمية؛ من ترتيب وتعريفات للمواد اللغوية. وقد تظهرت أغلب تأليف هذه المرحلة في المعاجم التعليمية؛ فقد جاءت المعاجم التعليمية لسد حاجة المتعلمين في اكتساب المفردات، وكان «قُطر المحيط» لبطرس البستاني (1869م) بداية لهذا الصنف من التأليف، ودفع البحث المعجمي المدرسي وزوده بالآليات المعجمية الحديثة بغية إنجاز معجم يفى بغرض المتعلم. ثم تتالت بعده المعاجم التعليمية بوفرة في القرن العشرين «مما يؤكد أن الترابط بين النشاط المعجمي والتعليم ترابط وثيق منذ عصر النهضة العربية ولا سيما منذ انتظم التعليم وضبطت مراحل وبرامجه وانتشرت المدارس والمعاهد وتطورت طرق التبليغ والتدريس»²³. ثم ظهر «المنجد» للويس معلوف في أول طبعة له سنة 1908م، ثم معجم «الرائد» لجبران مسعود وقد ظهرت طبعته الأولى سنة 1964م، ثم «المعجم الوجيز» الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1994م وغيرها كثير في القرن العشرين.

22 - الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مراجعة: محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبناء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج 1، ص: 7-6.
23 - الهادي بوحوش، من قضايا المعجم المدرسي، مجلة المعجمية - تونس، ع 3، 1987، ص: 62.

خامسا: محطة الاحتواء:

وهي محطة تجمع المعاجم الحديثة التي اتخذت التقانة منطلقا في صناعتها وامتكا في سبيل تذليل صعاب الكم والضخامة، فهي بذلك تحاول الجمع بين الموسوعية والدقة والتبسيط كل ذلك بأقل جهد؛ فبعد أن كانت كل محطة من محطات التأليف المعجمي السابقة تركز على منحى من هذه المناحي وتهمل غيره ليتسنى لها الإلتقان جاءت محطة الاحتواء لجعل كل تلك المناحي في بوتقة واحدة، وما ذلك إلا بسبب التسهيلات التي وفرتها التقنية، وطبيها للوقت والجهد. ويمكن أن نمثل لهذه المحطة بـ«معجم الدوحة التاريخية للغة العربية» الذي بدأ العمل فيه منذ 2013م، واكتمل العمل فيه إلى حدود 500 أي عشرة قرون من التاريخ المعجمي مع بداية 2023م، ويمثله كذلك «المعجم التاريخي للغة العربية» الذي بدأ العمل فيه 2017م بتنفيذ مجمع اللغة العربية بالشارقة وإشراف اتحاد المجمع العربية، وقد صدرت منه لحد أواخر 2022م 36 مجلدا شاملة لمفردات تسعة أحرف من اللغة العربية.

2. أنواع التأليف المعجمية وخصائصها:

ترتبط التأليف المعجمية ارتباطا وثيقا مشكلة بذلك نظاما؛ فما لا يتناوله هذا الصنف يختص به الصنف الآخر، ويتخذ هذا الصنف طريقة في معالجة مواده مخالفة

للطريقة التي يتبعها الآخر، لذلك يمكن أن نقول إن بينها ترابطا عضويا وثيقا. ويمكن أن نعدد من أنواعها:

أولا: الرسائل اللغوية وكتب الغريب:

يتخذ هذا النمط من أنواع التأليف المعجمية خاصية تميزه عن غيره من التأليف في كونه؛ إما خاصا بمتن مثل كتب الغريبين، أو خاصا بموضوع مثل رسائل الموضوعات، أو جامعا لنمط من الوحدات المعجمية مثل كتب النوار والفرق. غير أن السمة الدقيقة التي تميزها عن باقي التأليف المعجمية هي غياب مكون من مكونات الصناعة المعجمية هو مكون «الترتيب»، وإنما اقتصر على مكوني: «المواد» و«التعريف».

ثانيا: المعاجم العامة:

تحدد الصفة «العامة» هذا الصنف من المعاجم عن غيره؛ ذلك بأنه «يحاول تغطية أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة، [...] ويجب أن تكون جميع فروع المعرفة ممثلة في المعجم العام، كما ينبغي أن تستطلع مقدما الكتب والمجلات التي يقرؤها أولئك الذين يهدف المعجم إلى خدمتهم لتتخذ مصدرا تستقي منه مفردات ذلك المعجم»²⁴.

ولا تقتصر مادة المعجم العام على الوحدات المعجمية العامة التي تشترك بين أعضاء المجموعة اللسانية، بل ينبغي أن ترد فيه المصطلحات العلمية جنبا إلى جنب مع هذه الوحدات المعجمية

العامة؛ ذلك بأنه «لا خلاف في أن المصطلحات العلمية والتقنية جزء هام من الرصيد اللغوي الذي يستعمله الإنسان المعاصر، ويحتاجه التلميذ لفهم الدروس في المواد العلمية والتقنية، وللتعبير عن الأغراض المتصلة بذلك في الحياة اليومية، لذا وجب أن يحتل هذا الصنف من المفردات المكان اللائق به في المعاجم اللغوية العامة دون أن تتحول إلى معاجم متخصصة»²⁵. وبتعبير آخر، فإن «للمصطلح دورا فعالا أيضا في إثراء الرصيد اللغوي للمتعلم من خلال اطلاعه على ما يستحدث من ألفاظ وكلمات حضارية، ولا يمكن إبعاد لغة اصطلاحات العلم عن اللغة وعن الثقافة العامة، كما أن المعجم اللغوي العام لا يمكنه إهمال المصطلحات العلمية؛ لا سيما تلك التي خرجت من دائرة الاختصاص الضيق إلى دائرة التداول، وبخاصة في الصحف والمجلات الراقية، وكذا البرامج التعليمية؛ فهناك تسرب دائم من المعاجم الخاصة إلى المعاجم العامة»²⁶.

ويصطبغ التعريف في المعجم العام بصيغة خاصة، ترمي إلى رصد الدلالات المشتركة بين أعضاء المجموعة اللسانية، والتركيز على الجانب اللغوي لا الشئني في الوحدة المعجمية، يقول الدكتور عبد العلي الودغيري: «... فليست تعريفات القاموس المختص في ألفاظ علم من العلوم أو ميدان من الميادين هي نفسها تعريفات القاموس اللغوي العام. [...] وبعبارة أخرى، إن

24 - د. علي القاضي، علم اللغة وصناعة المعجم، جامعة الملك سعود، ط 2، 1991، ص: 46.

25 - الهادي بوحوش، من قضايا المعجم المدرسي، مجلة المعجمية - تونس، ع/ 3، 1987، ص: 83.

26 - عبد النور جمبي، المصطلح العلمي والألفاظ الحضارية في المعجم المدرسي، مجلة اللسانيات (تصدر عن مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - الجزائر)، ع/ 16، 2010، ص: 179-178.

الذي يميز طريقة تناول قاموس اللغة (للشيء) عن طريقة القواميس المختصة والموسوعات العلمية، هو أن الكتاب الأول يتناوله بالدرجة الثانية؛ لأنه لا يصل إليه إلا عن طريق اللفظ، [...] ولهذا لا يعول عادة على القواميس اللغوية في معرفة الأشياء معرفة علمية دقيقة»²⁷.

وتتخذ المعاجم العامة أشكالاً مختلفة؛ تختلف باختلاف أحجامها والغايات التربوية المتوخاة من ذلك، فهي تنقسم إلى:

- المعاجم الشاملة، وهي المعاجم الكبيرة التي تحتوي على أكبر مخزون ممكن من الوحدات المعجمية العامة وكذا الخاصة.

- المعاجم المتوسطة، وهي التي تأتي في مرحلة دون ذلك في شموليتها. ويعتبر «المعجم الوسيط» نموذجاً لها.

- المعاجم الموجزة، وهي التي تأتي مختصرة في مادتها وتعريفها، وما تسمية «المعجم الوجيز» إلا لدخوله في دائرة هذا الصنف.

غير أنه إذا كان اختلافها يتجلى أساساً في كبر حجمها وشموليتها من عدمها، فإن لنسبة المصطلحات فيها دوراً أيضاً في ذلك التحديد؛ «فقد قدر اللغويون هذه النسبة بما لا يقل عن 40% في المعاجم الشاملة، أما في المعاجم المتوسطة والموجزة فتتراوح النسبة بين 25 و 35%»²⁸.

-ثالثاً: المعاجم الخاصة:

تعكس صفة «الخاصة» ما تذهب إليه المعاجم الخاصة من اختصاص في المجال أو العرض أو الغاية؛ ذلك بأن مجال اشتغاله محدد، حيث «يعالج المعجم المختص قسماً واحداً من تلك المفردات يختص بأحد فروع المعرفة»²⁹.

ومن ناحية مادته فلا يورد المعجم الخاص «إلا مصطلحات العلم المخصوص به؛ ما كان منها في حوزته لفظاً ومعنى أورده كلياً، وما كان منها مشترك الدلالة بينه وبين الرصيد العام أتى من معانيه بالذي هو اصطلاحى في عرف المختصين لا غير»³⁰.

أما من ناحية المعلومات أو التعريف فإن المعجم الخاص «يضع الشيء في الاعتبار الأول واللفظ في الاعتبار الثاني، ولهذا [...] لا يعول على الكتب العلمية المتخصصة في معرفة اللغة»³¹.

وتدخل تحت وصف «الخاص» في المعجم الخاص أنواع ثمانية من المعاجم ليست منحصرة في قسم واحد من مختص بأحد فروع المعرفة، غير أنها تشترك معه في تقييده واتباع منهجية تأليفه طريقة خاصة، أمكنها أن تدخله تحت هذا الصنف. ونقصد بذلك:

- المعاجم المدرسية، وهي معاجم ذات طبيعة في التأليف خاصة، لكونها تستهدف جمهوراً معيناً مثلما تستهدف المعاجم الخاصة

جمهور معيناً (المتخصصين)، وبما أن الجمهور المستهدف في المعاجم المدرسية ذو خصوصية حرجية، تنبع من قدراته الإدراكية والمعرفية والعقلية، كان على المعاجم الموجهة إليه أن تكون مدروسة ومراعية في إعدادها كل الجوانب التي يمكن أن تساعد على تحقيق وظيفتها.

ابتداءً من مادتها، فلا تحتل مادة المعجم المدرسي الحشو واللاوظيفي (الغريب الذي لم يعد مستعملاً) من الوحدات المعجمية.

أما من حيث المصطلحات فمن المفترض «أن تتعدد المصطلحات في المعجم المدرسي باعتبار أن هذا الأخير ليس معجماً خاصاً باللغة فحسب، بل هو مُعدّ ليعود إليه التلميذ في جميع المواد كالعلوم الطبيعية، الجغرافيا، الرياضيات... مع تحري الحاجات، فلا نعطي أكثر مما يحتاج، ولا ندخل في تفاصيل وتعقيدات هو في غنى عنها»³².

ومن خصوصية المعجم المدرسي كذلك اهتمامه بأسماء الأعلام والأماكن؛ إذ تزيد في ثقافة الطفل وتوسع مداركه في العالم من حوله وفي التاريخ الإنساني، وتأصيلاً لذلك فقد كانت «فكرة إدخال المعلومات الموسوعية في معاجم اللغة العامة قديمة نسبياً؛ إذ عمل بها المعجميون في القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين. غير أن اللسانيين المحدثين من ذوي التوجه البنيوي رأوا ضرورة استبعادها من

27 - د. عبد العلي الوديعي، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي، منشورات عكاظ، الرباط - المغرب، ط1، 1989م، ص: 291-294.

28 - عبد النور جعبي، المصطلح العلمي والألفاظ الحضارية في المعجم المدرسي، مرجع سابق، ص: 179.

29 - د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، مرجع سابق، ص: 46.

30 - د. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، ص: 92.

31 - د. عبد العلي الوديعي، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي، مرجع سابق، ص: 294.

32 - صونية بكال، مادة المعجم المدرسي بين المأمول والواقع، مجلة اللسانيات (تصدر عن مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - الجزائر)، ع/ 16، 2010، ص: 80.

الناس في حديثهم ثم يحولها العلماء المختصون إلى دلالات نوعية بحسب اهتماماتهم، وفي هذه الحال يكون القاموس ذا منزع موسوعي³⁶.

أما من ناحية المعلومات المقدمة فإن المعجم الموسوعي يختلف في هذه عن المعجم العام، يقول الدكتور عبد العلي الودغيري: «إن الذي يميز طريقة تناول قاموس اللغة (للشيء) عن طريقة القواميس المختصة والموسوعات العلمية هو أن الكتاب الأول يتناوله بالدرجة، لأنه يصل إليه عن طريق اللفظ، أما الكتاب الثاني فهو عكس ذلك؛ يضع الشيء في الاعتبار الأول واللفظ في الاعتبار الثاني»³⁷.

ونشير هنا إلى أن المعجم الموسوعي ليس «الموسوعة»، رغم أنهما يشتركان في اشتغالهما على معلومات موسوعية، لكنها «تجتمع تحت موضوعات عامة في الموسوعة، ونجدها موزعة تحت عدد كبير من المداخل المتصلة بها في المعجم الموسوعي. ويزعم بعض الناس أن توزيع المواد الموسوعية تحت المفردات والعبارات يجعل كل بند من بنود المادة الموسوعية في متناول أيدينا بصورة أيسر مما عليه الحال في الموسوعات. وهناك فرق آخر بينهما، هو أن المعجم الموسوعي يقدم المعلومات بإيجاز أكثر مما تقدمها الموسوعات الكاملة»³⁸.

ويفرق الدكتور محمد رشاد الحمزاوي بين المعجم الموسوعي والموسوعة

الذين صنفوا معجمات ثنائية اللغة أن تضمين المواد الموسوعية يساهم في زيادة فائدة المعجم وقيمه³⁴. غير أنها مع اشتراكها مع المعجم المدرسي في بعض الصفات فإنها تبقى ذات طبيعة خاصة، تجلت في تعدد اللغات.

رابعاً: المعاجم الموسوعية:

ويمكن أن نعرفها في أحد جوانبها بأنها حاصل الجمع بين المعجم العام والمعجم الخاص، ولها خصائصها المميزة لها؛ «فقد ذكر «معجم القرن الذي يعد أول معجم موسوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، والثالث من نوعه في العالم الناطق بالإنجليزية، ثلاث خصائص تمتاز بها المعلومات الموسوعية، وهي: أ- اشتغالها على أسماء الأعلام، من أشخاص وأماكن وأعمال أدبية. ب- تغطيتها لجميع فروع المعرفة. ج- معالجتها للحقائق معالجة شاملة»³⁵.

وتقترب خاصية الموسوعية عند بعضهم بالمصطلحات، يقول الدكتور عبد السلام المسدي: «... فقاموس الرصيد المشترك في لغة ما بوسعه أن يحوي المصطلحات العلمية التي تتداولها في تلك اللغة مختلف المعارف، سواء في ذلك المصطلحات التي يُعرف لفظها في سياق غير السياق العلمي، أو التي يستعملها

المعاجم لأنها ليست من مكونات اللسان، وهكذا استبعدت أسماء الأعلام والأماكن من المعاجم اللغوية العامة لفترة طويلة، ثم ظهر الاهتمام بها من جديد في السنوات الأخيرة لدى مؤلفي المعاجم المدرسية، مع تنبيههم إلى عدم المزج بين متن المعجم وهذا النوع من الأسماء حتى لا يلبس الأمر عند الناشئة»³³.

- المعاجم الثنائية اللغة، أو المتعددة اللغات، وهي أيضاً معاجم من نوع خاص، تشترك مع المعجم الخاص في كونها تسلك طرقاً في معالجتها للغة خاصة.

وإذا كانت لا تقتصر على مجال من المعلوم محدد فإنها تقتصر على اللغتين/ اللغات التي تترجم منها أو إليها، ما يعطي لها شرعية الدخول في دائرة وصف «خاص».

وهي حين ننظر إليها من زاوية الوظيفة التربوية يمكن أن نجدها داخلية في دائرة المعجم المدرسي، ولذلك تشترك معه في كل صفاته بما فيها أسماء الأعلام والمعلومات الموسوعية، يقول الدكتور علي القاسمي: «... ولكن على قدر ما يتعلق الأمر بالمعجمات الثنائية اللغة، فإننا نرى أنها يجب أن تشتمل على أسماء الأعلام والمفردات الحضارية الأخرى، [...] وتدلنا التجربة على أننا غالباً ما نطلب المعلومات الموسوعية ذات الصلة باللغة الأجنبية في المعجمات الثنائية اللغة. [...] ولقد أدرك اللغويون

33 - الطاهر ميلة، مواصفات المعجم المدرسي المعاصر، مجلة اللسانيات (تصدر عن مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - الجزائر) ع/ 16، 2010، ص: 27.

34 - د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، مرجع سابق، ص: 44-45.

35 - المرجع السابق، ص: 43.

36 - د. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، مرجع سابق، ص: 92.

37 - د. عبد العلي الودغيري، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي، مرجع سابق، ص: 294.

38 - د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، مرجع سابق، ص: 43-44.

المصادر والمراجع:

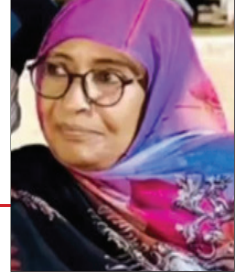
- ابن الأثير (544-606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية.
- أحمد شفيق الخطيب، القواميس فن وعلم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد/78.
- الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مراجعة: محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج1.
- أمجد الطرابلسي، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ط2، 1956، ج1 (اللغة والأدب).
- الشيباني أبو عمرو، كتاب الجيم، تحقيق: إبراهيم الأنباري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1974، ج1، المقدمة.
- صونية بكال، مادة المعجم المدرسي بين المأمول والواقع، مجلة اللسانيات (تصدر عن مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - الجزائر)، ع/16، 2010.
- الطاهر ميله، مواصفات المعجم المدرسي المعاصر، مجلة اللسانيات (تصدر عن مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - الجزائر)، ع/16، 2010.
- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب.
- عبد العلي الودغيري، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي، منشورات عكاظ، الرباط- المغرب، ط1، 1989م.
- عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي: نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1986.
- عبد الله علي الفضلي، القواميس والمعاجم اللغوية في الفكر العربي الإسلامي: دراسة في النشأة والتطور، مجلة جذور، الجزء 27، المجلد 11.
- عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق.
- عبد النور جميعي، المصطلح العلمي والألفاظ الحضارية في المعجم المدرسي، مجلة اللسانيات (تصدر عن مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - الجزائر)، ع/16، 2010.
- عطا الله بوخيرة، كتاب الفرق للأصمعي وتراث الفرق في العربية، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية، عدد 12، 2016.
- علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، جامعة الملك سعود، ط/2، 1991.
- محمد رشاد الحمزاوي، معجم المصطلحات المعجمية العربية: مقاربة تاريخية واجتماعية ولسانية، مجلة المعجمية - تونس، (7 - 13)، ع/2، 1986.
- الهادي بوحوش، من قضايا المعجم المدرسي، مجلة المعجمية - تونس، ع.3، 1987.

باعتباره الأول (+ أشياء،
+ لغة)، والثاني (+ أشياء، -
لغة)³⁹.

خاتمة:

نخلص مما سبق أن التأليف المعجمي عند العرب مرّ بعدة مراحل، اتسم في كل مرحلة من هذه المراحل بسمات شكلت مجتمعة محطة أمكنت ملاحظتها، وتقوم هذه المحطات على أهداف في الغالب تكون ترجمة لنزعات سائدة من فترة إلى فترة، وقد حصّنا هذه المحطات في خمس محطات، تقوم كل واحدة منها على أنقاض سابقتها، هي: محطة الجمع، ومحطة التهذيب، ومحطة الموسوعية، ومحطة التبسيط، ومحطة الاحتواء. وقد تنوعت في سبيل ذلك التأليف المعجمية لتقوم بتأدية الأدوار المنوطة بها وتحقق الأهداف المرجوة منها، فجاءت في أربعة أنواع، هي: الرسائل اللغوية وكتب الغريب، والمعاجم العامة، والمعاجم الموسوعية.

39- د. محمد رشاد الحمزاوي، معجم المصطلحات المعجمية العربية: مقاربة تاريخية واجتماعية ولسانية، مجلة المعجمية - تونس، (7 - 13)، ع/2، 1986، ص: 11.



اللغة العربية ومخاطر اللحن ومزالق التصحيف (وقفات مع مستويات التعريف والتأصيل والتطبيق)

والمحدثين، وكذا الرواة والشعراء، مستطريدين أمثلة من الأخطاء الشائعة في استعمالنا اليومية.

أولاً: الأسس والمنطلقات

وفي هذا المستوى نعرض لمسألتين، أولاهما تعني باستنطاق العنوان، وثانيتهما تعني بتأصيل الموضوع.

أ- العنوان / القراءة والتحليل:

نشير هنا إلى أن اللحن يطلق في اللغة على معان عدة منها: الغناء وترجيع الصوت، ومنه قول الشاعر:

وهاهنا بشجو بعد ما سجت

ورق الحمام بترجيع وإرنا

باتا على غصن بان في ذرا فني

يرددان لحونا ذات ألوان¹.

ومنها التورية، ومن شواهد قول القتال الكلابي:

لقد لحت لكم لكي ما تفهموا

ووحيت وحيا ليس بالمرتاب².

ومن هذه المعاني: اللهجة الخاصة، ومن شواهد:

قوم لهم لحن سوى لحن قومنا

وشكل وبيت الله لسنا نشاكله³ ومنها فحوى القول ومنه: قوله تعالى ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾.

أما اللحن في الاصطلاح: فهو الخروج عن مألوف القواعد المتعارف عليها

وغير دلالات الكلم عن فحواه، فتحول من المقصود إلى نظيره، فقد اعتنى العلماء منذ القديم بتصريح الألفاظ، وتقويم الألسنة، فأحاطوا الألفاظ بسياج من الضبط منيع، فاخترعوا إعجام الحروف وشكلها، حرصا على الدقة والتحري، وحفظا للقرآن والحديث، وصيانة للشعر واللغة عموما.

فماذا عن مفهوم اللحن والتصحيف في اللغة والاصطلاح؟ وكيف سرت هذه الأخطاء الخطيرة إلى لغة العرب؟ وما مظاهر تلك الانحرافات والتجاوزات اللغوية بالنسبة للنصوص المقدسة، والتراث العربي؟ وكيف تصدى علماء المسلمين وحكمائهم لهذا الخطر المحدق بلغتهم التي هي رمز هويتهم، وإرثهم المقدس؟

ذلك ما سنتناوله في هذا الجهد من خلال ثلاثة محاور، نعرض في أولها لدلالة هذه الوحدات المعجمية التي تربطها وشائج القربى (اللحن والتصحيف والتحريف)، ونتناول في ثانيها أسباب ظهور تلك الأخطاء اللغوية، مبرزين جهود العلماء في محاربتها، فيما نخصص ثالث هذه المحاور لمظاهر اللحن والتصحيف، من خلال نماذج من الأخطاء اللغوية التي وردت على ألسنة بعض القراء

يسعى هذا الجهد إلى الكشف عن جانب من مخاطر اللحن ومزالق التصحيف، خاصة في هذا العصر الذي ضعفت فيه الملكات اللسانية، وغابت السليقة فكثرت الأخطاء اللغوية، وانتشر التصحيف، فأردنا في هذا العمل أن نسوق نماذج من إصلاح المنطق؛ وتقويم اللسان لشدة الحاجة إلى ذلك في هذه الأيام، إذ انصرف الناس عن الفصاحة والبيان، وأقبلوا على اللوثات الأعجمية واللهجات الشعبية.

ويحسن التذكير في هذا المقام أن اللغة العربية لغة إعراب، بمعنى أن الإعراب فيها يبين عن المعاني، ويكشف عن الدلالات، وكل تجاوز له كفيلا بأن يشوش العلاقة بين المتكلم والمخاطب، ويعرقل التواصل بين المتحاورين، فتبقى الرسائل معطلة غير مفهومة، فالخطيب الذي يلحن أو يصحف يكون قد ضل السبيل، فالتبست عليه أكثر أموره، بل يمكن القول إنه قد أضل عنوان جمهوره، فإعراب القول وتفصيح البيان يعد من أبرز أسباب الاحمة بين أبناء الأمة، ومن أكد أواصر الانسجام اللغوي بين المتحدثين من أبناء الأمة وأفراد المجتمع. ولما كان الخطأ في اللغة يحرف الكلم عن مواضعه، بل ربما قلب المعنى رأسا على عقب،

1 - للسان مادة لحن

2 - للسان مادة لحن

3 - التبيه على حدوث التصحيف ص: 7

عند النحويين، ويمكن أن نميز بين نوعين من اللحن هما: اللحن العام، واللقن القاعدي، فاللقن العام هو ما خالف القواعد النحوية، وخالف السماع، أما اللحن القاعدي فهو ما خالف القواعد النحوية وإن شفع له سماع من لغة العرب.

أما التصحيف فهو: مصدر صحف يصحف الكلمة إذا أخطأ في قراءتها في الصحيفة لاشتباه الحروف، وقد عرفه حمزة بن الحسن الأصفهاني بأنه «قراءة الشيء بخلاف ما أراد كاتبه، وذلك أن قوما أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء، فكان يقع فيما يروونه التغيير فيقال عندها: قد صحفوا فيه»

والتحريف في اللغة: العدول بالشيء عن جهته، وقد يكون بالزيادة فيه كما قد يكون بالنقص منه، أو بتدليل بعض كلماته، أو جعله على غير المراد منه، قال تعالى: «يحرّفون الكلم عن مواضعه» وبذلك يكون التحريف أعم من التصحيف.

وربما وجد من علماء اللغة والحديث من يخلط بين مصطلحات (الخطأ، الغلط، التصحيف، التحريف) فابن قتيبة والخطابي يطلقان: (غلط المحدثين) ويطلق العسكري: (تصحيفات المحدثين) بينما استخدم ابن الصلاح: (تحريف المحدثين)، وقد حاول العسكري وضع كل الخطوط الفاصلة بين مصطلحي التصحيف والتحريف، فبين أن التصحيف خاص بالنقط المتشابهة، ومثل له بتبديل الغدر بالعدر، والخطب بالخطب، والعدل بالعدل، والعتب بالعتب.... وزاد العسكري

أن التصحيف هو ما لم تتغير معه الصيغة الصرفية، والتحريف هو ما تغيرت معه الصيغة الصرفية. وقد أشار جلال الدين السيوطي إلى التفريق بين المصطلحين بقوله: والعسكري صنف في التصحيف والدارقطني أيما تصنيف

فما يغير نقطه مصحف أو شكله لا أحرف محرف⁴

ب- الموضوع المعالجة والتأصيل

وقبل البدء في تأصيل هذا الموضوع نذكر بأن جزيرة العرب بعد أن أشرقت بنور ربها أصاب الحياة العربية انقلاب عميق نتج عنه تحول حاسم في بنية المجتمع العربي على مختلف مناحي الحياة، الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية بين غروب الشمس ووجه النهار، ولما بشرتهم رسالة السماء بحياة كلها خير وضياء، وأنارت لهم الطريق نحو مستقبل مشرق، شرح الله صدورهم للإسلام فدخلوا في دين الله أفواجا،

وتحملوا المسؤولية التي حملهم إياها الدين الجديد، والمتمثلة في نشر الدين الحنيف الذي اختار الله له رجلا من أنفسهم.

وإذا كان الله قد أعز العرب بإظهار رسالته السماوية على يد رجل من العرب، «داعيا إلى الله بأمره وسراجا منيرا» فإنه قد أعزهم ثانية بأن أنزل القرآن الكريم «بلسان عربي مبين»، فكان نزول القرآن الكريم بلغة هؤلاء العرب من أبهر المعجزات التي أفحمتهم فهي لسانهم بالفطرة والتلقائية، وهم رغم ذلك لا يقدرّون على «أن يأتوا بمثل هذا الكتاب ولو

كان بعضهم لبعض ظهيرا» فحملوا الدعوة التي حملوها إلى الفرس والروم وغيرهم...

ولم تلبث تلك الأمم والشعوب أن لبثت الدعوة، فأمنت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فكان من الطبيعي أن تنتشر اللغة التي خاطب الله بها العالمين، لغة دستور الإسلام، فأخذت هذه الأمم الأعجمية المغلوبة تتلقف لغة الدين الجديد، وجدت في تعلمها وتعليمها على مستوى الكتابة والإنجاز، وأصبحت لغة التواصل والتخاطب فكان من البدهي أن يتسرب إلى هذه اللغة بعض الأخطاء على مستوى النطق أثناء الكلام من لدن أولئك الأعاجم، فسرت حتى إلى كتاب الله المحفوظ أثناء تلاوته وتعلمه، فوقف المسلمون في وجه هذه الظواهر مبكرا، فقد عد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحن انحرافا عن الصواب فقال وقد لحن أحدهم بحضرته: «ارشدوا أذاكم فقد ضل⁵»، كما نرى الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضي الله عنه يعتبر اللحن في القراءة أعظم من من تجاوز بعض الكلمات يقول: «لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن»، وقد أصدر عمر الفاروق أوامره أن لا يقرئ القرآن إلا عالم بالعربية، ونصل إلى أمير المؤمنين على رضي الله عنه الذي عايش بؤادر اللحن والتصحيف، وواجههما بعزم وحزم مسهما بجدية في تأسيس علم النحو، ووضع لبناته الأولى، وعلى عهد عمر بن عبد العزيز يصبح اللحن مسبة وعقبة كأداء تمنع صاحبها قضاء حاجته، فيذكر أن هذا الأموي كان يقول: «إن الرجل ليكلمني في الحاجة

4 - معرفة أنواع الحديث
5 - كثر الحال: 28/9 من حديث ابن زياد.



الإسلام، ولو قطع اللسان العربي لتفرق العرب والمسلمون، وحيل بينهم وبين الكتاب العزيز والتراث العريق، وبالمقابل فإنه إذا تحقق الازدهار للغة الفصحى فإن الأمة العربية الإسلامية تكون قد وضعت أقدامها على بداية الطريق لعزة عالية ومستقبل كريم.

وكان من نتائج جهود علماء اللغة والشريعة أن تراجعت ظاهرة التصحيف، إلا أنها لم تختف، ربما لأسباب تعود إلى بنية الأبجدية العربية نفسها، فهناك أحرف تشترك في الصورة، لا يميزها إلا الإعجام، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات:

* المجموعة الخماسية (ب ت ث د ذ هـ).
* المجموعة الثلاثية: (ج ح خ).
* المجموعة الثنائية: (د ذ، ر ز، س ش، ص ض... وهكذا).

ومعلوم أن وضع النظام الصوتي أي الضبط لم يكتمل إلا مع الخليل بن أحمد، ولم يتم الالتزام به إلا في القرن الخامس الهجري. بل ربما وجد من يرى أن الالتزام بتلك الضوابط نوع من القبح في شخصية المكتوب إليه، وأنه دون المكانة العلمية التي تؤهله لأن يفك رموز الأبجدية العاطلة من تلك الضوابط، وقد استمرت تلك الظاهرة حتى العصر العباسي، فنجد أبا نواس يعاتب من كتب إليه معجما ومعربا:

يا كاتباً كتب الغداة يسبني
من ذا يطيق براعة الكتاب
لم ترض بالإعجام حين كتبت
حتى شكلت عليه بالإعراب
لو كنت قطعت الحروف فهمتها
من غير وصلهن بالأنساب⁶
وللعباس بن الأحنف في نفس السياق:

لهذه الحضارة الفتية من استخدام الكتابة لبناء صرح ثقافتها ومدنيتها، الشيء الذي جعلهم يواجهون تحدياً آخر وبحددة، ذلك أن الكتابة العربية في العصر الجاهلي وبداية القرن الأول الهجري لم تكن حروف أبجديتها ترسم كما يرسمها علماء القرن الثاني الهجري ومن بعدهم، كما كانت خالية من الشكل والإعجام، فكانت تلتبس عليهم الحروف فيحدث ما يسمى بـ «التصحيف» وهي ظاهرة لم ينج منها إذ ذاك إلا ذو حظ عظيم.

فاهتم علماء اللغة والفكر والشريعة وكذا حكام المسلمين بهذا الأمر، وأحسوا بخطره على الرسالة الإسلامية المقدسة، وعملوا على تحسين طريقة الرسم، منبهين إلى ضرورة المشافهة عند تلقي العلم، يحدوهم إلى ذلك أن مهمة الدفاع عن اللغة العربية وإن كانت مسؤولية قومية لكونها لغة الآباء والأجداد وسجل تراثهم الفكري المجيد، فهي أكثر من ذلك مسؤولية دينية، فالعربية هي الرباط الوثيق بين العرب والمسلمين في مناكب المعمورة، وهي خط الدفاع الأول عن

يستوجبها، فيلحن فأرده عنها وكأنني أقضم حب الرمان الحامض لبغضي سماع اللحن، فيكلمني آخر في الحاجة، فيعرب، فأجيبه إليها التذاذا لما أسمع من كلامه، وقد روي أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول: «لعلم العربية هو الدين بعينه»

وقال عبد الملك بن مروان: «ما الناس إلى شيء من العلوم أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم التي بها يتحاورون الكلام، ويتهادون الحكم، ويستخرجون غوامض العلم من مخابثها».

وقال الزهري: «ما أحدث الناس مروءة أحب إلي من تعلم النحو، فإنك لن تتعلم منه باباً إلا تدرعت من الجمال جلباباً».

كما انبرى أساطين اللغة لصد اللحن ومحاربتة، ألفوا وصنفوا مؤلفات وتصانيف تتناول ظاهرة اللحن بالدراسة والتحليل، وتنبيه إلى أخطارها بوصفها ظاهرة لغوية طارئة على لغة العرب، كان من ورائها الأعاجم والمستعربون من المسلمين. ولما أخذ المسلمون يؤسسون دعائم دولتهم الحديثة بمصالحها الدينية والاجتماعية والاقتصادية كان لابد

مخلوق، وقد جعلت خالق الأشياء مخلوقاً»⁸.

ب- التصحيفات المرتبطة بقراءة الحديث الشريف

تجدر الإشارة إلى أنه قد حصل لبعض المحدثين أوهام في رواية الحديث، بعضها وقع في السند وبعضها متعلق بالمتن، وذلك بسبب تشابه في أسماء الأعلام، كما في سلام وسلام، عقيل وعقيل و شريح و شريح، حرام و حزام، عبيدة وعبيدة، قال بعض العلماء: أشد التصحيف التصحيف في الأسماء لأن القياس لا يدخلها، وليس قبلها ما يدل عليها. وكما يقع التصحيف في الأسماء فإنه يقع كذلك في الكنى كما في: أبي الجوزاء وأبي الحوراء... ويقع في النسبة إلى القبائل والبلدان كتصحيف العنسي بالعنسي والتغلبى بالتغلبى وربما وقع التصحيف في النسبة إلى الصناعات على نحو ما يقع بين الخزاز والخرز والجزار أو بين البزاز والبزار أو بين الرجال والرحال أو بين الخياط والحناط... وقد تصحف النسبة إلى القبائل بالنسبة إلى البلدان كما في النضري والبصري والشيباني والسينائي، كما تلتبس النسبة إلى البلدان بالنسبة إلى الصناعات مثل تشابه الغزالي بالغزال.

ولا بأس أن نذكر في هذا السياق ما تذكره المصادر من أن امرأة عازت بقبر غالب أبي الفرزدق وكان مشهوراً بعقته للمؤودات في الجاهلية، ولما استطلع الفرزدق خبر المرأة علم أنها تريد منه أن يعمل على إعادة ابنها

للتفكير في تععيد النحو. ومن تلك التجاوزات ما تذكره المصادر من أن أحدهم قرأ «ويل يومئذ للمكذبين» صحفها بفتح الذا ل فقل له ويلك المكذبون هم الأنبياء. ويذكر أن عثمان بن أبي شيبة كان يقرأ «واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان» يقرأها بكسر الباء لتصبح فعل أمر باتباع الطاغوت (اتبعوا).

وقرأ أحدهم «إنما يخشى الله من عباده العلماء» بضم الهاء من اسم الجلالة، و ذكر العسكري أن حمزة الزياة إنما لقب بهذا اللقب لأنه كان يقرأ « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه» يصحفها فيبدل الراء زاي (لا زيت فيه) وذكر أن عثمان بن أبي شيبة كان يقرأ «جعل السقاية في رحل أخيه» فيبدل الحاء جيما لتصبح في رجل أخيه كما قرأ فإن لم يصبها وابل فظل مصحفا بها «فإن لم يصبها وابل فطل»، و نقل عن بعض القراء أنه جمع عدة تصحيفات منها: من الشجر و مما تغرسون مصحفا بها «ومن الشجر ومما تعرشون» والغاديات صبحا مصحفا بها «والعاديات صبحا»، وعذابي أصيب به من أساء مصحفا بها «وعذابي أصيب من أشياء»، فاستعانه الذي من شيعته مصحفا «فاستعانه الذي من شيعته».

كما روى حمزة الأصفهاني أن عبد الله بن أحمد بن حنبل تقدم قوما يصلي بهم فقراً: «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق» قرأها بضم الخاء (خلق) فبنى للمجهول ما هو للمعلوم فقال له أحدهم: «أبوك ضرب بالسياط لأنه قال إن كلام الله

فإذا الذي كتب الكتاب يسبني فبالغ في الكتاب وأعجما ماذا أردت _ هديت _ في إعجامة إني أراك حسبتني لن أفهما⁷

ثانياً: مخاطر اللحن والتجاوزات اللغوية

وضمن هذا المحور نعرض لعدة مستويات، نوضحها تباعاً فيما يلي: أ- التصحيف المرتبط بتلاوة القرآن الكريم.

لقد اجتهد المسلمون في حفظ كتاب الله الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» فاتخذوا كل الاحتياطات لضبط الفاظه أثناء التلاوة بتلقيه عن طريق التواتر والسماع، كما حرصوا على حفظه أثناء الكتابة. وبالرغم من كل الإجراءات والاحتياطات فقد احتفظت المصادر ببعض الانحرافات والتجاوزات الخطيرة التي تنسب لبعض القراء، من ذلك أن أعرابياً قدم المدينة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال من يقرئني مما أنزل على محمد؟ فأقرأه رجل سورة (براءة) « وأذان من الله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » قرأها بكسر اللام من رسوله، فقال الأعرابي: (إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبراً منه) فبلغ ذلك عمر فدعاه، وقال له: ليس هكذا يا أعرابي، فقال الأعرابي: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: «أن الله بريء من المشركين ورسوله» بالرفع، فقال الأعرابي: وأنا أبراً ممن برئ الله ورسوله منهم. فأصدر عمر أوامره أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة العربية، وكانت تلك الحادثة من الأسباب المباشرة

7 - المصدر السابق ص: 80

8 - التنبيه على حدوث التصحيف، ص: 4

الضوابط الإملائية مما يعرض النص المكتوب للتصحيف والتحريف، كما أن الرواة يتعرضون للوهم أو النسيان، وربما أبدل أحدهم كلمة بأخرى مرادفة لها، أو حرفا بحرف، أو غير شطرا كاملا من البيت، فقد ذكر أحد الدارسين روايات مختلفة لبيت امرئ القيس وردت في مصادر متعددة منها:

عوجا على الطلل المحيل لعنا
نبكي الديار كما بكى ابن حمام
فهناك من روى:

عوجا على الطلل المحيل لأننا
نبكي الديار كما بكى ابن حذام
ومنهم من روى:

يا صاحبي قفا النواجع ساعة
نبكي الديار كما بكى ابن حزام
وقد روى صاحب الجهرة:
عوجا خليلي الغداة لعنا

نبكي الديار كما بكى ابن حذام
كما روى صاحب المؤتلف والمختلف:
عوجا على الطلل العميل لعنا
نبكي الديار كما بكى ابن حذام

وهكذا تعرض هذا البيت للتحريف، فتعددت رواياته، كما تعرض اسم (ابن حذام) للتصحيف والتحريف بين (حذام - حمام - حزام - حزام).

وقرأ المؤدب على أبي العباس أحمد بن يحيى قول الأعشى:

فلو كنت في حب ثمانين قامة
ورقيت أسباب السماء بسلم
فقال أبو العباس: خرب بيتك هل رأيت حبا قط ثمانين قامة؟ إنما هو (في حب)

ومن التصحيفات التي تعرض أصحابها للسخرية، ما وقع من

الكميت:
علام نزلتم من غير فقر
ولا ضراء منزلة الحميل.
وروى أحدهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النوم في القدر، مصحفا بها نهى عن الثوم في القدر. وقد سخر أبو العيناء من أحد مشايخ الحديث قرأ «عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عن رجل فقال أبو العيناء من الذي يصلح أن يكون شيخا لله؟ فإذا هو «عن جبريل عن الله عز وجل «ومن التصحيفات الطريفة ما حكاه يحيى ابن بشير قال: جاء رجل إلى بشر بن سعد فقال: كيف حدثك نافع عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي نشرت في أبيه القصة؟ فقال الليث ويحك إنما هو «الذي يشرب في أنية الفضة».

ج- التصحيفات المتعلقة برواية الشعر العربي:

نذكر هنا أن الشعر ديوان العرب وسجل تراثهم، وكان الاعتماد فيه على الرواية الشفهية، مما جعله ينال نصيبه الأوفر من التصحيف والتحريف، بل من النسيان والضياع، شأنه في ذلك شأن باقي العلوم والأخبار التي نقلت عن العرب، يقول أبو عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير¹⁰».

ثم إن التدوين في العصر الإسلامي الأول قد شمل الشعر العربي إلى جانب القرآن الكريم والسنة المطهرة، وغيرهما من أخبار العرب وأيامها، وكما أسلفنا فإن الكتابة في العصر الإسلامي الأول ظلت معطلة من

الجندي إليها من بلاد السند والتي مكث في ثغورها مدة طويلة بأمر السلطان (تميم بن زيد القيني) فكتب الفرزدق إلى هذا الأخير:
كتبت وعجلت البرادة إنني
إذا حاجة حاولت عجت ركاها
ولي ببلاد السند عند أميرها
حوائج جمات وعندي ثوابها
أتنتي فعاذت ذات شكوى بغالب
وبالحررة السافى عليه ترابها
فقلت لها إيه اطلبي كل حاجة
لدي فحفت حاجة وطلابها
فقلت بحزن حاجتي أن واحدي
خنيسا بأرض السند خوى سحابها
فهب لي خنيسا واحتسب فيه منة
لحوبة أم ما يسوغ شرابها
تميم بن زيد لا تكونن حاجتي
بظهر ولا يعيا عليك جوابها
ولا تقلبن ظهرا لبطن صديفتي
فشاهدها فيها عليك كتابها.

فما ورد الكتاب على تميم حتى نادى كاتبه وسأله عن خنيس فقال الكاتب: كيف أعرف من لم ينسب إلى أب ولا قبيلة ولا تحققت من اسمه أهو: خنيس أو حبيش أو حنيش فأمره بأن يحضر كل من اسمه هكذا فأحضروا وكانوا أربعين رجلا فزود كل واحد منهم بما يساعده في سفره وقال لهم: اقلوا إلى حضرة أبي فراس⁹.

ومن التصحيفات التي تقع في متن الحديث ما رواه أحدهم من أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في المسجد مصحفا بها احتجر من التميم، كما صحف بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم «لا يورث حميل إلا ببينة» فقال لا يرث حميل إلا بثينة، والحميل هو الدعي قال

9 - المرجع السابق ص: 13
10 - طبقات وفول الشعراء لابن سلام.

تصحيف أحد الرواة لأبيات كعب بن مالك:

قضيئا من تهامة كل نذر

وخبير ثم أعمدنا السيوف

تسائلنا ولو نطقت لقات

قواطعهم دوسا أو ثقيفا

فلست لمالك إن لم نزركم

بساحة داركم منا ألوف

وننتزع العروش عروش وج

وتصبح داركم منا خلوف¹¹.

فصحف الراوي كلمة (العروش) المتكررة في البيت الأخير إلى كلمة (العروش) بعين مفتوحة وسين مهمل، ففيل له: وأي عروش كانت هناك؟ فقال: فكيف يروى؟ ففيل: العروش من قوله تعالى: « خاوية على عروشها »

ونسوق في هذا المقام تصحيف أحدهم لبيت الراعي النميري في وصف المطايا:

وكان يرضها إذا ياسرتها

كانت معاودة الرحيل ذلولا

فرواها: (باشرتها) بباء موحدة وشين معجمة، فسئل: ما معنى باشرتها هنا؟ فأجاب: ركبتها من المباشرة، فرد عليه: إنما هو ياسرتها من المياسرة والملاينة، والبعد عن المعاسرة والقسر، ومنه قول عنترة: إذا يوسرت كانت وقورا أديبة

وتحسبها إن عوسرت لم تؤدب

وقد صحف أحد الرواة قول الشماخ بن ضرار في وصف حمار وحش وأنته:

إذا ما استافهن ضربن منه

مكان الرمح من أنف القروع¹².

فصحف الراوي كلمة (القروع)

فجعلها (القدوع) بالدال، وهو خطأ إذ المقصود بالقروع: الذي لا يزال يقرع ويرد، ومن الأمثال المستحسنة قولهم: «ذلك الفحل لا يقرع أنفه»، وقد تمثل به ورقة بن نوفل حين خطب النبي صلى الله عليه وسلم خديجة، وقيل: تمثله أبو سفيان بن حرب لما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة.

ونطعم هذه التصحيفات المرتبطة برواية الشعر بنماذج من تصحيف القصص والحكايات، فمن ذلك ما رواه أبو العباس المبرد من أن صاحب بريد أصبهان كتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر بأن ينظر في أمر أحد القواد اشتهر بارتدائه (خزجية) وهي كسوة من الخز، وقعوده للنساء في الطرقات، وأنه استهوى كثيرا منهن، فكتب محمد إلى عامله « أن أشخص إلى فلانا وخزجيته ».

فما كان من كاتب عامله إلا أن قرأ «أشخص إلى فلانا وجز لحيته» فجزت لحيته

فلما أحضر عند ابن طاهر، ورأى ما حل به، قال: ما دهك؟ فأخبره، فحلى سبيله، وقال: كفاه بهذه المثلة عقوبة¹³.

ونختم هذا الموضوع بما يروى من أن مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي استضاف رجلا ذات ليلة فقدم له لبنا نزلا، فقال الرجل لما فرغ منه: «خذ اللظافة» فقال مولود: وما اللظافة؟ فقال الرجل «الظافة اللبن، فقال مولود: فمن أين لك ذلك؟ فقال الرجل: هو في القاموس، فقال مولود في عفوية: لعلك تقصد اللظافة اللين.

وفي هذه الحكاية دليل على ما

اشتهر به مولود من سرعة البديهة. وتتوج هذا الجهد بنماذج من الأخطاء الشائعة في استعمالنا اليومية، فلغتنا التي تبقى ببقائها، ونفنى بفنائها قد اعتورتها ألسنة يتبارى أصحابها في ضروب الزيادات الشاذة في بناء الكلمة، والخلط بين الضمائر، غير مباينين بما سنه علماء اللغة والنحو والصرف، وسنورد نماذج من هذه الأخطاء لشيوعها في استعمالنا اليومية، محاولين بيان وجه الصواب فيها؛ ومن هذه الأخطاء قولهم: فلان من الطلاب الأول، والصواب: الأوائل، ومنها: استعمال ضمير المذكر لغير العقلاء كقولهم: الأقدام وقعوا، والصواب: الأقدام وقعت، ومنها إلحاق تاء التأنيث بالأوصاف الخاصة بالنساء، فيقولون: امرأة سافرة أو مرضعة أو ناهدة أو طالقة أو حائضة أو حاملة... والصواب: سافر ومرضع وحامل وناهد وطاقق... تقول: امرأة حامل جنيها، وحاملة حقيبتها،

11 - تصحيحات المحدثين ص: 114

12 - شرح ما يقع فيه الصحف والتحريف ص: 54

13 - مرام المجتدي من شرح كتاب المجتدي ط: 2 ص: 4



واللغة العربية أغنى من أن تلجأ إلى استعمال الضدين بإدخال (لا) النافية. ونسمع بعضهم يقول: لازلت أوالي تقديم الأخبار، والصواب: ما زلت أوالي تقديم الأخبار، لأن الفعل الماضي إذا دخلت عليه (لا) النافية أفاد الدعاء. ومن الاستعمالات الشائعة قولهم: تواجد الرجال وهو خطأ لأن التواجد يعني التمايل طربا، وكذلك: سافر فلان ليلة البارحة، وهو خطأ فالصواب: الليلة البارحة، ليطابق النعت منوعته. كما يجمعون (نية) على نوايا التي هي جمع ناوية، والصحيح: نيات ففي الحديث الشريف: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

ونختم هذه الأمثلة بقولهم: قرأت خمس كتب وخمسة صحف، مع أن الثلاثة والعشرة وما بينهما تؤنث مع المذكر وتذكر مه المؤنث. قال تعالى: «سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما».

خاتمة

وقد استوقفتني وأنا أبحث في هذا الموضوع بعض الملاحظات، والتوصيات، أردت أن أختتم بها هذا الجهد المتواضع، منها:

(1) أن جهود علماء القرنين الأول والثاني الهجريين كانت عملية، حيث تناولوا هذه الظواهر من بنيتها الداخلية، فابتدعوا الشكل تحت تأثير اللحن بداية ظهوره، فلما تفشى أمره وجدوا أنفسهم مضطرين لوضع القواعد النحوية والصرفية والعروضية، كما استحدثوا الإعجام حين أحسوا بخطر التصحيف الناتج عن تشابه بعض الحروف في الصورة والخط.

وعجوز...أما زوج ففيها خلاف، واستبعد الأصمعي التأنيث مستدلا بقوله تعالى: «اسكن أنت وزوجك الجنة» فتقول المرأة: هذا زوجي، ويقول الرجل: هذه زوجي. ويقولون: عالج الطبيب نفس المريض، وهو خطأ فالنفس والعين من ألفاظ التوكيد المعنوي التي ترد بعد المؤكد لا قبله، فالصحيح: عالج الطبيب المريض نفسه. ويقولون: زيارتك عزيزة علي، والصواب عزيزة عندي، لأن عزيز علي بمعنى صعب علي، ففي الآية الكريمة: «وما ذلك على الله بعزيز» وقوله تعالى: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم» أي صعب عليه عنتم. ومن الاستعمالات التي يخطئ فيها الكثيرون: قولهم إنني ذاهب لقضاء بعض الحاجيات، وليس في العربية (حاجية) حتى تجمع على حاجيات. ويقولون: اجتمع المدراء، وهو خطأ لأن (مدير) تجمع على مديرون جمع مذكر سالم، وليس له صيغة تكسيرية. ويقولون: إننا نستنكر الأعمال اللا مسؤولة،

وهكذا وقوله تعالى: «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت» المراد بالمرضعة هنا التي في حال إرضاع تلقم ثديها. ومنها قولهم: تقييم الأعمال، وهو خطأ لأن المصدر واوي، والصواب: قوم تقويما، وللتقويم معنيان أحدهما يعني معرفة قيمة الشيء، وإدراك حقيقته، والمعنى الآخر هو التعديل وإزالة العوج ومنه قوله تعالى: «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم» ومنه قول الشاعر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت

ولن تلين إذا قومتها الخشب ومن هذه الأخطاء قولهم: فزنا بكأس العالم الذهبي أو الفضي، وحلفت بهذا اليمين، والبئر عميق...والصواب: الكأس الذهبية، وحلفت بهذه اليمين، وتلك البئر عميقة. ومن ذلك إلحاق تاء التأنيث ببعض الأوصاف التي تطلق على المذكر والمؤنث بلا تاء، فيقولون: عاشقة وعاقرة وعانسة وخادمة وضامرة.... وكلها للمذكر والمؤنث بلا تاء، فتقول: رجل عانس وامرأة عانس وكذلك عروس

قائمة المراجع

1. المصحف الشريف، رواية ورش عن نافع
2. حمزة بن الحسن الأصفهاني (280هـ - 360هـ)، التنبيه على حدوث التصحيح، دار صادر، ط (2)، بيروت، 1412هـ / 1992م.
3. أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (ت. 382هـ)، شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط (1)، القاهرة، 1383هـ / 1963م.
4. أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت. 335هـ)، المصاحف، ط (2)، دار البشائر الإسلامية، القاهرة، 2002 م / 1423 هـ.
5. أبو الفتح عثمان بن عيسى البطني (524هـ - 599هـ)، التصحيح والتحريف، (دار/طبعة غير محددة).
6. محمد الحسن بن أحمد الخديم اليعقوبي الجوالي الشنقيطي، مرام المجتدي في شرح كفاف المبتدي، دار التيسير، ط(3)، نواكشوط، 1421هـ / 2000م.
7. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (849 هـ - 911 هـ)، التطريف في التصحيح، دار الفائز، ط(1)، السعودية، 1409 هـ / 1988 م.
8. قدور العبدلوي، التصحيح والتراث الشعري القديم: أسبابه وظواهره وجهود العلماء لاحد منه، دار الزمان، ط (1)، السعودية، 2007م.
9. محمد بن سلام الجمحي (ت. 232 هـ)، طبقات فحول الشعراء، دار المدني للنشر والتوزيع، ط (1)، جدة، 1980 م.
10. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت. 764 هـ)، تصحيح التصحيح وتحرير التحريف، مكتبة الخانجي، ط(1)، القاهرة، 1407هـ / 1987م.
11. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (ت. 395هـ)، ما تلحن فيه الخاصة، ط(غير محدد)، (دار/مكان غير واضح).
12. علي بن حمزة البصري (ت. 375 هـ)، التنبيهات على أغاليط الرواة، دار الشؤون الثقافية العامة، ط(1)، بغداد، 1991 م / ؟ هـ.
13. أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (293هـ - 382هـ)، تصحيقات المحدثين، المطبعة العربية الحديثة، ط(1)، القاهرة، 1402 هـ / 1982 م.
14. أبو محمد القاسم بن علي بن محمد البصري الحريري (446هـ - 516 هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، ط(3)، المكتبة العصرية، بيروت، غير معلوم السنة.

أما علماء القرنين الثالث والرابع الهجريين فقد اکتفوا بالتأريخ لهذه الظواهر، وإحصاء النصوص التي تعرضت للتحریف والتصحيف، منبهين إلى خطرهما.

(2) أن اللحن بدأ قليلا نادرا، على مستوى الإنجاز (الكلام)، ثم أخذ في الانتشار والتفشي حتى وصل إلى ما هو عليه الآن، بينما ظهر التصحيف كثيرا حتى كاد يشمل العلماء المحققين، ثم أخذ يتراجع حتى كاد يختفي، وما ذلك إلا لكون أسباب ظهور اللحن آخذة في التفاقم والازدياد، وكيف لا ونحن نعيش عصر (العولمة)، في حين لم يعد مشكل التصحيف مطروحا بعد أن تطور الخط العربي، وأجريت عليه بعض التحسينات، وإن كان التصحيف ما يزال موجودا لأسباب منها: بنية الأبجدية العربية نفسها، ومنها الاعتماد على المراجع دون التلقي عن العلماء.

ومن التوصيات التي يمكن أن نسجل في هذا السياق:

- أهمية التركيز على ضبط الأعلام والأماكن، لما يترتب على ذلك من دقة وأمانة.

– العناية بالسند في مختلف مجالات الثقافة العربية الإسلامية.

- إلزامية اعتماد التدقيق اللغوي في المؤسسات الإعلامية وغيرها.

- العناية بالتلقي عن العلماء مشافهة، لما في ذلك من البعد عن التصديق والعصمة من التحريف.



نماذج من آداب اللغويين

8. الإيثار نحو {إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس..}.
9. جهل الفاعل كسرق المتاع.
10. العلم به نحو {وخلق الإنسان ضعيفا}.
11. الاختصار نحو {وإذا خيئتم بتحية..} أي حياكم أحد..

4

حين يُحذفُ الفاعل يسند الفعل إلى مفعوله أو ما يقبل النيابة من الظروف والمصادر ومجرورات الحروف، وتغير بنية الفعل ويرفع المفعول (مع سمات آخر) إشعارا بإسناد الفعل إلى غير فاعله، فيوصف الفعل بأنه مبني للمجهول، ومفعوله المذكور بأنه نائب عن الفاعل. هذا في نحو قول الشاعر:

قد يُكرّمُ القردُ إعجابا بخسته

وقد يضام لفرط النخوة السبع.
أما في نحو قول الله تعالى: {وخلق الإنسان ضعيفا} فلا يليق القول إن الفعل مبني للمجهول ولا أن الإنسان نائب عن الفاعل! هنا يقول النحاة إن الفعل لم يُسم فاعله، وإن الإنسان مفعول به ارتفع لتركيب الفعل.

5

قال الله تعالى: {ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده}
ثم قال أبو الأسود الدؤلي:
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم.

والأرض بالحق} فيقولون إن اسم الجلالة في محل رفع فاعل؛ تفريفا بين الكلام عن الخالق والكلام عن المخلوق، وبين مفعول به ارتفع ارتفاعا عارضا بفاعلية مجازية وبين الفاعل لما يريد الذي جل عن التغير واختلاف الأحوال. ولو سألت راسخا في علم النحو عن «شربت الماء» لقال إن الماء مفعول به، ولا غضاضة في هذا. أما إن سألته عن «ذكرت الله» فسيقول إن اسم الجلالة منصوب على التعظيم، ولو كان السؤال عن «سألت الله» لكان الجواب أن الله تعالى هو المسؤول.. وهكذا.

3

يذكر النحاة أن الفاعل يحذف فيبني فعله للمفعول لواحد من أحد عشر سببا يهمنها منها هنا الخامس والعاشر، ثم الرابع:

1. الخوف؛ إما على الفاعل نحو ضرب الوالي، أو منه نحو قتل فلان.
2. الإبهام نحو تُصدّق على السائل.
3. الوزن كقول الأعشى:
عُلّقَتْها عرضا وعُلّقَتْ رجلا
غيري وعُلّقْ أخرى غيرَها الرجل.
4. تحقير الفاعل نحو طعن عُمر.
5. تعظيمه نحو خُلق الخنزير.
6. السجع نحو من طابت سريرته حُمدت سيرته.
7. الوفاق كقول لبيد رضي الله عنه:
وما المال والأهلون إلا ودائع

المسلم مسلم قبل أن يكون فقيها أو لغويا أو مفكرا أو فلكيا أو رياضيا أو طبيبا.. ومن ثم فاعتقاده يحكم شخصيته ويوجهها في مختلف دروب العلم والعمل، وفي هذه السطور سنقف -بحول الله -على نماذج من ذلك..

حين يكون الحديث عن الله تعالى يعيد العلماء النظر في مصطلحاتهم الفنية لمواءمتها مع الأدب اللازم؛ فيخلق اللغوي نعليه تعظيما وإجلالا ويوزن ما يقوله بميزان العبودية والضراعة لله رب العالمين.

1

رأى راء في منامه سيبويه بعد موته في نضرة ونعيم، فسأله: بم نلت هذه المنزلة الرفيعة يا أبا بشر؟ فقال بقولي إن «الله» أعرف المعارف!

صدق سيبويه - رحمه الله - في قوله؛ فكل معرف ينفك عنه التعريف إلا اسم الله تعالى (الله) فلا يقبل التنكير! ومهما نقصنا منه حرفا تغير معناه، لكنه يستمر في الدلالة على الألوهية والتفرد؛ فبإسقاط الألف يكون اللفظ «لله» وبإسقاط الألف ولام يكون «له» وبإسقاط الألف واللامين، يبقى ضمير الواحد المفرد!

2

يقول النحاة إن المطر فاعل مرفوع في نحو قولنا: «نزل المطر» لكنهم يعدلون عن هذا الاصطلاح في نحو القول: {وخلق الله السماوات

ووظيفة «لا» في المثالين هي النهي دون نقاش، ولا غرو في ذلك؛ فالخطاب في الأول من الله لعباده، وفي الثاني من مخلوق لآخر.

أما حين يقول الداعي: {ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا} فلا يتأتى التعبير عن «لا» في هذا ومثله بالنهي لعدم وروده! وإنما «لا» للدعاء.

يجتمع النهي والدعاء تحت مظلة الطلب؛ ولذا يعبر به عن كليهما.

6

قال جرير:

ككيف إذا مرت بدار قوم

وجيران لنا كانوا كرام
قال النحاة: «كانوا» لفظ زائد اعترض بين الموصوف ووصفه فلم يؤثر في إعراب ما بعده، والمعنى «وجيران لنا كرام» ولو تسلط الفعل (كانوا) على ما بعده لنصبه كديده.

وقال الله تعالى: {فبما رحمة من الله لنت لهم} ومع أن الباء هنا داخلية في المعنى على «رحمة» ولذا جرّتها (فبرحمة) فاللغويون يقولون إن «ما» هنا صلة، وكذا قولهم فيما يشبهها من سائر القرآن العظيم.

السبب أنهم لو قالوا: زائدة لتوهم من لا دراية له أن لا معنى لها؛ وهو ما لا يليق بالقرآن الكريم.

قال ابن هشام: «وينبغي أن يجتنب المَعْرَبُ أن يقول في حرف في كتاب الله تعالى إنه زائد، تعظيماً له، لأنه يسبق

إلى الأذهان أن الزائد هو الذي لا معنى له، وكلامه سبحانه منزه عن ذلك».

7

قال زهير بن أبي سلمى المزي: بدا لي أنني لست مُدْرِك ما مضى

ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً. وقال النحاة في «سابق» إنه مجرور بالتوهم، وفسروا ذلك بأن الشاعر توهم أنه جاء بالباء في خبر ليس (بمدرك) فعطف على ما توهمه.

وقال المرّار الفقعسي:

أجْدَك لن ترى بثغليبات

ولا ببيدان ناجية ذمولا

ولا متدارك والليل طفل

ببعض نواشغ الوادي حُمولا. وفي هذا ونحوه توهم مركّب، ولذا سمي توهم التوهم؛ أي أن الشاعر توهم أنه قال: «لست» ثم توهم أنه جرّ خبر «ليس» بالباء، فَجَرَّ «ولا متدارك» بالعطف على مجرور لا وجود له في غير وهمه!

هذا في كلام البشر؛ أما كلام الله جل شأنه فله شأن آخر.

قال الله تعالى: {وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين} (و«ما» مفكوك في الرسم العثماني).

قرأ أبو عمرو بن العلاء {فَأَصْدَقَ وَأَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ} بنصب مضارع كان؛ وهو ما لا إشكال فيه، لكن الستة قرؤوا {فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ}

بجزمه.

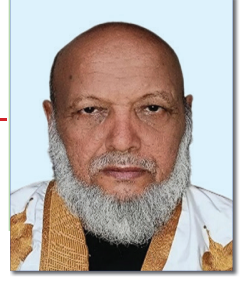
لو وقع هذا في كلام مخلوق لكان التوهم له بالمرصاد؛ أما وهو قرآن محكم متواتر فالأدب لا يسمح بذلك.

قالوا إن الجزم هنا على المحل؛ ذلك أن سياق الجملة {رب لولا أخرتني إلى أجل قريب} طلبيّ، والطلب من دواعي الجزم فَجَزَمَ «أكن» باعتبار المحل ونَصَبَ «أَصْدَقَ» باعتبار اللفظ. وهكذا قالوا في نظائر هذا.

8

مما يجري على الأسماء التثنية الجمع والترخيم والتصغير.. ونحو هذا، لكن النحاة مجمعون على منع الكل في أسماء الله تعالى وصفاته؛ فلو أن أحدا خاطب من يعظمه من البشر بضمير الجمع لكان سائغا؛ بل مستحبا، لأن المخلوق يتقوى بغيره ويعظم به، ولذا قد لا يرضى الخطاب بضمير المفرد. لكن لو دعا الله بغير التوحيد والإفراد لأساء الأدب، فلا شريك لله ولا نظير، وهو الغني عما سواه.

وقد جاء في القرآن العظيم {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون} وهي آية مكية في حال من عاش مشركا ومات على ما عاش عليه؛ أما المسلم (الموحّد) فقد رسم منهجه آدم وحواء عليهما السلام {قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين} واستمر الحال هكذا إلى الأبد.



ملاحم الدراما في الشعر الجاهلي

عن المنكر، وكان يركب قصبه في كل جمعة يومين: الاثنين والخميس، فإذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان، فيصعد تلاً وينادي بأعلى صوته: «ما فعل النبيون والمرسلون، أليسوا في أعلى عليين؟» فيقولون: نعم. فقال: هاتوا أبا بكر الصديق، فأخذ غلام فأجلس بين يديه، فيقول: جزاك الله خيراً أبا بكر عن الرعية، فقد عدلت وقمت بالقسط، وخلفت محمداً عليه الصلاة والسلام فأحسنتم الخلافة...»³.

وهذه البدايات المسرحية الأخلاقية شبيهة بالبدايات التي نشأ منها المسرح الغربي حين مثل القساوسة قصصاً مستمدة من الدين لتهديب النفوس، والحث على الفضيلة.

وقد ظهرت في العرب في العصر العباسي جماعة السماجة، وهم جماعة من الممثلين الهزليين يمثلون أمام الخليفة، وكانوا يتنكرون في صور وأقنعة منكرة، وقد يطلبون وجوههم بأصباغ كما يفعل الممثلون الهزليون اليوم، أو يلبسون ملابس تنكرية تغير من أشكالهم، أو يقومون بتقليد الحركات السمجة المضحكة، ومن هنا جاءت التسمية.

وقد أدخل البويهيون التشبيهات الدينية إلى العراق في القرن

طقوس ومراسيم تشابه الطقوس الدينية التي تعارف عليها الأقوام المجاورة، كالمصريين والإغريق والرومان؛ وأن في مناسك الحج آنذاك صوراً درامية لتمثيل ذكريات نبي الله إبراهيم، وسيرة زوجته هاجر، وإسماعيل عليهم السلام؛ وأن لهم قبل الإسلام أصناماً يعتقدون في قدرتها على دفع البلاء واستجلاب المطر والخير والرزق. وقد دارت ملاحم أسطورية حول هذه الآلهة، وهذه الحكايات فيها ملاحم درامية بكل المقاييس الأدبية، بما حوته من موضوعات تجري في كل زمان ومكان، وما تتضمنه من حوار، وما يستخرج منها من مناظر، وهي لذلك لا تحتاج إلا لإخراج متمكن، وإعداد مسرحي يجعلها قابلة للعرض الدرامي.

وكانت لهم أسواق ومواسم يتوافدون عليها للتجارة وتناشد الأشعار، كسوق عكاظ وذي المجاز وسوق مجنة؛ وهي مواسم غنية بالملاحم الدرامية؛ كما شاعت لديهم لعبة (المهر) وهي خشبة على شكل خيل مسرحية، ويؤدون أنواعاً من التمثيل الهزلي².

وكان الوعظ الديني يؤدي عن طريق التمثيل، فقد جاء في العقد الفريد أنه «كان في زمن المهدي رجل صوفي، وكان عاقلاً عابداً ورعاً، فتحقق ليجد السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهي

يرى بعض الباحثين أن العرب لم يكن لهم إمام بالدراما قبل عصر النهضة، معللين ذلك بنظريات وآراء كثيرة أغلبها مردود عليه؛ من أهمها:

أن العرب تنقصهم عقلية التحليل، فالأفكار عندهم لا ترتبط فيها النتائج بالأسباب بشكل متسلسل؛ وأنهم غير مبتكرين، فهم ينظرون إلى الكليات ولا يميلون إلى التحليل؛ وأن عقليتهم مغرقة في الغيبيات؛ وأنهم لا يتصورون غير المادي المحسوس، فالفرد العربي على وفق ما يراه هؤلاء الباحثون، لم يكن ذا خيال محلق؛ وأن العربي المسلم وجد في عقيدته وعبادته وضوحاً لا يحتاج إلى تأويل، فأعرض عن ترجمة أدب الإغريق، لما يتضمنه من آلهة متعددة، وعبادة الأبطال، والخلاعة والمجون؛ والمسرح الغربي يعالج غالباً فكرة صراع الإنسان ضد القضاء والقدر، فكانت مادته الأساس لمآسيهم المسرحية؛ وهذا يتنافى مع فلسفة الإسلام التي نادت بالوحدانية، وآمنت بالقضاء والقدر¹. ومقابل هذا الطرح يرى آخرون أن للعرب وجوهاً من الفن والممارسات يمكن أن تعتبر - وإن مع تجوز - ملاحم درامية عرفها العرب قبل عصر النهضة، منها:

أن عبادة العرب للأوثان كانت تحيطها

1 - عبد الله أبو هيف، المسرح العربي المعاصر، قضايا ورؤى وتجارب، دمشق، 2002، ص: 7.

2 - انظر: ملاحم المسرحية العربية الإسلامية، عمر محمد الطالب، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1987، ص: 57.

3 - العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، مخ: مفيد محمد قبيحة، ج: 7، ص: 168.



والنثري، قبل الإسلام وبعده، ملامح درامية موجودة بالقوة إذا اعتبرنا - تجوزا - أن الدراما هي تلك الروح الخفية التي تتشكل في الأعمال الفنية، من تداخل القصص، والحوار، والأحداث، والصراعات، والشخص، بشيء من العفوية والتساق.

ويمكننا أن نلمس تلك الملامح في ثانيا القوائد الجاهلية، وإن لم تشكل ظاهرة بارزة، لتغلغل الروح الغنائية في الشعر الجاهلي، وملاءمتها للطبيعة البدوية التي تأبى التقييد والكنية والتصنع، وتميل إلى الترويح والبوح والتغني بالعواطف والتأنيق في الأسلوب. وسنتبع في هذا البحث - إن شاء الله - تلك الملامح الدرامية في مدونة الشعر الجاهلي لنتبين مدى حضورها فيه.

الرابع الهجري، فكانوا يمثلون استشهد الإمام الحسين بن علي عليهما السلام في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم؛ فيقوم عادة مجموعة من الشخصيات بأداء أدوار الحسين وأصحابه، في حين يقوم آخرون بأداء أدوار شخصيات جيش الأمويين، وتحدث بين الطرفين مساجلات وحوارات طويلة تقترب في بنيتها من بنية المسرحية الإغريقية الدينية والوعظية.

كما شاع فيهم ظاهرة خيال الظل، وهو ظاهرة درامية تتمثل في الحدث المشخص عن طريق الحركة والحوار بلغة بين الفصيح والعامي، واستغلال التورية والجناس وسائر أنواع الزخارف اللفظية؛ كما شاع فيهم لون القرة قوز، وتعني (العين السوداء) بالتركية، لأن أغلب من كانوا يمثلونه هم العجر المتميزون بسواد عيونهم، أو لأن هذا اللون كان يعبر عن سوداوية الحياة، وقد انتشر القرة قوز في العراق وبلاد الشام⁴.

إن هذه الظواهر يمكن أن تلمس فيها ملامح شبه درامية تقترب في حقيقتها من فعل الدراما، وهذه الظواهر وجدت في الحضارة العربية قبل الإسلام وبعده، وعول عليها الباحثون كثيراً في مجال الدراما العربية⁵.

وبغض النظر عن كون الثقافة العربية كانت بها مظاهر درامية أم لا، أو أن العرب عرفوا مصطلح الدراما كما هو أم لا، فإن في موروتهم الشعري

فقلت لها: سيري، وأرخي زمامه
ولا تبعديني من جَنَّاكَ الْمُعَلَّلِ⁷.

ففي هذه الأقصوصة من الحيوية، والحركة، والمغامرة، ما خفف من الغنائية، والسرد، وأضفى على النص بعداً فنياً درامياً، جعله أروح في النفس، وألصق بالوجدان؛ وهو ممشئ فني كثيراً ما سلكه امرؤ القيس في حنايا مطولاته الشعرية، لكسر الرتابة، وخرق التوقع. يقول:

فجئت، وقد نضت لنوم ثيابها
لدى الستر، إلا لبسة المتفضل
فقلت: يمين الله، مالك حيلة
وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
خرجت بها تمشي، تجر وراءنا
على أثرينا، ذيئل مرط مرجل

الملح القصصي:

يرى الدارسون المعاصرون أن القالب القصصي يحمل طيه بذرة درامية تكسر حدة الغنائية، «وهذا أمر لا يتحقق بشكل آلي، وإلا لتحول إلى نوع من السرد الفقير فنياً ودرامياً»⁶. ولعلنا نحس بشيء من ذلك حينما نستمع إلى الملك الضليل «امرئ القيس»، وهو يحكي قصة تسلقه جمل عشيقته «عُنَيْزَة»، ودخوله معها الخدر:

ويوم دخلت الخدر خدر عُنَيْزَة
فقلت: لك الويلات إنك مُرْجَلِي
تقول، وقد مال الغبيط بنا معا:
عقرت بعيري يا امرأ القيس، فانزل

4 - انظر مقدمة كتاب: مدخل إلى المسرح العربي، أحمد شمس الدين الحجابي.

5 - المصدر السابق.

6 - الدكتور علي عمران، القنات الدرامية في البناء الشعري، دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، ط1: ص: 121.

7 - الديوان، دار الكتب العلمية، تصحيح: مصطفى عبد الشافي، ص: 113.

فهذا ذو الإصبع العدوانى يستدعى
أسطورة الهامة، و مؤداها: أن القليل
تخرج من قبره هامة تصرخ:
اسقوني، اسقوني... حتى يؤخذ
بثأره⁹:

يا من لقلب شديد الهم، محزون
أمسى تذكر ريبا أم هارون
أمسى تذكرها من بعد ما شحطت
والدهر ذو غلظة حيناً، وذو لين
فإن يكن حبها أمسى لنا شجناً
وأصبح الوأى منها لا يواتيني
فقد غنيا، وشمل الدهر يجمعنا
أطع ريبا، وريبا لا تعاصيني
ترمي الوشاة فلا تخطي مقاتلهم
بصادق من صفاء الود مكنون
ولي ابن عم على ما كان من خلق
مختلفان، فأقليه، ويقليني
أزرى به أننا شالت نعامنا
فخالني دونه، بل خلته دوني
يا عمرو، إلا تدع شتمي ومنقصتي
أضربك حيث تقول الهامة: اسقوني¹⁰.

وهذا بشر بن أبي حازم يتخذ من
أسطورة القارظ العنزي متوكفاً فنياً؛
ومؤدى تلك الأسطورة: أن رجلاً من
عنزة، ذهب يلتقط القرظ فلم يعد.
فضرب به المثل في استحالة العودة:
أسائلة عُميرة عن أبيها
خلال الجيش، تعترف الركاباً
تؤمل أن أووب لها بنهب
ولم تعلم بأن السهم صاباً
فإن أباك قد لاقى غلاماً
من الأبناء يلتهب التهاباً



حضوراً بارزاً في الضمير الجمعي
للمجتمع الجاهلي، يصل أحياناً إلى
درجة التحقق، حتى يجعل المتلقي
على يقين تام، وإيمان مطلق، بوجود
ذلك البعد الأسطوري؛ وقد شاع
في المخيلة الجاهلية، كثير من
التصورات الأسطورية، والحكايات
الطريفة، والتصورات الغيبية؛ وقد
وظف الشعراء الجاهليون كثيراً
من ذلك في أشعارهم، فأضفوا به
على نصوصهم الشعرية صبغة
درامية، خففت من سطحية السرد،
والمباشرة، والغنائية.

فلما أجزنا ساحة الحي، وانتحى
بنا بطن خبت ذي جفاف، عَقْنَقَلِ
هصرتُ بفودي رأسها، فتمايلتُ
علي⁸

فهذا البوح الإباحي، الملفوف بغشاوة
من التخفي، والتسلل، والترقب،
أضفى على النص ظلالاً من الحيوية
حادت به عن المنحى المألوف في
القصيدة الغنائية.

الملح الأسطوري:

يرى النقد الحديث، أن للأسطورة

8 - المصدر السابق، ص: 114.
9 - قال ابن منظور: وكانت العرب تزعم أن روح القليل الذي لم يدرك بآثره تصير هامة فتزق عند قبره، تقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بآثره طارت، وهذا المعنى هو الذي أراد جرير بقوله:
ومنا الذي أكل صدي بن مالك - وفتر طيرا عن جمادة وقعا
يقول: قل قاتله ففترت الطير عن قبره، وأزقيت هامة فلان إذا قتله قال:
فإن تك هامة بهرة تزق - فقد أزقيت بالمرورين هاما.
وكانوا يقولون: إن القليل تخرج هامة من هامته فلا تزال تقول: اسقوني، اسقوني حتى يقتل قاتله، ومنه قول ذي الإصبع:
يا عمرو إلا تدع شتي ومنقصتي - أضربك حتى تقول الهامة: اسقوني.
يريد أقتلك؛ ويقال: هذا هامة اليوم أو غد، أي يموت اليوم أو غداً، قال كثير:
وكل خليل رائي فهو قاتل: - من أهلك هذا هامة اليوم أو غد.
وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا عدوى، ولا هامة، ولا صفر. وقال أبو عبيدة: أما الهامة فإن العرب كانت تقول إن عظام الموتى أو أرواحهم، تصير هامة فطير، وقيل: كانوا يسمون ذلك الطائر الذي يخرج من هامة الميت الصدى، ففناء الإسلام، ونهاهم عنه.
10 - شرح المفضليات، أحمد شاكر - عبد السلام هارون، ص: 31.

وإن الوائلي أصاب قلبي
بسهم لم يكن يكسي لغابا
فرجبي الخير، وانتظري إيابي
إذا ما القارظ العنزّي أبأ¹¹

«وهكذا نجد أن الأسطورة، وتضمين القصص، تحرك المضمون، وتنعش البنية الفنية وتثريها، وتبعث في أوصال النص الحركة التي تستدعي نشاط ذهن القارئ، وتحيله إلى بنية موضوعية أخرى، تدعم بنية القصيدة الغنائية بصورة درامية، أو تنطوي على روح درامية»¹².

الملح الحكائي:

تتناثر في ثنایا القصائد الجاهلية، وجوه من الحكايات المألوفة، أو المتخيلة، عاشها الشاعر فعلا، أو يعقل أن يعيشها؛ وكثيرا ما يكون فيها تنفيس نفسي، أو ترويح عاطفي، إذا تعلق الأمر بالرتاء أو الغزل. وقد تكون سردا لمغامرات حربية، أو استرجاعا لأيام صيد ومطاردة؛ ولكن الحكاية المألوفة في أغلب المطولات الجاهلية، هي حكاية رحلة الظعائن، وما يتخللها من وصف دقيق لجزئيات المركب، ومستلزماته، وما يمررن به من أماكن، ونقاط ماء، وسهوب، ومرتفعات، ومنحدرات؛ مما يثري النص بالحيوية والحركة، ويخفف التوقع لدى المتلقي، ويكسبه لونا من الاندهاش والإمتاع.

وخير مثال على هذا الملح قول زهير بن أبي سلمى :
تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَل تَرَى مِنْ ظُعَائِنِ
تَحْمَلُنَ بِالْعِلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جَرَثِمِ
جعلن القنان عن يمين وحنانه
وكم بالقنان من محل ومحرم

عَلَوْنَ بِأَنمَاطِ عِتَاقٍ وَكَلَّةٍ
وراد حواشيها مشاكهة الدم
وَوَزَكَنَ بِالسُّوبَانِ يعلون مَنَنُهُ
عليهن دل الناعم المتنعم
بَكَرْنَ بُكُورًا، وَاسْتَحَرْنَ بِسُخْرَةٍ
فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
ظهرن من السوبان، ثم جزعنهُ
على كل قَيْنِي قَشِيبٍ، وَمُفْـلَـمٍ
كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَهْنِ فِي كُلِّ مَنَـزَلٍ
نزلن به حب الفنا لم يحطـم
فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ

وَضَعْنَ عَصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ
ومن الحكايات الشعرية الطريفة،
التي درج الشعراء على تناولهم لها
في أشعارهم، حكايات إكرام الضيف،
وقد تفنن فيه الجاهليون، وبالغوا
فيه، وامتدحوا به؛ ولنا في ميمية
الحطيئة التي قالها في جاهليته
خير مثال على ملح الحكى الدرامي
في الجاهلية:

وطاوي ثلاث، عاصب البطن، مرمل
بيداء لم يعرف بها ساكن رَسَمًا
أخي جفوة، فيه من الإنس وحشة
يرى البؤس فيها، من شراسته، نُغْمَى
وأفرد في شغب عجوزاً، إزاءهما
ثلاثة أشباح، تخالهن بهما
رأى شبحاً وَسَطَ الظلام، فَرَاعَهُ
فلما بدا ضيفا، تَشَمَّرَ، وَاهْتَمَّا
وقال: هَيَا رَبَّاهُ، ضَيْفٌ وَلَا قِرَى
بِحَقِّكَ لَا تَحْرِمُهُ تِي اللَّيْلَةِ اللَّحْمَا
فَقَالَ ابْنُهُ، لَمَّا رَأَهُ بِحَيْرَةٍ:
أَيَا أَبَتِ، أَذْبَحْنِي، وَيَسَّرَ لَهُ طَعْمًا
ولا تعتذر بالعدم، عل الذي طرأ
يَظُنُّ لَنَا مَالًا، فَيُوسِعُنَا دَمًا
فروى قليلا، ثم أحجم برهة
وإن هو لم يذبح فتاه، فقد هماً
فبيناهما عَنَتَ على البعد عانةً
قد انتظمت من خلف مسجلها نظماً

ظماءً تَريْدُ الْمَاءَ، فأنساب نحوها
على أنه منها، إلى دمه أظماً
فأمهلها حتى تروث عطاشها
فأرسل فيها من كنانته سهمًا
فخَرْتُ نَحُوصَ، ذَاتُ جَحْشٍ، فَتِيَّةٌ
قد اكتنزت لحماً، وقد طبقت شحماً
فيا بشره إذ جرَّها نحو أهله
ويا بشرهم لما رأوا كَلَمَهَا يَدْمَى
فباتوا كراماً، قد قضوا حق ضيفهم
ولم يَغْرَمُوا غُرْمًا، وقد غَنَمُوا غَنَمًا
وبات أبوهم، من بشاشته أبا
لضيفهم، والأُمِّ مِنْ بَشَرِهَا أَمَا¹³
فهذا النص — على غنائيته
وشاعريته — بناء درامي متكامل،
من تمهيد، وأزمة، وعقدة، وحديث
نفسى، وشخوص، ومكان، وزمان،
إلى انفراج، وسير نحو الحل، إلى
النهاية السعيدة.

والحق أن ملامح الدراما في الموروث
الشعري، أعم وأغنى من أن نحصرها
في وجوه تعد على أصابع اليد؛
ثم إن هذا البعد ليس من البساطة
والسطحية بحيث يقدمه على وجه
مخصوص، يستوي في استيعابه
جميع المتلقين؛ فتحويل العاطفة
الغنائية إلى فكر يقبل الشكل
الدرامي، وإبراز الصراع النفسى،
ووصف الحركة الداخلية في
النص، والتناقض والثنائية داخله،
وتشخيص الأشياء، وبث الحياة
فيها، وخلق المفارقات، وتهية الشكل
الحواري، وإبراز الأحاديث النفسية
الداخلية، وتوظيف الموروث الدينى،
والتاريخى، والشعبي، واستخدام
تقنيات الفنون الأخرى، من مسرح،
وتصوير، ونحت، وانتهاج الأسلوب
الساخِر؛ كلها وجوه لاستخدام البعد
الدرامى في النص الشعري.

11 - علي عمران، الثقيات الدرامية م. س. ص: 195.

12 - المصدر السابق.

13 - المصدر السابق، ص: 133.

تزخر بمؤهلات سياحية طبيعية هامة، نذكر منها:

1. تضاريس ذات طبيعية أسطورية مميزة لولاية آدرار

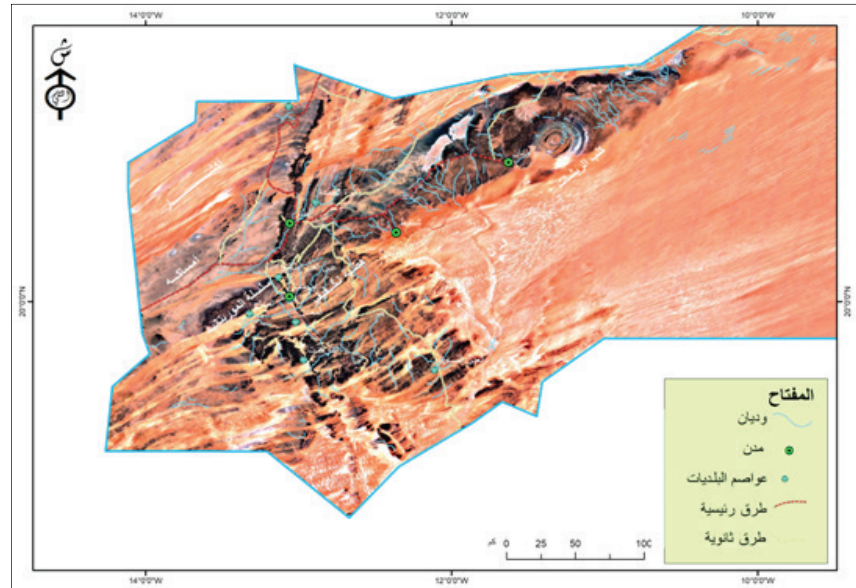
تتمثل تضاريس آدرار أساسا في سلسلة جبال آدرار وعين الصحراء، والمنخفضات التي تحتضن الواحات الصحراوية مثل «البربارة»، والتي تعتبر كلها عاملا جاذبا للسياح يمكن توظيفها كمنتوج سياحي ولاسيما إن كانت غير مألوفة لدى السياح الوافدين؛ وهي التضاريس التي ألهمت البعض من صناع السينما حيث ظهرت في فيلم «Fort Saganna»؛ وتشكل أبرز الأجزاء الرئيسية لتلك التضاريس عامل جذب هام للسياح الوافدين² من خارج البلد؛ ويمكن في هذا الإطار التمييز بين ثلاثة أجزاء رئيسية لتلك التضاريس، هي باطن آدرار،

والسلسلة الجبلية، وهضبة آدرار، والتي تتوزع فيها بعض الأصناف التضاريسية المتنوعة (الخريطة: 2).

2. مشاهد زراعية ومقدّرات واحة هامة ومنتشرة

تعتبر ولاية آدرار ذات الاقتصاد الواحاتي، من بين ولايات البلاد الأنسب من حيث المناخ لزراعة نخيل التمر، لتوفرها على درجات الحرارة الضرورية لزراعة النخيل، الذي يعتبر مصدر رزق هام ورمزا تقليديا للسكان المحليين؛ وتمثل البساتين أبرز المشاهد الطبيعية الجاذبة لسياحها، بالإضافة إلى مشاهد واحات النخيل التي قدر أعداد نخيلها الإجمالي بأزيد من مليوني نخلة سنة 2012 (2641343 نخلة)، موزعة على حوالي 352 واحة، في مساحة تناهز 19687 هكتارا، موزعة على خمس ولايات أهمها ولاية آدرار التي تضم حوالي 1192218 نخلة (45%)

الخريطة (2): الملامح العامة لتضاريس وجيومرفولوجية ولاية آدرار



المصدر: من إنجاز الباحث بالاعتماد على الصورة الجوية لفيوغل إرث، بالإضافة إلى سيدي محمد، 2007

من مجموع النخيل) موزعة على 75 واحة «آدرارية» على مساحة تناهز 5673 هكتارا³؛ ويشكل المنتج من نخيل تلك الواحات الأدرارية، حوالي 908796 نخلة.

وبالنظر إلى الخرائط المعتدة لدى السياح خلال رحلاتهم السياحية في ولاية آدرار، نجد أن الواحة تعتبر محطة رئيسية في كل رحلة سياحية، وبتكرار الزيارات السياحية الموسمية لها، تجدد الواحات حياتها ودورها الاجتماعي والاقتصادي والسياحي؛ حيث تلعب تلك الواحات دورا هاما في جلب السياح المحليين القادمين من داخل الولاية ومن خارجها خلال موسم جني التمور المعروف محليا باسم «الكيطنة»، والذي يمارس فيه السكان المحليون بعض الزيارات للمعالم السياحية في الولاية، وزيارة بعض الأضرحة الدينية مثل مرقد الإمام الحضرمي المتوفي منذ 10 قرون إلى الغرب من مدينة أطار على بعد 15 كم، وضريح كل من «باب» و«إبراهيم» و«الشيخ محمد فاضل» في مقاطعة «أوجفت».

3. سواقي وعيون مائية خلابة

وتتمثل في الينابيع المشتهرة بنجاعة مياهها المعدنية في شفاء بعض أمراض المفاصل والأعصاب، ... إلخ، من خلال الاستحمام في مياهها وشربها في أيام معروفة متزامنة مع نضج التمور في الواحات القريبة من الينابيع، وهي الينابيع التي تشكل بموقعها على منحدرات الجبال أو في المنخفضات الصحراوية، مشهدا مميزا من بين

² -RIM, ONS 2017, RGPH 2013, Monographie régionale de la Wilaya de l'Adrar, P: 15.

³ - محمد، ولد محمد أحمد (2010)، السياحة بولاية آدرار الموريتانية ودورها في تنظيم المجال، بحث ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ص: 26.

الريشات بجوار الموقع التاريخي لمدينة وادان على امتدادا مساحي يقدر بـ 20000 كم²، في ولاية آدرار، الذي يشمل إلى جانب تلك المقدرات البيولوجية، بعض المواقع الجيولوجية والجيومورفولوجية والتاريخية المميزة.

II. موروث سيوسيوثقافي خصب وإرث معماري هام

لا تقتصر مؤهلات السياحة الصحراوية في ولاية آدرار، على المؤهلات الطبيعية فحسب، وإنما تتجاوزها لتشمل مؤهلات أخرى تحمل بصمات التدخل البشري والإرث التاريخي والحضاري للإنسان الصحراوي، وهي مؤهلات أساسها تاريخي وثقافي، تحتل مكانتها في إثراء العرض السياحي ويعد تكاملها مع المؤهلات الطبيعية ركيزة أساسية في تنمية نشاط السياحة الصحراوية في ولاية آدرار؛ ويتمثل أبرز مكونات تلك المؤهلات في الموروث الثقافي بفنونه وآدابه المختلفة والطراز المعماري والمعالم الأثرية لتعاقب مجموعات بشرية قديمة جدا؛ ومن أبرز مكونات ذلك الموروث نذكر:

1. مواقع أثرية مندثرة ونقوش صخرية شاهدة

وهي المواقع التي تؤرخ لبعض المعالم الدينية والوقائع الشهيرة، وبعض الرسوم لبعض الحيوانات التي عاشت في المنطقة والتي لازال بعضها أليفا لدى سكان المنطقة؛ وهي المواقع والنقوش التي تجذب السياح للتأمل والوقوف على عينات

المتأقلمة مع الوسط الطبيعي لولاية آدرار، في التلال والسهول، تشمل قائمة من الثدييات، مثل الدامي أو الغزلان والقيوس أو الخرفان البرية وبعض أصناف الذئب والثعالب والضباع، والقردة... وغيرها؛ وقائمة من الطيور كـ بعض عينات الدجاج البري مثل «حبارة الرك» أو دجاجة فرعون، وبعض أنواع القطا وبعض أنواع الغربان؛ هذا بالإضافة إلى قائمة من الزواحف الصحراوية النادرة مثل السلاحف البرية والظباء وغيرها؛ هذا بالإضافة إلى بعض الحيوانات الأليفة كالجمال والماعز والحمير التي تدخل ضمن النشاط السياحي لسكان آدرار.

وهو التنوع البيولوجي الذي يشمل مراعى شاسعة على امتدادات كبيرة من أصناف التربة والرمال الناعمة، في بعض السهول والأودية؛ والتي تشكل جزءا هاما مما يعرف بمخزون قلب

المشاهد الطبيعية في الولاية، مثل «ساقية ترجيت» الواقعة إلى القرب من مدينة أطار عاصمة الولاية على بعد 35 كم (الصورة : 1)، والتي تعد من أبرز المواقع السياحية في ولاية آدرار، والتي ترجع أهميتها كموقع استجمام إلى قرون خلت، حيث ذكرها القاضي الشنقيطي «محمد ولد محمد عاشور» في وثيقة تعود إلى 300 سنة خلت⁴.

4. رمال ناعمة وتنوع بيولوجي صحراوي مميز

يعد التنوع البيولوجي، وتنوع النباتات الأصلية في ولاية آدرار، وتعدد استخداماتها الطبيعية، والصناعية، من بين عناصر المشاهد الطبيعية التي ترصع منحدرات الوديان ومجاريها؛ وعلى طول امتداد واحات النخيل؛ هذا بالإضافة إلى بعض الحيوانات البرية القليلة،

الصورة (1): ناحية من واحة ترجيت والوسط الواحاتي الذي تقع فيه



Source : <https://www.tripadvisor.com>

- RIM, MDR, DPCSE, 2012, RAPPORT PROVISOIRE SUR LE RECENSEMENT DES PALMIERS DATTIERS EN MAURITANIE, P :4. 4

الصحراء

وهو الإرث المتكون أساسا من مدن تاريخية مصنفة وأخرى غير مصنفة، مثل «تينيكى» و«وادان» المتأسسة سنة 536هـ/1442م، والتي يُروى أن أصل تسميتها هو جملة: «وواد من العلم وواد من التمر»؛ والتي تتميز بسورها الأثري الذي لا تزال آثاره شاهدة؛ وكذلك «شنقيط» المؤسسة، في المشهور عنها، على أنقاض مدينة شنقيط القديمة (آيبر)، سنة 660هـ/1262م، والتي تعني تسميتها «شنقيط» عيون الذخيل في اللغة الأزرية، حسب ما يرويه عنها بعض المؤرخين⁵، وهي المدينة التي كانت محطة كبيرة من محطات التجارة الصحراوية التي تشهد عليها أنقاض برجها الشاهد على المركز التجاري الذي أسسه البرتغاليون فيها بالقرب من مسالك التجارة

حتى نهر النيجر والتي عرفت ازدهارا في مختلف الفنون التجارية والعمرائية والصناعة المنزلية؛ ومثلت المحطة الوسطى للتجارة بين مدينة سجلماسة في المغرب وأوداغست في جنوب موريتانيا آنذاك، وهي المدينة التي مازالت أطلالها ماثلة يوجد بها ضريح قاضي قضاة المرابطين المشهور «محمد بن حسن الحضرمي» الذي يعتبر مزارا لدى العديد من السياح المحليين، وبها أطلال بئر قديمين وبعض الأواني الخزفية تحت الرمال وأثار بعض المباني السكنية القديمة؛ هذا بالإضافة إلى موقع «الغلاوية» و«ابن اعميرة» وغيرهما، حيث عثر فيهما على مؤشرات تسكن صحراوي عائد إلى العصر الحجري الحديث.

2. إرث معماري متنوع ومدن وقصور تاريخية قائمة في قلب

من حضارة بائدة كالمقابر وأدوات القتال والأواني والمدافن، ومحاور طرق القوافل التاريخية للتجارة الصحراوية؛ تلك المواقع الأثرية المندثرة التي تقدر في موريتانيا كلها بحوالي 800 موقع أثري في عموم البلاد، يتوزع معظمها في ولايات الشمال التي تمثل ولاية آدرار أبرزها، ويعتبر أشهر تلك المعالم في ولاية آدرار «واد البيض» والذي تدل الآثار الموجودة فيه على عظمة الإنسان القديم الذي استطاع تطويع الحجارة والحديد⁵.

ويعد من أشهر تلك المواقع في ولاية آدرار موقع أطلال مدينة «أزوكي» أو «أزك» العاصمة الأولى لدولة المرابطين الذين فتحوها خلال القرن 5هـ واتخذوها عاصمة لدولتهم، ومنها انطلقوا بفتوحاتهم نحو المغرب والأندلس وإلى الشرق

الصورة (3): مئذنة جامع مدينة شنقيط



Source : www.culture.gov.mr

الصورة (2): معالم أثرية من مدينة وادان



المصدر: المكتب الوطني للسياحة-موريتانيا

5 - محمد، واد محمد أحمد (2010)، مرجع سابق، ص: 26، 30.
6 - محمد، واد محمد أحمد (2010)، مرجع سابق، ص: 26، 30.

البلد¹⁰.

وإلى جانب تلك المكتبات تزخر تلك المدن والقصور بعبادات وتقاليد مجتمعية قديمة، إلى جانب بعض التقاليد الدينية، كالمديح النبوي الذي صرف له أهل آدرار ولاسيما في شنقيط عنايتهم، منذ العصور الأولى، كما تفصح عنه آثار الشناقطة¹¹؛ وكالفلكور الشعبي المتعلق بالموسيقى الموريتانية التي تشكل ذاكرة ومخزونا للتراث الثقافي من خلال آلتها التقليدية القيمة الفريدة (تيدنييت، آردين الشنه، الطبل)، التي تعزف عليها أنغام متناسقة تلحن بـ «أظهورت أزوان» والتي تصاحبها بعض الرقصات الشعبية في بعض الأحيان، التي تميّز السكان المحليين وتثير إعجاب بعض السياح الوافدين؛ هذا بالإضافة إلى الألعاب التقليدية المستعملة في عموم ولاية آدرار، والتي تستهوي بعض السياح وتروج للسياحة الصحراوية، مثل اللعبة الذهنية «ظامت» أو «خريكة» التي يستخدم فيها الذكاء، والألعاب النسوية «كرور» و«السيك» و«أم أنكيب (أسديس) و(أسرند)، وبعض ألعاب التسلية مثل «لحمار» (التمثيل) «الطالبات» و«أحمد لمقومت» ولعبة «بافاهيم» ... إلخ. وقد شكل هذا الموروث الثقافي وذلك المعمار، ميزة تختص بها ولاية آدرار، جعلتها تمتلك أبرز مؤهلات السياحة الثقافية في البلد.

ثقافي متنوع

تشتهر المدن والقصور التاريخية في ولاية آدرار بتقاليد عريقة راسخة وموروث ثقافي متنوع ومخطوطات هامة تحتضنها إلى جانب معالمها التاريخية، بالإضافة إلى مكتبات عديدة تحتوي على مخطوطات نفيسة تشرف عليها عائلات عريقة؛ وهي المخطوطات التي تغطي فترة تمتد بين القرنين الثالث والرابع عشر هجريين، وتتناول جميع العلوم والفنون بما فيها علوم القرآن والحديث وعلوم اللغة العربية والتاريخ والطب والجغرافيا وعلم الفلك والرياضيات والهندسة وغيرها؛ وقد اشتهرت بها مدينة شنقيط و«وادان» وغيرها من المدن التاريخية في آدرار؛ حيث يوجد في مكتبات مدينة وادان العريقة قرابة 8 آلاف مخطوط، وفي مدينة شنقيط قرابة 6 آلاف مخطوط نادر جدا من مختلف العلوم والمعارف من بينها أقدم مخطوط في غرب إفريقيا، ونسخة من القرآن الكريم مخطوطة على رق الغزال تعود لحدو ألف سنة خلت⁹؛ غير أنه من المؤسف معاناة تلك النفائس التراثية اليوم من الإهمال وضياح العديد من مخطوطاتها القيمة التي جمعت من القاهرة والحجاز وغيرهما، والممتازة بخطوطها المغربية والأندلسية والمحلية؛ وذلك نتيجة سقوط الأبنية الخربة ونزوح سكان الريف عن المدن القديمة إلى التجمعات الحضرية الكبيرة في

العابرة للصحراء، سنة 1487م؛ كما كانت منطلقا هاما لركب الحجاج، انطلاقا من مسجدها العتيق المبني بإحكام بالحجارة في القرن 7هـ (الصورتان: 2، 3)⁸.

وقد شكلت تلك المدن في السابق مناطق إشعاع تجاري وثقافي كبير، وقد صنفت منذ 1996 من قبل اليونسكو، ضمن التراث العالمي للبشرية؛ وتتميز تلك المدن بخصائص فنها المعماري المتجسد في جوامعها ومآذن العريقة المشيدة بالحجارة المتراسة فوق بعض، التي لا تزال صامدة رغم عاديات الزمان، كما تُرى تلك الخصائص في منازل تلك المدن والقصور والتي بقيت أطلالها ماثلة حتي اليوم، وشاهدة على العمران الذي أسس بعضه قبل مجيء المرابطين.

ومن أبرز تلك المدن والقصور أيضا مدينة «أطار» الوريث الأكبر لحضارة «أزوكي» المؤسسة على أرضية المحطة التاريخية لـ «أزوكي» خلال القرن 8هـ في حدود 1673م، حسب المتواتر عنها، والتي تضمن بعض المواقع الأثرية، مثل مسجدها العتيق المعروف بـ «أصيفية»، وقبر الإمام الموجود في المقبرة القديمة (أولاد ميج)، و«اكتنور أهل عثمان» في واد «سكيل»، وهي المدينة التي تمثل اليوم العاصمة الإدارية والاقتصادية لولاية آدرار.

3. تقاليد عريقة وموروث

7 - يرى البعض أن كلمة «شنقيط» كلمة عربية مشتقة من (سن قيط) أي طرف جبل قيط وهو جبل مجاور، ويرى البعض أن أصل تسميتها كلمة عربية فصحة دالة على نوع من الأواني الخزفية كان منتشرا في المنطقة.
8 - وكذا القرى المبنية بالحجارة في مدينة «أوجفت» التي تمثل الفن المعماري البدائي، مثل قرية «توكاد» و«دويرات» (لنح) ومينارة (زيجيت) و«كدي» و«دفت تبارك» (الماح)، وهي القرى التي ظلت مطبوعة تحت الرمال لعشرات لقرون قبل أن يتم تظهير بعضها سنة 1998م.
9 - أحمد (ولد محمد يحيى)، 1997، فهرس مخطوطات «شنقيط» و«وادان»، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، سلسلة فهرس المخطوطات الإسلامية، المكتبات في إفريقيا- موريتانيا، ص: 10.
10 - من ذلك قصيدة العلامة «محمد البدالي» (ت: 1166هـ/1752م) المشهورة بـ «صلاة ربي»؛ ومنه قصيدة «سبيدي عبد الله بن محمد العلوي» (ت: 1143هـ/1731م) المدحبة المعروفة بـ «غاية النعل» (محمد الامين، ولد ابده، 2019، الحياة الاجتماعية والفكرية في مدينة شنقيط من خلال الوثائق والفنوي والأحكام القضائية في القرنين 11هـ و12هـ/17-19م)، ذكروا في العلوم الإسلامية، جامعة الزيتونة- تونس، ص: 15).
11 - محمد، ولد محمد أحمد (2010)، مرجع سابق، ص: 37، 47.

III. بنى تحتية، وأنشطة اقتصادية سائدة للسياحة الصحراوية

تعتبر البنية التحتية للنقل (طرق، مطارات، موانئ ...) من أبرز المؤهلات الهامة في تطور النشاط السياحي في أي بلد؛ وبالرغم من محدودية شبكة الطرق البرية المعبدة في ولاية أدرار، إلا أن تنوع شبكة الطرق البرية عموماً، المتمثل في وجود طرق معبدة إلى جانب أخرى محسنة (شبه معبدة)، وأخرى رملية صحراوية سالكة ومدعمة في أجزائها الوعرة، بالإضافة إلى السكة الحديدية التي تستغلها شركة «سوما سيرت» في تنظيم بعض الرحلات السياحية المعروفة لدى السياح بقطار الصحراء؛ يعد من بين المؤهلات الهامة للسياحة الصحراوية في ولاية أدرار؛ ينضاف إلى ذلك الدور الذي يلعبه المطار الدولي في مدينة «أطار» عاصمة ولاية أدرار، المخصص لاستقبال الرحلات السياحية القادمة من فرنسا، خلال الموسم السياحي من شهر أكتوبر وحتى شهر إبريل؛ ولاستقبال بعض الرحلات ذات الطابع العسكري والحكومي خارج الموسم السياحي¹². ويعد التوجه الحديث للبلاد نحو تطوير البنى التحتية ولاسيما شبكة النقل البري، مؤشراً هاماً سيمكن من تدعيم السياحة بالبلد ككل والسياحة الصحراوية في ولاية أدرار بالخصوص؛ حيث تم فك العزلة عن بعض المناطق الداخلية في الولاية بشبكة طرق متفاوتة الأطوال وربط

والتى تتوازي حيويتها ونشاطها مع مواسم السياحة. هذا بالإضافة إلى أنشطة البنى الخدمية العمومية والخصوصية العصرية، كبعض المؤسسات البنكية، وكالفنادق والنزل ووكالات التأجير والمطاعم، والتي بلغت أعدادها سنة 2010، على التوالي 4 و 67، و 21 و 15، حسب معطيات الإدارة الإقليمية للسياحة بولاية أدرار¹³.

خلاصة وتوصيات

هكذا إذا تتنوع المؤهلات الطبيعية والبشرية للسياحة الصحراوية في ولاية أدرار، والتي تعد مؤهلات السياحة الواحاتية فيها، ثروة يعول عليها في هذا السياق؛ غير أن نجاح أي تجربة سياحية وتنمية مستدامة لموارد السياحة الصحراوية في ولاية أدرار، يتعلق بمدى استغلال كافة تلك المؤهلات الطبيعية والبشرية المتوفرة، الذي يدفع إلى انسجام أجزاء البيئة الصحراوية حسب دورها، في تنمية المنظومة السياحية؛ غير أنه في موريتانيا ككل، يتعاضد الانقسام في غالب الأحيان بين المؤهلات الطبيعية

بعض المناطق الداخلية للولاية بالعاصمة «أطار». ينضاف إلى تلك المؤهلات الصناعة التقليدية والأنشطة التجارية وبعض البنى الخدمية السائدة للنشاط السياحي، في ولاية أدرار؛ فمع قيام الدولة الحديثة بدأت بعض الطبقات الاجتماعية تمارس الصناعة التقليدية القديمة التي كانت قد تأثرت كثيراً بمضايقة الصناعة العصرية، ولاسيما في ظل موجات التحضر التي شهدتها البلاد موازاة مع الهجرة نحو المدن إثر موجات الجفاف التي ضربت البلاد ككل، منذ 1969م؛ غير أنه مع توافد السياح الدوليين على ولاية أدرار وتطلعهم لاقتناء المصنوعات التقليدية، بدأ قطاع الصناعة التقليدية في ولاية أدرار بالتحسن نحو التطور والابتكار لتلبية رغبة الزوار الجدد من السياح الدوليين، وبدأت أعداد الوحدات الحرفية بالانتشار في ولاية أدرار لتربوا على عشرات الوحدات؛ وإلى جانب تلك الصناعات التقليدية توجد بعض الأنشطة الحضرية البسيطة، مثل الخياطة والتطريز، الحلاقة والتصوير وبعض المهن الحرفية الأخرى، والأشغال المنزلية، التي يمتثلها جزء من السكان المحليين،

¹² - RIM, ONS, 2017, RGPH 2013, Monographie régionale de la Wilaya de l'Adrar, P: 37.

¹³ - «مخططات موريتانيا تراث إنساني يحتاج للحفظ والرقعة» الإثني 04/08/2014، موقع العرب الإلكتروني (https://alarab.co.uk)



- دعم وتشجيع مختلف المبادرات الفردية والجماعية التي تصب في إطار تنمية وتطوير مؤهلات القطاع السياحي في الولاية.

- تشجيع وترقية قطاع المقاولات السياحية الصغيرة والمتوسطة ووضع نظام لتحسين جودة خدمات الإيواء السياحي بالأوساط الواحاتية، وتطوير البنى التحتية فيها، والتركيز على فك العزلة عن المناطق السياحية، بتطوير البنى التحتية للنقل البري بشكل خاص.

البيبليوغرافيا

- ولد ابد (محمد الأمين) 2019. الحياة الاجتماعية والفكرية في مدينة شنقيط من خلال الوثائق والفتاوي والأحكام القضائية في القرنين (11هـ و12هـ/17-19م)، أطروحة دكتوراه، في العلوم الإسلامية، جامعة الزيتونة-تونس 2019 (306 صفحة).
- ولد محمد أحمد (محمد) 2010. السياحة بولاية آدرار الموريتانية ودورها في تنظيم المجال، بحث ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس. 2010 (142 صفحة).
- ولد محمد يحيى (أحمد) 1997. فهرس مخطوطات «شنقيط» و«وادان»، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، سلسلة فهارس المخطوطات الإسلامية، المكتبات في إفريقيا-موريتانيا 1997 (497 صفحة).
- البرمجية الإلكترونية لقاعدة بيانات المخطوطات حول موريتانيا.

- RIM, MDR, DPCSE. 2012. RAPPORT PROVISOIRE SUR LE RECENSEMENT DES PALMIERS DATTIERS EN MAURITANIE. 2012. (24P).
- RIM, ONS. 2017. RGPH 2013, Monographie régionale de la Wilaya de l'Adrar. 2017. (50P).
- ONTM – Office National du Tourisme Mauritanien, 2023, photos sur les villes anciennes.
- www.culture.gov.mr, 2025,
- www.tripadvisor.com, 2025.

والبشرية، حيث يشهد الجزء الطبيعي (المؤهلات الصحراوية خاصة) بداية استغلال سياحي في أطواره الأولى، في حين تعتبر البنية التحتية المتوفرة متواضعة ومقتصرة في الأساس على السياح الوافدين إلى المناطق الصحراوية؛ كما أن شبكة الطرق البرية لا زالت دون المأمول من حيث التهيئة لاستقبال أفواج هامة من السياح؛ غير أن ولاية آدرار بدأت تشهد في الآونة الأخيرة تحسنا على هذا المستوى.

وفي هذا الإطار يمكن التأكيد على بعض التوصيات إلى جانب تلك الرهانات، لإحداث تنمية مستدامة وشاملة للواحات في ولاية آدرار حتى تستجيب بشكل فعال لدورها السياحي والتنموي، منها:

- مراجعة السياسات الخاصة بقطاع السياحة في البلد بشكل عام وتشخيص شامل لحقيقة التحديات والتعقيدات ذات الصلة بتنميته، والفهم الأفضل لرهاناته التنموية وآفاقه المستقبلية؛

- تزويد مختلف الفاعلين في هذا القطاع بلوحة قراءة واضحة وواعية حول إشكالات السياحة ومؤهلاتها الطبيعية والبشرية، على أساس نتائج بحث وتقص من لدن الخبراء من مختلف القطاعات ذات الصلة؛

- تغذية الحوار الضروري بين كافة الأطراف ذات الصلة، ورسم آفاق على المديين المتوسط والطويل لتطوير ذلك القطاع والمحافظة على مؤهلاته وصيانتها في البلد ككل وفي ولاية آدرار بالخصوص.



أ.د. محمد أحمد المحبوبي
منسق ماستر النحو والصرف
بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية

الشيخ كلاه وملامح التميز في الأبنية والأساليب (لحظات من التأمل في الإحياء والاحتذاء)

مقدمة:

يعتبر الشيخ عبد الله «كلاه» صلاح التندغي (ت: 1346 هـ) من أبرز الوجوه الثقافية والأصوات الشعرية في البلاد الموريتانية خلال النصف الأول من القرن العشرين، فقد عده الشيخ سيدي باب شاعر الساحل بلا منازع لما في مدونته الشعرية من التميز وتنوع الأغراض وتعدد المنازع، في حين لم ير العلامة أن بن الصفي فرقا يذكر بين شعره وشعر الجاهليين الأقحاح لما يتضمن من روعة إبداعية ولغات صحاح، كما أثر عن الشيخ أحمد بمب قوله: إنما الشعر ما يقوله ابن صلاح. فهذه شهادات ومقولات نقدية وتزكيات شعرية تؤكد أن الرجل كان متميزا في إبداع القريض، فنظمه ذو بناء أسلوبى متميز يأخذ بالألباب ويستميل القلوب.

لذلك أردنا في هذه الورقات أن نعرض لبعض ملامح الأبنية الشعرية والمستويات الأسلوبية في ديوانه.

أولا: الصياغة وملح الاهتمام بالشكل والبناء

وفي هذا الجانب نؤكد أن الرجل ذو نفس شعري عال وفسيح، فقد قارب ديوانه خمسة آلاف بيت توزعتها بحور شعرية متعددة وأغراض شعرية كثيرة فأردنا أن نتلث

يسيرا مع بعض مظاهر إحكام البناء الشعري في ديوان الرجل، وذلك ما نعرض له تباعا فيما يأتي:

أ- ملح التأثر الثقافي

قبل البدء في إبراز جوانب هذا التأثر يحسن القول هنا إن التحاور والتلاقي بين النصوص ظاهرة معروفة حاضرة في كل عملية إبداعية، ذلك أن إنجاز أي نص أدبي يعتمد بالأساس استرجاع الذاكرة واستحضار الموروث الثقافي، فالإنشاء الشعري ينطلق أولا من إقامة علاقات من القرابة اللغوية والرحم الأسلوبى بين النص المنجز وبين نصوص سابقة عليه، وفي هذا السياق نشير إلى أن الشيخ كلاه ظل متأثرا بثقافته المحظية يمتح منها كلما أراد أن يبدع نصا أو ينشئ قريضا. ويتجلى ذلك في مستويين هما:

1- التأثر الجلي المرتسم:

لقد استأنس الرجل بالشعر الجاهلي وعده المثل الأعلى فاحتذى العديد من نصوصه بنية وأسلوبا، بل إنه تجاوز ذلك إلى معارضة بعض مطولاته، على نحو ما نصادف في قصيدته: «أدار بذات السرح» التي يبدو أنه عارض بها معلقة امرئ القيس المشهورة:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فنراه يفتتح نصه بتعريب «انواتيل»
فأطلق عليه ذات السرح داعيا له
بالسقى مسترجعا ذكريات الطفولة
وعهود الصبا يقول:

أدار بذات السرح من كل منزل
سقاك حبي من أجش مجلجل
فلي فيك أيام صواح لم تكن
لضليل حجر عند دارة جلجل
تعاورها من بعدنا كل بارح
وكل ملث خلف ظلماء قسطل

ترى كل ذيال إذا الشمس عارضت
يعارض فيها خنساء مظل
وهي مطولة تقع فيما يربو على
المائة من الأبيات حاور ضمنها
المعلقة محاورة لطيفة مستحضرا
جملة من ألفاظها ومبانيها وعددا من
إحياءاتها ومعانيها.

2- التأثر الخفي المحتشم

ونقصد به التقاء الشاعر مع بعض النصوص الشعرية التي تقدمته محسنا توظيفها ومكتفيا بمحاورتها في اليسير من الألفاظ دون التقاطع معها في البحر والروي، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

فكم جاوزت من مهمه بعد مهمه
به الذئب يعوي كالغريم المخاصم
فهو شبيه بقول تأبط شرا:
وواد كبطن العير جاوزت بطنه
به الذئب يعوي كالخليع المعيل

1 - ديوان الشيخ كلاه، جمع وتحقيق الأستاذ: ناه بن أحمد حامد، ط1 الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية 2019، ج 3 ص 493.
2 - المرجع السابق، ج 3 ص 528.

وكذلك قوله³:

أعني على برق بتيرس ناضب
يجرر طرفا منه فوق السحاب
كما جر أطراف الأسنة حاميا
حماه الأمير بن الحبيب المراقب
وراثه أملاك من أخرى سيوفهم
غلبن ملوك الأرض من عهد غالب

فهو شبيه بقول امرئ القيس:

أعني على برق أراه وميض
يضيء حبيا في شماريخ بيض

ومن نماذج هذا الضرب قوله⁴:

أمن نأي سلمى أنت غاد فتقرب
أم أنت مطيع الدهر إذ يتقلب
يذيق الفتى مرا ويعذب مرة
وما الدهر إلا ما يمرّ ويعذب

فنراه في البيت الأول وكأنه ينظر
إلى قول عمر بن أبي ربيعة في
مطلع رائيته المشهورة:
أم آل نعم أنت غاد فمبكر

غداة غد أم رائح فمهجّر
ونرى محقق الديوان يميل إلى أن هذا
التأثر القائم على احتذاء المتقدمين
إنما هو مظهر من مظاهر التميز
والإبداع «فالتقليد عند الرجل لم يكن
تقليدا أعمى، وإنما هو شيء اتفاقي
تفرضه طبيعة الثقافة وتقديس
أصحابها واتحاد الموضوعات»⁵.

ب- مستوى التأقلم الإنساني

وقبل أن نعرض لإسهام الرجل في
جانبه نشير إلى أن المقصود هو
ظاهرة تعريب الألفاظ الصنهاجية
التي يبدو أنها ظاهرة لافتة للنظر

ومسترجية للانتباه، وذلك لكثرتها
وتنوعها وشيوعها لا في أسماء
الأماكن والأعلام فحسب، بل وفي
الأوساط العلمية والمدونات الشعرية
كذلك.

ولعل مرد ذلك - والعلم عند الله
- إلى قوة بصمات الجهد المرابطي
وعمق تأثيرات العهد الحساني⁶،
فالأول أعقب في النفوس إسلاما
راسخا وعميقا، والثاني أورث القوم
تعربا لازبا ومكينا، فتواشج الجهدان
في ثنائي مرن حفظ للبلد هويته
وأصالته وزاد من قوة التمسك
بالدين، ومن شدة التشبث بالفصاحة
والبيان.

وبذلك أصبح موضوع التعرب في
الأوساط الشنقيطية مدارا للحدث
ومناط القصد؛ فأمره يحتاج إلى
دراسات معمقة تستفيد من علوم
اللسان والاجتماع والتاريخ خاصة
في مستويات التقائها وتقاطعها،
عسى أن يعين ذلك على فهم
خصوصيات هذا الحدث الحضاري
الذي تم دون أي تدخل لإرادة
السياسية الحاكمة، فامتحت معه
الذاتية الثقافية غير العربية في جو
من العفوية والانسياب يعد غريبا
دعا بعض الباحثين إلى تسمية ذلك
الحدث تعربا لا تعريبا⁷.

وقد جاءت جهود الشيخ كلاه
مجسدة لهذا التوجه وذلك ما يتجلى
في ديوانه من خلال مستويين
أولهما يعنى بالترجمة والتعريب،
وثانيهما يعنى بالملاءمة والتفصيح.
وسنعرض لهما فيما يأتي:

1- مستوى الترجمة والتعريب

ونعني به نقل الألفاظ من اللغة
الصنهاجية أو اللهجة الحسانية إلى
الفصحى من خلال ترجمة صريحة
على نحو ما نصادف في قول
الشاعر⁸:

حي المنازل بالنقا فالأبتر
فالخبث منه إلى اللوا من أير
قفرا فليس سوى الرسوم كأنها
وشي المعاصم أو رقوم الحميري
تمشي المها بأصيلها وبسهبها
مشي العذارى في الملاء الدور

كما تلوح هذه الظاهرة أيضا في
نصه: طول النقا حيث عرف
«أكويليل» بالأبتر، و«ملك لخطوط»
بمجتمع الأشراج، و«أكليب أمساير»
بالمصادر، يقول⁹:

طول النقا حيث تبدو الأبائر
سقتن سبتا ماءهن المواطر
فمجتمع الأشراج فالشام فالصوى
صوى النجد تبدو جنبهن المصادر
أبينني عن الحي المبين وعينه
وهل صرمت حبل المحب الجآذر

وقولي انتحوا قبل الصباح كأنهم
حداث نخل تحتين القناطر
ويواصل الرجل تقريبه للأماكن
الأعجمية من الأذهان في نهج من
التعريب رفيع ومستوى من الفصاحة
بديع، حيث ترجم «أخشومت أكنيتير»
بأنوف الكهف، حيث يقول¹⁰:

ألا يا أنوف الكهف سالمة الدهر
وجادك بعد الحي من دلوه قطر
فإن تمس أوطان المها فلطالما
دعت بك ليلا «أنمها» النسوة الزهر

3 - المرجع السابق، ج 2 ص 280.

4 - المرجع السابق، ج 2 ص 264.

5 - المرجع السابق، بتصرف يسير ج 1 ص 150.

6 - قصد به الفترة التي عرفت سيطرة إمارة بني حسان على البلاد. ويقتد من القرن الثامن الهجري حتى فترة الاحتلال الأجنبي للبلاد في مطلع القرن الرابع هجري.

7 - الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري: د أحمد بن الحسن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط 1 1995 ليبيا، ص 72.

8 - ديوان الشيخ كلاه، مرجع سابق، ج 3 ص 408.

9 - المرجع السابق، ج 3 ص 407.

10 - المرجع السابق، ج 3 ص 406.



عفت دور ليلي من ذوات المحاضر
بتزيانة فالخبت خبت الكراكر

كأن لم تك الأنعام فيهن أبدأ
كوحش الصفا لم تخش من مكر ماكر
نعم فالليالي تحزن المرء مرة
وتأتية أخرى جابرات الخواطر

ولا ننسى ان الرجل كان له ارتباط
بالأرض وثيق وحسب للوطن عميق،
لذلك كثيرا ما اتخذ من الأماكن
مصدرا للاستلهم والإيحاء وملهما
للتدبر والاعتبار، ومن الأمثلة على
ذلك قوله في وصف الدومتين¹⁴:
ألا ليت شعري هل أبين لذي العقل
من الأمر ما لي بان من فعل ذي الفعل
بدا لي أن لا خل يبقى لخله

ولو طال مكث الخل في جانب الخل
فأفراد إحدى الدومتين عن أختها
دليل على أن لا بقاء مع الأهل
وقارب «إنجيل» الحوادث فعلها
به منبئ عن حطمها للفتى العبل
له جانب في البحر ملقى وجانب
أقطعت قدما بالمدى كبد الإبل

ج- ملمح التداخل اللساني
وفي جانبه نعرض لنماذج من حضور
اللهجة الحسانية في ديوان الرجل،
فقد تجلت على أديم قلة من نصوصه
ملامح يسيرة من مظاهر التأثير
بالمدرسة الشعبية، وذلك ما أشار
إليه محقق الديوان قائلا: «وأما حظه
من المدرسة الشعبية فضئيل فيما
أرى لأن الشعر عنده يكتسي طابع
البيان والفصاحة غالبا، ومن النادر
أن يستخدم العبارات الحسانية».

فله أرض يغمر البحر زهرها
مساء وبعد الصبح يستره الزهر
إذا رمت ماء للوضوء وجدته
وإن رمت درسا لاح من جزلها جمر
وفي نص رابع نراه يترجم «أرويك»
بالهويدج في استحضار لسابقات
من جيات الشعر الجاهلي، مستأنسا
بلغته الجزلة وصوره البيانية،
يقول¹¹:

حول الهويدج من أمانة دور
أودى بهن شمائل ودبور
وغدا الزمان على الرسوم بقطره
يقضي بجور والزمان يجور
وغدت لوائح في الرمال كأنها
بيع ينشر وسطهن زبور

2- مستوى الملاءمة والتفصيل
ونقصد به قدرة الرجل على التصرف
في اللفظ الأعجمي تصرفا يسيرا
يهيئه لأن يدخل بسهولة إلى أبنية
الفصحى ويندغم في صيغها ويتكيف
مع الموسيقى الشعرية، مبقيا في
الوقت نفسه على بعض خصائصه
الصوتية، ومن أمثلة ذلك ما نصادف
في تفصيحه لكلمة «تازيازت» حيث
يقول¹²:

لك القدرة اللهم أن تملأ البرا
بغفرانك اللهم ذنب ذوي الوزر
وتلبس من «تزيانة» كل صفصف
زرابي منها يذهب العسر باليسر
تبين بها الأفنان بيضا زهورها
كما دب شرب الروم من نشوة الخمر
ومن نماذج هذا الضرب أيضا ما ورد
في تفصيحه للفظ «الكراكر» حيث
يقول¹³:

ومن أمثلة اعتماده لهذا النهج ما ورد
في قوله¹⁵:

أمن ماثلات الوشم ملت إلى الجهل
وتبكي بكاء العوذ دائمة الثكل
وشام كما تبدي الصحائف رسمها
بعلياء بين الأقرع التل والكبلي

ومن هذه النماذج أيضا قوله¹⁶:
لـ«صنفيل» آيات تدل دلالة
على خالق لا يستعين بخادم¹⁷
فلا النأي في شكنيط والكبل مانع
لـ«صنفيل» ذي الآلات سمع المكالم
ومن ملامح التجديد عند الرجل
تناوله لبعض مستجدات العصر
يومئذ، كموقفه من الشاي الذي

11 - المرجع السابق، ج 3 ص 404.
12 - المرجع السابق، ج 3 ص 411.
13 - المرجع السابق، ج 3 ص 409.
14 - المرجع السابق، ج 4 ص 492.
15 - المرجع السابق، ج 3 ص 514.
16 - المرجع السابق، ج 3 ص 533.
17 - وردت في فاتحة هذا البيت كلمة «صنفيل»، فاللام للجر، وصنفيل تحريف للتعبير الفرنسي sans fil التي تعني الهاتف اللاسلكي.

كأن مآقي مقلتيه إذا بدت
مصاييح حبرٍ شَبَّها في العساكر

ففي هذا المقطع يقدم لنا صورة
رفيعة من التشبيه التمثيلي تجسد
هذا المشهد في أبداع صورة وتقريبه
إلى الأذهان فنراه يشبه هذا الماء
الذي ورد إليه بلون الغسل الممتلئ
بالريش، وأكثر من ذلك يحسن تشبيهه
آثار الحيات بآثار الأنساع المظاهرة
مما يدل على ضخامة هذه الحيات
وكثرتها وانتشارها على الأرض وهذه
الصورة الشعرية تذكرنا بقول الهذلي
في طائيته:

كأن مزاحف الحيات فيه

قبيل الصبح آثار السياط
ومن نماذج هذه الصور الشعرية
المعتمدة على التشبيه ما ورد في
قوله²⁰:

ذات المحار سقاك صوب مجلجل

طوع الجنوب بديمة مدرار
تعلو رمالك حمرة في صفرة
هل شبت قدما فضة بنضار
يبدو وصليان عليه كأنه
بين النصي نوائب الأبرار

ومن نماذج حضور الكناية في هذا
الديوان قوله²¹:

ألم تعلمه يكسو كل عار
إذا ما الأرض يكسوها الجليل
أم تعلمه مطعم الأيامي
إذا هبت شامية شرود
أم تعلمه داهية إذا ما
يكل الخيل داهية نجيد
فإنك سوف تحلم يا هناء
إذا شاب ابن داية والوليد



1- الصور البيانية:

وفي هذا المستوى نذكر بأن
الرجل استودع نصوصه عددا من
التشبيهات الرائعة التي تركز إلى
الأساليب الجاهلية وتستحضرها
استحضارا واعيا، بل ربما تفوقت
عليها وتجاوزتها في إحكام التصوير
والتصوير، ومن الأمثلة على ذلك
قوله¹⁹:

وماء كلون الغسل يلعب ريشه
بأرجائه قفر الجبا والمحاضر
وردت ولم يشرب به غير أيم
بطيء أنسياب الصدر واني الأواخر
له هامة مثل الرحي ومزاحف
تدور وطورا لم تكن بدوائر
كآثار نسع جرّ طورا مظاهرا
برمل وطورا جرّ غير مظاهر

طرح على عهده إشكالا فقهيا يتعلق
بجواز تناوله أو حرمة، وكان الشيخ
إلى جانب من أجازوا تناوله ولم ير
في ذلك بأسا، بل إننا نراه يلاطف
عصريه أبا بكر بن أحمد باب
التندغي (ت: 1358 هـ) حيث يقول¹⁸:
ألا إن هذا الشرب أحلى من الخمر
ويُزري بشهد النحل في جبل وعر
وما فيه من عيب يرى غير أنه
يخالف ما عند الإمام أبي بكر

ثانيا: البلاغة وملح الاعتماد والاعتناء:

إن القارئ لهذا الديوان يلاحظ فيه
حضورا لعلوم البلاغة مكتثا،
وسنكتفي في هذا المقام بإيراد نماذج
يسيرة من علمي البيان والبديع:

18 - المرجع السابق، ج 2، ص: 371.

19 - المرجع السابق، ج 2، ص: 392.

20 - المرجع السابق، ج 2، ص: 411.

21 - المرجع السابق، ج 2، ص: 320.



خاتمة:

والأساليب المتميزة، فعلى الطلبة الجامعيين أن يولوا وجوههم شطر هذا الديوان ليتخذوا منه موضوعات لأطروحاتهم عسى أن يعطوه بعض ما يستحق من العناية.

- إدراج بعض نصوص الرجل في المقررات المدرسية بمختلف المستويات الدراسية، فشعره مليء بالحكم والتوجيهات والإرشاد غاص بموضوعات الوصف والنسيب، زد على ذلك ما تجمل نصوصه من كثافة دلالية وحضور للوحدات المعجمية المنتخبة والمنتقاة.

- ترسيخ مكانة الرجل في الذاكرة الجمعية للأمة، وذلك بترصيع أحد الشوارع باسمه أو تلميع بعض المدارس بقلبه.

المصادر والمراجع:

- ديوان الشيخ كلاه، جمع وتحقيق الأستاذ: نناه بن أحمد حامد، ط1 الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية 2019.
- الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري: د أحمد بن الحسن، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط 1 1995 ليبيا.

وصفوة القول أن الشيخ كلاه شاعر موهوب أعاد إلى الشعر العربي في هذه الأرض نضرتة، فأحيا الصور الشعرية وهي رميم، كما أحكم بناء القريض، فانسجم له القول في إبداع مبرم وتميم، فنصوص الرجل تعد أنموذجا للإحياء الأدبي الأصيل فمطالعتها فرصة لمراجعة مواد المعجم ومناسبة لاستذكار دروس النحو والبلاغة والتصريف؛ إذ تلوح على أديمها معالجات نموذجية تدعو القارئ إلى زيادة رصيده المعرفي وتطلعه على نادر الصيغ ومتنوع الجموع، فنصوص الشيخ أوضح شاهد على مسيرته لرواد النهضة الأدبية الحديثة كالبارودي وشوقي والرصافي إن لم نقل إنه كان أعرق منهم في الإحياء أثرا وأرسخ في التنوع قدما.

وفي الأخير ندعو إلى ضرورة إنصاف الرجل وإعادة الاعتبار إليه، فهو مغمور مغبون لما ينل بعد خلاقه من التناول والتداول، لذلك نوصي في هذا المقام بأمور من بينها:

- توجيه البعثة والدارسين إلى تراث الشيخ وخاصة ديوانه الشعري الذي يطفح بالموضوعات المتنوعة

ففي هذا النص كنايات رفيعة، فقولته: «يكسوها الجليد» كناية عن شدة البرد وقلة الزاد، وقولته: «هبت شامية شرود» كناية عن اشتداد البرد وتحكم الجوع، وقولته: «شاب ابن داية والوليد» هو الآخر كناية عن استحالة الأمر وبعد وقوعه.

2- المحسنات البديعية:

وفي هذا المستوى نذكر بأن الرجل اعتمد عددا من المحسنات البديعية من ذلك مثلا قوله²²:

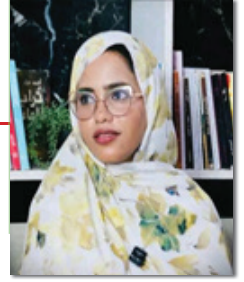
وعوجاء مرقال إذا الركب أصبحوا
بيهماء جرداء المتان وراحوا
تشكت كلالاً مس من طول نصها
فقلت اصبري بعد الكلال نجاح
تراحين ما جئت سعدة وإنما
لديه طليحات المطي تراخ

بسعد يتاح السعد للناس والمنى
يتاح وأسباب النجاح تتاح
ففي هذه القطعة نموذجان من رد العجز على الصدر؛ الأول في قوله:

تراحين ما جئت سعدة وإنما
لديه طليحات المطي تراخ
وكذلك قوله:

بسعد يتاح السعد للناس والمنى
يتاح وأسباب النجاح تتاح

22 - المرجع السابق، ج2، ص: 304.



شعرية السرد النسائي في موريتانيا كتاب «امرأة بنكهة الوجع» نموذجاً

أبو ديب بأنها مسافة التوتر بين المتناقضات، ويقصد بهذا التعريف أن الشعرية باستطاعتها جمع كل المتناقضات في نص واحد. ويعود تاريخ هذه النظريات العربية إلى الاستنباط من النقد القديم القائم على الذوق، أي «التصوير الفني» عند كل من ابن قتيبة والجاحظ والجرجاني، وكذلك عمود الشعر القديم وجودة الصورة البلاغية، والأهم سلامة التعبير والمعنى.

وكانت الشعرية القديمة عند العرب تتمثل في القدرة على التأثير وإقناع متلقي رسالة الأدب. وقلنا «رسالة الأدب» لأن وظيفة الشعرية تكمن في البحث عن الأدبية، أي عن الجمال.

الشكلانية الروسية

عند الحديث عن شعرية السرد لا بد من المرور على الإشكاليات التي ركزت عليها الشكلانية الروسية في نظرتها للأدب، خاصة «الحوارية» عند باختين.

ومن المعروف أن المدرسة الروسية الشكلانية من أهم المذاهب التي شكّلت منعطفاً في تاريخ النقد الأدبي، بسبب الجهود التي بذلها من أجل خصوصية الشعر والأدب واستقلالهما. وإن كانت آراء أقطاب هذه المدرسة مختلفة، إلا أن خصوصية الشعر ظلت هي العامل المهيمن على مدرسة أدبية تهتم بجمالية الشكل الأدبي، وهو ما يعني الوصول إلى الشعرية. وترى الحوارية باختينية أن المفهوم النقدي للنص يعني الحوار؛ إذ ترى أن الحقيقة ليست ملكاً لأحد، وأن النص العظيم هو الذي يسمح لهذه الأصوات المتعددة بالتعايش، وهنا تكمن عظمة وشاعرية أي عمل أدبي.

وتظهر هنا قيمة متلقي الرسالة، بعد أن أهملته البنيوية كثيراً.

(ب) الانتباه هو خاصية جمالية قدمها جاكسون ومهد لها في الشعرية المعاصرة؛ إنها بصمة خاصة تسمح لك بتفكيك الأسلوب، وتجعل متلقي الرسالة يتساءل عن البنية العميقة التي تحتاج إلى قارئ خبير في إخصاب المضامين.

(ج) التوازي ويقصد به العدول عن المعنى الحقيقي إلى معنى آخر أكثر متعة وشاعرية؛ عدول اللغة عن مستوى التواصل الطبيعي إلى مستوى الأدبية هو ما نقصده بالشعرية، وهو وظيفة قدمتها الشكلانية الروسية لمتلقي رسالة الأدب. ترى البنيوية أيضاً أن مستوى الشعرية يحده الانزياح اللغوي في قدرة المبدع على اللعب بالمفردات خلال رحلة إنتاجه، خاصة تودوروف الذي عرّف الشعرية بأنها علم الممكن، وكان يقصد بـ«الممكن» هنا دراسة فرضية إنتاج الشعر. ولهذا فإن الشاعر يقوم بصناعة الألفاظ.

وانطلاقاً من تعريف تودوروف للشعرية يمكننا القول إن الشعرية لا تهتم بالنصوص الموجودة، إنما تتعالى عن ذلك إلى القواعد العامة التي تهتم بالقدرة على إنتاج النص. ويرى أحد أبرز قادة البنيوية جان كوهن أن الشعرية هي الانزياح الدلالي والنحوي.

أما في الوجه الآخر للشعرية داخل الثقافة العربية، فيرى أدونيس أن الشعرية انتقلت من المستوى الكتابي إلى المستوى الكلامي، وذلك بفضل تأثير النص القرآني. ويعرفها كمال

إنّ الكلام عن شعرية السرد النسائي في موريتانيا يجعلنا أمام إشكال كبير، يطرح السؤال التالي: ما الذي نقصده بالشعرية أولاً؟ وما هي تداعيات الخطاب الشعري؟ وهل باستطاعتنا تتبع تاريخ الشعرية؟ إنّ أول ظهور لمفهوم الشعرية نظر له أرسطو طاليس في كتابه «فن الشعر»، الذي كان يقتبس الشعرية من الكلام العادي، وإن كانت الشعرية آنذاك تتمحور حول العاطفة والوجدان. إلا أن أرسطو يرى أن الشعرية هي محاكاة الطبيعة باستخدام اللغة.

في الجانب الآخر من الثقافة العربية، يرى الجاحظ أن الشعر صناعة ونسيج؛ أي صناعة ذلك النسيج اللغوي من المفردات، وهنا تظهر قدرة الشاعر على إنتاج الشعرية والعدول بالأدب إلى أعلى مراتب الترف الأدبي.

كما ترى الشكلانية الروسية – ومن أبرز قادتها جاكسون – أن الشعرية هي القدرة على خرق توقعات اللغة العادية، كما تركز على التوازي والانزياح. وفي نظره، تطلق الشعرية على ثلاثة أشياء، هي:

الإيقاع، الانتباه، التوازي.

(أ) الإيقاع

يتمثل الإيقاع في قدرة الموسيقى على إمتاع المتلقي داخل أي جنس أدبي كان. ونقصد بالانتباه القدرة على لفت انتباه السامع لرسالة الأدب، أو المتلقي إذا كان النص كتابةً. وأكدنا القول بالكتابة لأننا لم نعد في زمن تعشق فيه الأذن قبل العين دائماً؛ فبسبب تطور الأدوات النقدية وآليات الكتابة أصبحت العين هي الوسيلة الأبرز لالتقاط الجمال،

شعرية السرد

النسائي في موريتانيا

وإذا انتقلنا إلى تجربة السرد في موريتانيا نلاحظ أن خديجة عبد الحي، وخنساء شنقيط، وباتة البراء، وأم كلثوم أحمد، ونزيهة اليدالي، ونساء كثيرات ساهمن في التجربة الشعرية للسرد الموريتاني بأعمال أدبية ازدانت بها المكتبة الموريتانية والساحة الثقافية.

عُرفت الكاتبة والشاعرة خديجة عبد الحدي بتنوع الأساليب وبمعجمها الخاص الثائر، وكانت كتاباتها تتميز بطغيان الشعرية، وقد ساهم تفوقها في النقد في ترصد الشعرية في القول، شعرياً كان أو نثرياً.

وعُرفت بآلة البراء، سفيرة شغف
الثقافية، بشاعريتها السردية وقوتها
في البوح بشاعرية كبيرة، وتم
الاحتفاء بها كاتبة وشاعرة في
المحافل الدولية.

في الجانب الآخر من شعرية السرد الموريتاني، تظهر الكاتبة أم كلثوم أحمد بشاعرية موعلة، خاصة في مجموعتها القصصية «مارية»، وبالتحديد في قصة «الأجير»، مؤكدةً بذلك مقولة المسعدي: «إن الأدب حراة أو لا يكون».

بينما تظهر الكاتبة نزيهة في قصصها ثورة جريئة، وتؤكد أن الخط الفاصل بين الأديب والمتأدب هو الجرأة فقط، وتظهر كذلك شاعرية كبيرة من خلال استعارات نحيا بها داخل هذا العمل الأدبي.

وإذا انتقلنا من مرحلة التواصل العادي إلى الانزياح الذي يجعل المفردة النسائية مهبطاً للمتعة والجمال، فإن الإسهامات الموريتانية في مجال شاعرية السرد ظلت عصية على الاندثار.

خصوصية السرد

الموريتاني وشاعريته

تمثلت شاعرية السرد الموريتاني
في خصوصية البيئة الموريتانية

المتنوعة، مرورًا بالتقولات الاجتماعية التي شهدتها المجتمع الموريتاني يوم كانت النساء تجلس في الخيام، ولا شاعرية هناك إلا شاعرية «التبراع».

لكن المجتمع الذي قرّر النهوض
بالمرأة هو نفسه المجتمع الذي
ساهم في نجاح التجربة السردية.
كما عكس حضورُ اللغة التي تنهل
من التراث شعريّة ترجمتها الصحراء
بأدبها الذي يتعالى عن المقولات
التي ترى بأن الرواية تناسب ملامح
المدينة فقط؛ فكاتبات بلاد موريتانيا
كتبن من عمق الصحراء.

«امرأة بنكهة الوجد»

متيمة جدًا بالتساؤلات الأدبية، لأنها تظهر كل القوى الكتابية والعاطفية في النص.

عنوان: «امرأة بنكهة الوجد».

هل للوجع نكهة؟

إذا افترضنا أن الكتابة آخر طرق النجاة، فلماذا لا نكتب عن النساء الحزينات؟ لماذا، حين نلتقي بسيدة حزينه، لا نتوقف طويلاً ونحدثنها بسطر أنيق؟

ملاحِ السيداتِ الحزِيناتِ تستحق
ألفَ عامٍ منِ الكِتابةِ؛ وهنَا تَخْتَلِطُ
نكهَةُ الأَثوَةِ بوجعِ السيداتِ.

المسعودي حين قال: «إن الأدب مأساة تتخلص في التصالح مع الوجود وترجمة تلك الأحاسيس إلى سطور أدبية تُنقذ الناس. إن وظيفة الأدب وظيفة حمالة شعرية بحتة.

عموماً، عنوانُ هذا الكتابِ «امرأة
بكنهة الوجد» يحمل دلاليةً توحدي
بذلك الانطفاء الذي يهيمن على
ملامح الحزنيات من النساء.

والنص ليس له معنى حاضر ثابت؛
القارئ هو الذي يمنح النص المعنى.
في كتاب «امرأة بنكهة الوجد» نلتقي
بنص يحمل عنوان «نواكشوط» يفسر
الوجد الذي تهبه العاصمة للنساء
الكادحات والمطلقات والمستضعفين
في الأرض، خاصة النساء؛ وذلك أن

نواكشوط مدينة رأسمالية لا تتوقف
عن إنهاك النساء على المستوى
الجسدي والنفسي.

في نص «برقية وداع» كتبتُ جملة:
«سيلتهمني الحزن إذا أحببتك أكثر
مني»، وهذا المقطع يفسّر ذاك القلق
الذي تشعر به النساء في رحلة
انتظار حبيبٍ لم يُعد من غربته
الطويلة.

إِنَّ: قلق النساء، آلام النساء، وهذا الوجد المستمر الذي تقدمه النساء للنساء، يجعلنا أمام وجد أثوياً مستمراً. إلا أن كبرياء نساء الصحراء، وإعراضهن عن الاعتراف بحقيقة الألم، يجعل المجتمع يحذف كل المفردات الدالة على الانكسار، بينما أحياناً يكون ضعفنا في التظاهر بالقوة. تناقض كبير في رفض الاعتراف بمفردات الانكسار، في وقتٍ تترجم فيه ملامح النسوة كل هذا الوجد.

في نص «جسر الشوق» كتبت:

أطفال حزني يرفضون الفرَح

والفلاحُ الذي في قرיתי

لا يحصد إلا الوجع

وهذه النثرية تعكس شاعرية متمثلة في أدبية النص؛ لم ألجأ إلى الوزن فيها، لأن الشعرية اليوم تبحث عن مكان الجمال في النص.

وفي هذا السياق نقتبس قول نزار
القائل:

«إن القافية بمثابة قيدٍ للشاعر»

وإقينيًا، من رجل بشاعرية نزار، أن
الجمال يطغى على القواعد جميعًا،
وهو ما تحدث عنه الشعرية اليوم.

المصادر والمراجع

كتاب فن الشعر لأرسطو طاليس.

کتاب الشعریہ لمؤلفہ تزفیتان
تودوروف.

كتاب قضايا الشرعية لرومان
دا كيسون .

أساسيات اللغة لرومان جاكبسون.

شعرية دوستویفسکی لمیڈائیل باختین.

باختين .